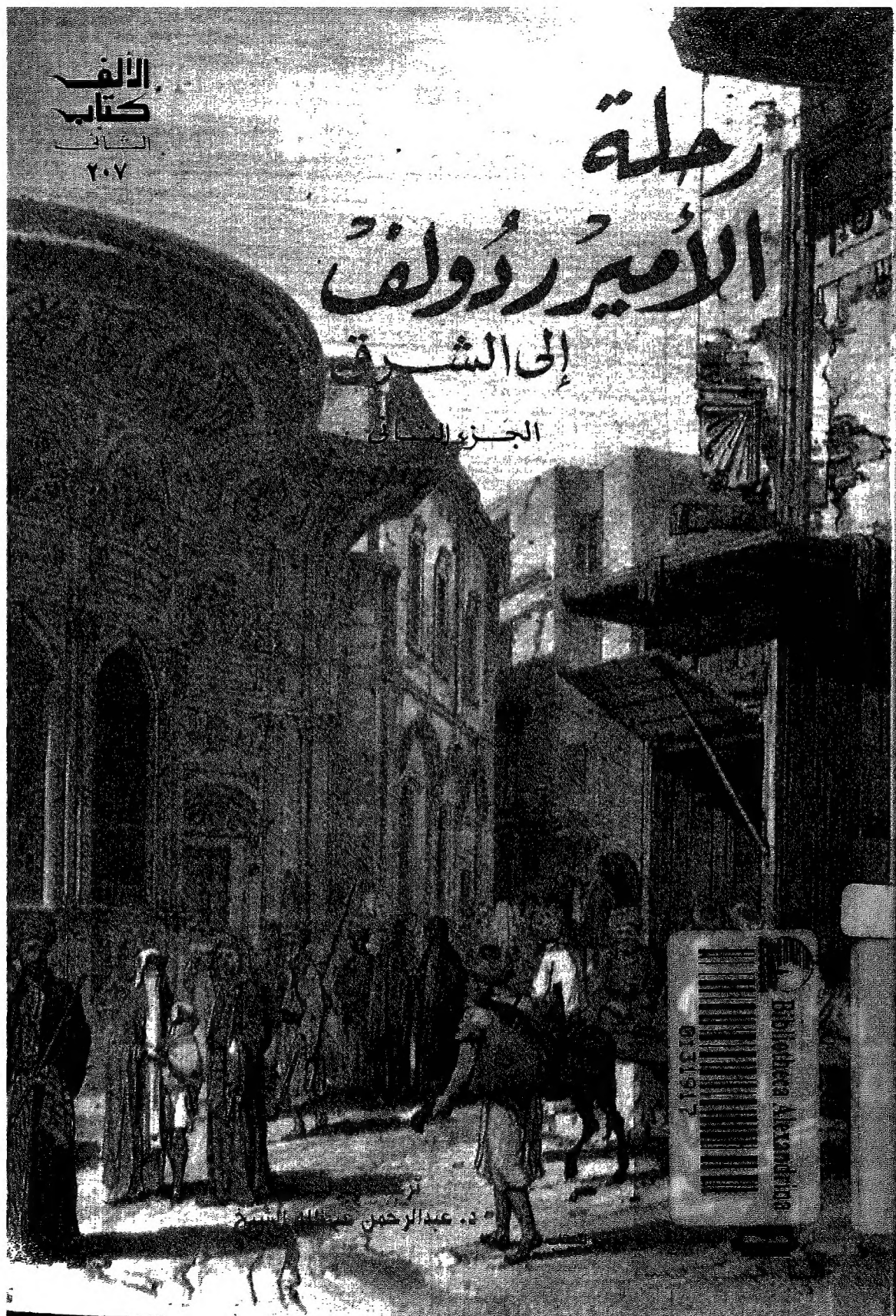


الألف  
كتاب  
الكتاب  
٢٠٧

# رحلة الأمير رُؤف إلى الشرق الجزء الثاني



د. عبد الرحمن عبد الله السيد



رحلة  
الأمير ردولف  
إلى الشرق  
(مصر والقدس)

## الألف كتاب الثاني

الإشراف العام

د. سمير سرحان

رئيس مجلس الإدارة

مدير التحرير

أحمد صليحة

سكرتير التحرير

عزت عبدالعزيز

الإخراج الفني

علياء أبو شادي

# رحلة.. الأمير ردولف إلى الشرق (مصر والقدس)

الجزء الثاني

صاحب السمو الأمير الهوري والملك  
الأمير ردولف

ترجمة ودراسة  
د. عبد الرحمن عبد الله الشيخ



الهيئة المصرية العامة للكتاب

١٩٩٦



## الفهرس

الموضوع	الصفحة .
مقدمة المترجم	٧
الفصل الرابع	٧
تعليقات المترجم على الفصل الرابع	٤٩
الفصل الخامس	٥٤
تعليقات المترجم على الفصل الخامس	٨٨
الفصل السادس	٨٩
تعليقات المترجم على الفصل السادس	١٣٤





## مقدمة المترجم

يتابع الأمير ردولف - وصحبه - رحلته في هذا الجزء فيصل الى أسيوط ومنها يتابع رحلته النيلية الى أسوان وجزيرة فياه ، وفي رحلة العودة يزور ما لم يكن قد زاره في رحلة الذهاب بمعنى أن عودته ليست عودة تقليدية لشخص أدى مهمته وانتهى ، وإنما نجده يزور مناطق لم يزورها من قبل مثل كوم الأمير وأرمنت ، ويتابع زيارته للأقصر وقنا وسوهاج ، وحتى عندما يعود للقاهرة يحدثنا من جديد عن مشاهداته فيها : حديقة الأزبكية ، مولد الحسين ، ويقوم برحلة صيد للهرم .

ويتابع رحلته لشرق الدلتا فيزور بحيرة المنزلة ودمياط والاسماعيلية وبور سعيد ويلتقي بفردناند دي ليسبس المشهور وكان وقتها رجلا عجوزا على حد وصف الأمير ردولف ويعبر قناة السويس فيزور عيون موسى ، ويعود مرة أخرى للقاهرة فيحدثنا عن شجرة مريم ومزرعة النعام والحمام التركي والقلعة والكتبخانة ويتجه بباخرة نيلية للقناطر الخيرية ، ثم يعود لمنطقة السويس ، ويزور بور سعيد ، ثم يغادر مصر الى يافا .

وقد خصصنا مقدمة الجزء الأول لتكون دراسة مفصلة نسبيا عن الرحلة كلها ، أما في الجزء فنكتفي بإيراد بعض النقاط .

### تعقيد الأمور في الشرق :

لاحظ ردولف - كما لاحظ رحالة آخرون سبقوه أو أتوا بعده - أن الأمور أو الاعمال لا تجرى في الشرق ( ومصر شرق ) بسهولة « . فليس في الشرق عمل سهل فكل شخص يضطر طلبا للخدمات ، وكل شخص يحث حصانه أو حماره بكل ما يمتلكه من عنف ، وكل شخص يدفع الآخر لينحيه جانبا . . . والكل يصرخ . . . والكل يوميء . . . ويضطر الغريب البائس في خاتمة المطاف لالقاء نفسه بين ذراعي أول قادم » .

## الرقص الشرقى :

يصف الرقص الشرقى فى سعيد مصر بأنه عريضة تعود لخيال مريض .

## البرود الانجليزى :

أشار ردولف الى أنه أثناء إبحاره فى قناة السويس اصطدمت سفينته اصطداما خفيفا بسفينة انجليزية والتصقت السفينتان ، ولكن القبطان الانجليزى ظل ينظر من فوق سطح سفينته متابعا تتابع الموج ، وكأن الأمر لا يعنيه بينما راح الرجال الراكبون مع ردولف يوسعون ما بين السفينتين .

## القناطر الخيرية :

وقد شاهد الأمير ردولف القناطر الخيرية ونقل ما كان يتردد عن هذا المشروع العظيم فى ذلك الوقت من أنه أعاق الملاحة فى النيل ، وأن مردوده الاقتصادى لا يتناسب مع المبالغ التى تم انفاقها عليه . وغنى عن البيان أن هذه الآراء كان يرددها أعداء مصر وأعداء محمد على ، خاصة وأن الذى كان يتولى أمر مصر - زمن الرحلة - هو الخديو اسماعيل ، الذى كان يترسم بوضوح خطى جده العظيم .

## الطرق الصوفية :

الطرق الصوفية لم يعرفها الاسلام فى عصوره النقية الزاهرة الأولى ، وكان معظم الدراويش الذين رآهم الأمير من أهل شرق أوروبا وآسيا الصغرى ، ورأى فى بعض عمائمهم وطقوسهم تأثيرات فارسية .

ولا نجد أى اعتراض على قوله ان الاسلام فى عصوره الزاهرة الأولى لم يعرف الطرق الصوفية .

د • عبد الرحمن عيد الله الشيخ

## الفصل الرابع

أسيوط - أبو تيج - بركات الشيخ - نخيم - جرجا -  
 الوكيل القنصلى القبطى - موسيقا ورقص - البليانة -  
 العراة المدفونة - بقايا جثث الجيش الرومانى - تاجر آثار  
 أعمى - قنا - معبد دندرة - طيبة - آثار الكرنك العظيمة -  
 العبادة - أرمنت - ترجمة برجش لبعض النصوص الإثرية -  
 أسنا - الكاب - معبد كوم امبو - جزيرة فيلة - أسوان -  
 العبادة فى أسوان - الذهب الميت يتحرك من جديد - رسوم  
 بوسنجر - تعليقات المترجم \*

وصلنا أسيوط فى الصباح الباكر والظلمة لازالت حالكة ، ولم تكن  
 سعداء لانهم أيقظونا من نوم مريح ، وغادروا الحافلات وسرنا على الأقدام  
 - يسبقنا حملة المشاعل - هابطين فى طريق جيدة اضاءته ، حسنة زينته ،  
 حتى وصلنا لمرسى البواخر النيلية • وقفه قابلنا وكيلنا القنصلى بود  
 وحرارة ، وهو تاجر قبطى ثرى ، وكان هو الذى أعد كل هذه الترتيبات •

لقد تفضل الخديو فأعارنا الباخرة فيروز Feruz التى رست على  
 الشاطئ وانتظرنا قبطانها المصرى العجوز على الجسر الموصل لها •

لقد نما فى نفوسنا حب هذا القبطان المصرى النشيط والمقتدر •  
 لقد كان أفريقيا دأكن البشرة ، ولسوء حظنا فانه كان لا يعرف الا كلمات  
 انجليزية قليلة بالاضافة للغات الشرقية ، لذا فقد كان نقاشنا معه مضحكا  
 ذا طابع فكاهى فقد كنا نستعين بالمترجمين أحيانا وبالإشارات - التى  
 ابتكرناها للتعبير عن مرادنا - أحيانا أخرى •

وقد صحبتنا برجش باشا Brugsch Pasha (١) عالم المصريات  
 الشهير فى رحلتنا صاعدين فى النيل ، وقد جلس مع الهر راث  
 Herr Rath ( المساعد القنصلى ودارس الشرقيات الذى كنا مدينين

له كثيرا بكل جولتنا في بلاد الشرق ) على سطح يخت نائب السلطان  
viceroi ( الخديو ) وهو يخت ضخم فخم مؤثث بكل ما هو مريح .

لقد كانت الكبائن كلها في الغاية من الأناقة ، وقد تم تخصيص  
الغرفة الأخيرة الواسعة لي ، وإلى الأعلى - على سطح اليخت - توجد غرفة  
طعام رجة كنا نقضى فيها أيضا فترة ما قبل الظهيرة كما كنا نقضى فيها  
ساعات للدراسة .

وعلى سطح اليخت أيضا منصة ( منبسط مدرج ) مغطاة بالكنافه  
Canvas تمكن المرء أن يلقي نظرة أكثر شمولاً ، وقد وضعنا جلود  
الحيوانات التي صيدها وكذلك الطيور فوق سطح اليخت وقد أعدنا  
ورشة مزودة بكل ما يتعلق بأعداد الجلود .

في هذا اليخت الرائع كان علينا أن نقضى أياما لا يمكن أن تنسى ،  
فقد رأينا على ضفتي هذا النهر التاريخي العريق ذي المياه الصفراء أراضي  
لا زالت عليها بقايا الجاذبية الساحرة لآلاف السنين من الحضارة القديمة ،  
بين مناظر في الغاية من الروعة والجمال ، جبال شامخة وصحار مهيبه  
وبساتين عامرة ، وأقدم الآثار في تاريخ العالم لا زالت باقية لتعطي ذروة  
معاني البقاء والخلود .

ان الرحلة في النيل - بلا شك - هي من أفضل وأجمل الرحلات  
التي يمكن أن يقوم بها المرء ، فهي الأثرى من حيث تنوع المناظر وهي الأكثر  
اثارة للقضايا التاريخية والاثنوجرافيا ( المتعلقة بالانثروبولوجيا  
الوصفية ) . وإذا كانت أهرامات الجيزة والآثار المحيطة بها في القاهرة  
تشهد اهتمام الرحالة وتثير في ذهنه كثيرا من القضايا ، فإنها - أي  
الأهرامات - مجرد بوابة للكنوز الأثرية التي يقدمها صعيد مصر .

لقد نظرنا إلى السجلات الباقية للحياة الاجتماعية والسياسية لشعب  
انعشت حضارته منذ آلاف السنين ، فحقق لنفسه القوة ، وأفرز ثقافة  
حقيقية . وقد تمثلت لنا هذه السجلات الباقية في صالات المعابد الواسعة  
وفي السرايب الغامضة والقبور الممتدة في الصحور . تعال معي لتنظر  
إلى الجدران التي تزينها الكتابات الهيروغليفية التي تكشف لنا حكاية  
العصور الفرعونية .

وعند شروق الشمس ، بدأنا الرحلة عندما حضر المرافقون وتم تحميل  
أمتعتنا . لقد استمر النيل جميلا هادئا - كما كان قبل ذلك خلال الرحلة ،  
فقد كانت مياهه الصفراء تتهدى في مجراه الواسع ببطء ، وكانت الأرض

على ضفتيه مستوية وتمتد الرمال بعيدا ، أما شاطئاه المرتفعان فمن تربة سوداء ثرية تكثر فيها المضخات والسواقي متعاقبة يتلو بعضها بعضا على نحو منتظم جميل .

وتشكل جبال شبه الجزيرة العربية الداكنة ، وجبال ليبيا البرتقالية بشموخها وجمالها شخصية الصحراء القاحلة تماما . انهما - جبال شبه الجزيرة العربية وجبال ليبيا (\*) - تقتربان اقترابا شديدا - فى كثير من المواضع - من مجرى النهر .

ثم تتراجع هذه الجبال مرة أخرى عن المجرى تاركة أحواضا واسعة جافة . ويرى المرء خلال صعود مصر كله تنابعا منتظما للسمرات الضيقة من ناحية والسهول الواسعة من ناحية أخرى .

وعرض الأرض المنزرعة حول النيل - والتي تبدو كشريط أخضر - تختلف باختلاف ابتعاد الجبال والصحارى عن النهر . وتختلط غابات النخيل ذوات الثراء الاستوائى بحقول قصب السكر الصفراء وحقول القول الخضراء وحقول القمح التي تبدو متموجة .

وفى كل مكان تتقاطع القنوات التي يرفعون الماء اليها - عندما يكون الماء منخفضا فى مجرى النيل - بالعديد من الآلات البدائية للغاية .

ومما يعطى الحياة على ضفتى النيل مذاقا أنين السواقي التي تديرها الجواميس والتي لا تكف عن الدوران ليلا أو نهارا ، والفلاحون السمر العراة الذين يجلسون على طول الشاطئ أمام الماء - واهب الحياة - الذي يسحبونه لقنواتهم وترعهم .

لقد مررنا على طول مجرى النيل بمدن وقرى . وكانت المزارع الخضراء والمآذن السامقة وأبراج الحمام هى أهم سمات هذه القرى المشيدة بالطين فغلا لونها كلون الأرض ، وكانت الفوضى الواضحة من سماتها التي لا تخطئها العين ، وتحلق حدهات كثيرة فوق مساكن الفلاحين ، كما أن نباح الكلاب وخوار الجاموس ونهيق الحمير ورغاء الجمال وأنين السواقي وصياح العرب ، والأتربة والقدارة ، والفوضى هى من الأمور المعتادة .

(\*) المقصود بجبال شبه الجزيرة العربية ، كما هو واضح ، جبال صحراء مصر الشرقية ، والمقصود بجبال ليبيا جبال صحراء مصر الغربية - كما هو واضح أيضا ، والاشارة كما - لا يخفى - اجبال المقطم التي تقترب كثيرا من النهر فى بعض المواضع .  
( المترجم )

وتقف النسور الضخام على طول الشاطئ الرملى ، والطيور آكلة الجيف بجانب الجيف التى سحبتها من فوق سطح الماء . وقد أعطى المنظر حيوية وحركة ، تلك الأسراب من الكراكي ( جمع كركي ) واللقاق ( جمع لقلق بفتح اللامين وتسكين القاف ) وطيور ( أبو ملقعة ) والبجع وأوز النيل والعديد من البط وكلاب النهر وطيور الخطاب ( السنونو ) وجيوش من طيور الرمال الصغيرة ( العصافير غالبا ) تلهو وتمرح . ويطلق الأوروبيون النار من كل دهبية على طيور الماء التى تلجأ الى هذه البلاد فى الشتاء . وإطلاق النار على الطيور من فوق السفينة ، أمر غير مجد .

### بركات الشيخ :

لقد مررنا بمدينة ( أبو تيج ) وعندها تتراجع الجبال لتتخلى المكان ليصبح مساحة مزروعة زراعة كثيفة .

وتوقفت الباخرة ، واقترب قارب ، فسألت عن سبب توقف الباخرة واقترب القارب ، فعرفت - ويا للدهشة - أن بين الجبال الصحراوية القاحلة ، قبر أحد الأولياء الصالحين ، ويسمونه شيخا Moslem Saint, a So Called Sheikh وهو يطالب بالضريبة Claims a toll (\*) ، والسفينة التى تمر دون أن تدفع هذه الضريبة تتعرض وفقا للمعتقدات الشعبية للاضطهاد أثناء سيرها فى النهر . ويتلقى ربان السفينة الأمين الذى يدفع ( هذه الضريبة ) دعوات وتبريكات من المتسولين التابعين لمقام ( قبر ) هذا الشيخ .

لقد مررنا الآن بسرعة أمام مدن طهطا Tachta وفوباس Faubas ( ؟ ) وشيداون Shidawin ( ؟ ) ، ومدينة سوهاج ذات الموقع الجميل بمنازلها ومآذنها الجميلة .

(\*) المقصود كما هو واضح ، دفع مبلغ من المال نقدا أو عينا لضريح الشيخ ، أو أن شئنا الدقة لخدام ضريح الشيخ ، مقابل أن يقوم الشيخ المتوفى بحماية السفينة من الارتطام أو التعرض لأحداث مؤسفة ، وليقوم خدام الضريح بالدعاء باسم الشيخ ( الولي ) المتوفى ... الخ . وغنى عن القول أن المسلمين المثقفين لا يندرون إلا لله سبحانه وتعالى ، كما بات معروفا أن « البقشيش » ، « الحلوان أو الحلوة » و « النذر للشيخ والأولياء » ما هي إلا أساليب تفتق عنها العقل الشرقى للحصول على « أموال » بدون عمل أو نتيجة عمل الآخرين ، وهو الأمر الذى يفسر أيضا ازدهار مهنة « السمسرة » غير المقتنة لمجرد التدخل غير الإيجابى فى أية عملية بيع أو شراء أو تداول للأموال والأعمال ... كما يرى القارئ فإن هذه الأمور لم تلق العناية الكافية بإبعادها الحقيقية - ( المترجم ) .

وتتابعتم المشاهدة الجميلة : جبال رائعة ومنحدرات تخلى المكان لتحل محلها غابات النخيل والمدن . لقد رحنا ندخن بارتياح ونتجاذب أطراف الحديث أو نقرأ ونحن جلوس فوق ظهر السفينة ننعم بالهواء النقي الذي يردده النهر ، وبرائح النباتات الأفريقية العطرة وبأشعة الشمس الرائعة . وبين الحين والحين كنا نطلق النار على بعض طيور الماء من مسافات بعيدة ، وغالباً ما كانت طلقاتنا تذهب سدى . إنها حياة كسول ، لكنها مسلية وتضيف لمعارفنا ما يزيدنا ثقافة .

### أخميم وجرجا :

وبعد الظهر مررنا بالمدينة الهامة أخميم Al-Achmim التي تقع بين النخيل ، وفي المساء ظهرت لنا مدينة جرجا Girgeh الجميلة والثرية ، عند منحنى حاد للنهر .

لقد لونت أشعة الشمس الغاربة المنظر كله بلون ذهبي . فأصبح كل شيء - بما في ذلك الجبال والنهر والأشجار والمدينة والمقول - يسبح في فيض من الألوان لا يمكن للغة أن تصف مدى تأثيرها في النفس روعة وبهاء .

فأضواء أمسيات القاهرة الشهيرة تعد مظلمة إذا قورنت بأضواء الصعيد التي تزفها الشمس إليه . لقد اقتربنا من مطار السرطان وهو حده المنطقة المدارية ( الشمالى ) واتجهت باخرتنا نحو مرسى جرجا وقضينا الليل عند الشاطئ المترب المرتفع .

### الوكيل القنصلى القبطى :

وبعد تناول العشاء صعدنا للشاطئ - مستخدمين سلماً - استجابة لدعوة وكيلنا القنصلى . هذا القبطى الثرى ، وأحاط بنا جمع غفير متنافر من الشرقيين المحبين للاستطلاع .

ووصلنا لمقر الوكيل القنصلى بعد أن مررنا بشارع ضيق على جانبيه تقع المساكن الطينية المعتادة المزينة ببعض الزخارف والكتابات العربية .

ووجدنا فى الطابق الثانى - بعد أن صعدنا سلماً ضيقاً منحدرًا - ترفاً عواناً بين حضارتين ، فنصفها شرقى ونصفها أوربى .

: فرائحة عطر الورد والأرائك التركية - فلا وجود للكراسى - والقهوة والسجائر المعطرة والجدران العارية ، والأقمشة والستائر المتنوعة من

الخامات الشرقية الثرية - كلها عناصر حضارية شرقية ومع هذا فقد بذلت جهود سقيمة لتبدو أوروبية - تلك سمات مساكن الأثرياء الشرقيين .

### موسيقا ورقص :

وما كدنا نجلس وندخن حتى ظهر فريق موسيقى مكون من أربعة عازفين ذوى منظر زرى ويملون عربا بعمائمهم الكبيرة وأثوابهم الزرق المتواضعة ، وكانت آلاتهم الموسيقية بدائية : ناي خشبى ، وجرس من صفيح ( يقصد غالبا التار أو الطار tam-tam ) وما يشبه الطبله ، وكمان يشبه آلة الجوزلا Gusla فى جنوب سلافونيا الجنوبية Our south-Sclavonic (٢) .

وفى كل مكان يسود فيه الاسلام تجده هذه الآلات الموسيقية السخيفة ذوات الأنغام الرتيبة المملة الخنفاء بشكل عام ، والتي تصدر ضجيجا وحشيا فى أحيان أخرى ، ثم يعود عازفوها ليحزفوا عليها ألحانا عابسة كثيبة بعد أن عزفوا قليلا من الألحان المرحه .

وفى جنوب أسبانيا حيث يكثر المسلمون Moors سمعت الأنغام الموسيقية نفسها بين الفجر ، انها - أيضا الموسيقا التي يجعلها السلاف الجنوبيون Southern Slaves تصاحب أغانيهم الكثيبة عن البطولة بينما هم يجلسون القرقصاء فى ليالى الشتاء حول نار التدفئة يحلمون بأيام كراجوز ماركو Kraljewic Marko المعنة فى القدم . . انها نفس خصائص الأنغام العنيفة - التي تندعو للرقص المرح - التي سمعتها فى جرجا

لقد تم عزف المقطوعة التمهيدية ثم ظهرت الراقصات فى ملابسهن الطويلة الضيقة البهيجة بقوامهن النحيل وجليهن المتدلية حول أعناقهن ، وكانت وجوههن - بحكم طبيعة عملهن كراقصات - غير محجبة ، لقد كن مسلمات ( مغربيات ) Moors جبيلات ، وقواقزيات بيضاوات يتناقضن فى ملامحهن مع الفلاحين الخالص الندين يشبهون المصريين القداماء : منخاران واسعان ، جبهة منخفضة ، أنف محدد واضح ، وقم صغير .

وهؤلاء الراقصات يشكلن طبقة متغلقة يزدريها المسلمون الأتقياء . وقد طردن من شمال مصر لما يثرنه من فتنة وغواية بتصرفاتهن غير المنضبطة لذلك فهن منتشرات الآن فى كل مدن صعيد مصر ، وتعود بعضهن فى أصولهن لبعض مدن الصعيد .



وتعشن - بشكل عام - معا في أحياء نائية عن المدن ويعرضن خدماتهن على أفقر الطبقات وعلى الغرباء الفضوليين ، ويعملن في بيوت الأثرياء حيث يرقصن بعد المآدب فيشاهد الحاضرون الذين يدخنون الشيبوك والنرجيلة - رقصهن باستمتاع كبير .

ويبدأ الرقص بأن تتحلق الراقصات في دائرة ويتثنين ، ويقمن بحركات كثيرة غير محتشمة يمنعنى الخجل من الاستطراء في وصفها ، انها عريضة ترجع - وفقا لانطباعى - لأزمة شاع فيها الانحلال والخيال المريض (٣) .

وبعد أن مكثنا قليلا عدنا الى باخرتنا - مخترقين المدينة - لننال راحة كنا في حاجة ماسة اليها .

#### البلينة :

وفى الفجر واصلت الباخرة رحلتها وقبل الظهر بوقت غير قليل كنا عند البلينة Belianeh وهى قرية طينية غير مهمة تحيط بها غابة نخيل جميلة .

ونزلنا للشاطئ دون توان والعيون المتفرسة تكاد تخرق جلودنا ، وركبنا حميرنا ضئيلة الحجم التى لم تعد اعداءا جيدا وانطلقنا خلال بساين النخيل والحدائق خارج القرية .

لقد امتد شريط عريض بشكل مقبول من الاراضى الزراعية على شاطئ النيل ويحيط بالشريط سلسلة جبال شامخة من الجانبين ، وراينا حقول قصب السكر والفول والقمح وحقول أشجار نخيل قصيرة وأشجار جميز ، كل ذلك على ضفة النيل الغربية ( صوب الصحراء الليبية ) .

لقد كانت هناك حركة دهوبة على المروج الخضر ، فقد كان السكان مشغولين بالعمل والحرث أو رعى القطعان الكبيرة . وأثناء رحلتنا لاحظنا أنه كلما أوغلنسا فى الجنوب ، زادت دكانة بشرة السكان وأصبحت ملابسهم أكثر بساطة .

#### العرابة المدفونة :

لقد رأينا لأول مرة نخيل جوز الهند الجميل bushy palm وهو شجر متوطن فى مناطق أفريقيا الداخلية .

وعند الطرف الحاد للأراضي المزروعة وبداية الصحراء القاحلة المهجورة تقع القرية القنطرة الحقيرة المعروفة باسم العرابة المدفونة Arabât-el-Madfûne بين بستان نخيل صغير • ولا يملك السكان الفقراء هنا سوى أبراج حمام ضخام ويرى المرء آلاف الحمام ترقرف بالقرب من أبراجها • انها حمامات كبيرة تكاد تكون برية •

وتبدأ الصحراء المحيطة بوادى النيل واضحة وحادة حيث ترتفع الأرض ولا يصلها ماء النيل ، ويمكن تأكيد هذه الملاحظة هنا عند آخر منزل من منازل العرابة المدفونة • انك تنتقل فجأة من أثرى الحياة النباتية الخضراء الى صحراء بيضاء تبهر النظر بضيائها - بدون المرور بأية منطقة انتقالية •

وتقع بقايا أبيدوس Abydos ذات الجدران الخالدة الزاخرة بالرسوم التى تذهل الرحالة وتبهجه - بين أحجار وقمامة على بعد مئات قليلة من الiardات من القرية ( قرية العرابة المدفونة ) •

انك تجد نفسك بين بقايا عصور سحيقة بقيت محفوظة لم يعثرها الخراب ، بسبب مناخ صعيد مصر الجميل المشمس الجاف •

ومنذ زمن الأسرة الفرعونية السادسة ( حوالى ٣٣٠٠ ق م ) وهذه البقعة قريبة من حافة الصحراء ، وكان اسمها القديم أبيدو Abidu ، وكان ينظر اليها كمقبرة مخصصة لأوزوريس Osiris مصر العليا • ومن هنا كانت أمنية المصريين القدماء الطبيعية هى أن يجدوا فى هذه البقعة مقبرة ( مئوى أخيرا ) فى رمال الصحراء • فثمة معابد عديدة لأفراد ، ومقابر فخمة لبعض ملوك مصر ترتفع فوق الرمال ، تغرى الزوار بالوقوف اجلالا للملك الموتى أوزوريس الطيب ، احياء لذكراه • ومعابد الملك سيتى الاول Seti I ( ١٣٦٠ ق م ) وابنه ووريثه رمسيس الثانى ( ١٣٠٠ ق م ) هى أوضح المباني الأثرية التى تعرضت للنهب • ومعبد الملك سيتى - خاصة - يمتاز بالرسوم والكتابات الهيروغليفية التى تغطى جدرانه وأعمدته وهى تمثل أزهى فترات الفن المصرى القديم • وحقق هذا المعبد أيضا شهرة بسبب القائمة التى تضم أسماء الملوك ( السبعة والسبعون فرعون ) منذ أيام مينا ( يسميه الاغريق مينز Menes حتى أيام رمسيس الثانى ، وتعد هذه القائمة الأساس الذى لا يقدر بثمن لكل البحوث فى مجال التاريخ المصرى القديم •

والمعبد الجنائزى الثانى بناه رمسيس الثانى ويقع الى الشمال من المعبد الاول ، ولم يحتفظ برونقه بنفس درجة احتفاظ معبد سيتى بها ،

لكن بقاءه تتكون من أحجار محببة وكتل من الالاباستر والجرانيت تحمل على سطوحها الناعمة الملساء عديدا من الرسوم والكتابات ذات قيمة فائقة للدراسات التاريخية والجغرافية والميثولوجية ( أساطير الآلهة خاصة ) المتحلقة بمصر القديمة . وقد اتخذ العديد من شواهد القبور من نكروبولس Necropolis فى أبيدوس Abydos طريقه الى فينا .

وبينما كنا نتفحص جدران المعابد وحالاتها شاهدت بعض النصور من الجبال الصحراوية المجاورة يحلق فوق رؤوسنا ثم حلقت دائرة بعيدا فى الفضاء ، وقررنا باصرار أن نغرى هذه الطيور الضخمة لنقتنصها لكن المسألة الآن كانت هى أين نجد المكان لنطرح فيه جيفة .

لقد كان خلف المعابد بعض أكوام عالية من القمامة والأحجار يمكن للمرء ان اعتلاها أن يلقي نظرة على السهل الصحراوى الواسع الذى يمتد من حافة الأرض الزراعية حتى سطوح الجبال بتكويناتها الجميلة وقممها الشامخة ، واتخذت قرارا بأن أتجول فى هذا السهل بحثا عن بقعة مناسبة ( لاغراء النصور ) ، وبينما كنت أجول شاهدت ( حقلا ) من المقابر على بعد مئات قليلة من الأمتار من المعبد .

### بقايا جثث الجيش الرومانى :

وفى أيام الأباطرة الرومان دمرت الأمراض والمجاعة جيشا رومانيا فى هذا المكان ، وظلت جثث المقاتلين الرومان ملقاة دون دفن فى فوضى هائلة ، وحتى هذه اللحظة يمكن للمرء أن يتخيلت - حرفيا - عن جثثهم ( أجسادهم bodies ) ، فالشمس الأفريقية والرمال الحارقة والهواء الخالى من التلوث عملت جميعا على حفظ الجثث فجعلتها كأنها محتضات طبيعية . لقد وقفت أمام أجساد وأذرع وسيقان وأيد لازال اللحم الذى سقته الشمس عالقا بها . والجماجم المكشرة لازالت تتغلف بفروة الرأس ، وطيات اللحم الداكنة على الوجنات لفتت نظرى على نحو خاص ، وأخذت معى - كتذكار - واحدة كان منظرها لا يبعث على الرعب كمنظر الجماجم الأخرى ، ان المرء يخوض بالفعل فى بحر من الهياكل العظمية والاثربة . لقد كانت صورة الصحراء كالتالى : سهل أبيض متألق ، رمال تحرق الاقدام ، عظام مبيضة متناثرة ، مسرح للثعالب وحيوانات ابن آوى ، والنصور الصلعاء تحلق عاليا ، وفى خلفية الصورة الحیود الجرداء العارية لجبال الصحراء . ليس من ورقة نبات خضراء تسعد العين وليس من شيء يخفف من وطأة انعكاسات الشمس الحارقة على كتل الصخر الأبيض والبصقراء وأكوام الرمال التى اتخذت أشكالا واضحة تحت السماء

الصيقة زرققتها • ليس من شك في أن روح الشعر تغمر الصحراء ، فهي رغم رتابتها تقدم لنا مناظر فخمة مهيبة • وأخيرا وجدت تلا منخفضة بدا يمكن استخدامه لتجذب به تقدمنا ، لذا فقد أسرع أقود الخروف الى الموضع وطمنت ونزعت أحشاءه ، وهيات القطعة الأولى لاغواء النسور ، وأسرع عاندا لرفاقي في المعبد •

وبعد أن تفقدنا بدقة كل الآثار تناولنا افطارنا الذي كنا قد أحضرناه معنا في إحدى القاعات القديمة • وماكدنا ننهي طعامنا حتى قمت ومعى هويوز Hoyos بزيارة موضع الخروف ، وماكدنا نصل الى مسافة يمكن منها أن نطلق النار حتى اكتشف نسر حذر ، اقترابنا فضرب بجناحيه وارتفع عن الأرض ، وتبعه مالا يقل عن عشرين من رفاقه شديدي البأس • وكان هويوز Hoyos حسنا حظه حتى انه أسقط نسرا أبيض كبيرا أصلح الرأس من بين هذه المجموعة • أما أنا فكنت أقل مهارة فأصبحت نسرا كبيرا جدا بجرح غائر فطار على ارتفاع منخفض عبر السهل • لقد مزقت هذه الطيور التجارة جثة الخروف المسكين بشراسة والتهمتها ، فلم يبق منه سوى فروته ، وبعض القطع الممزقة •

### فلاح أنهى يتاجر في الآثار :

وبعد انتهائنا من هذه الجولة من جولات الصيد ، عدنا لرفاقتنا الآخرين وذهبنا معهم نحو القرية حيث زرنا فلاحا أعمى ، وكان هذا الرجل المحترم واحدا من أغنى ملاك العقارات في القرية ، ويمارس بالاضافة لذلك الاتجار في الآثار المصرية ، فهو يحفر المعابد وحولها ، رغم مخالفة عمله هذا للقانون • وقد حصلنا - بتوجيه من برجش باشا - على بعض العاديات الصغيرة ، وأتيح لنا - في الوقت نفسه - أن نتفقد المنزل البدائي - ولا أقول القدر - لسكان وادي النيل •

ومن العراة المدفونة ركبنا عائدين عبر الريف الى البلينة Belianeh وكنا نمارس الصيد أثناء الطريق ، فقد أطلقنا بنادقنا على طرائد صغيرة ، وكنا مشوقين على نحو خاص لاصطياد النسر المنقض ( ؟ ) Glide-eagle وهو طائر أفريقي جارح له ريش أزرق وأبيض ، ويرتاد بأعداد كبيرة بساكن النخيل وآبار السحب •

وبعد الظهر عدنا للباخرة ، وتابعنا ابصارنا في النهر جنوبا لمعة ساعتين قبل أن يحل الظلام ، لم تتغير المناظر الا قليلا ، لكن المساء الجميل ومنظر الشمس الغات عند الغروب أمتعنا ، لا بسبب جمال الألوان

وتدرجها فحسب ، وانما لأن ذلك أتاح لنا الخروج ببعض الملاحظات  
الاثنوجرافية البشائية . فعند الغروب يقود الفلاحون جمالهم وجواميسهم  
وحميرهم وماعزهم وأغنامهم لتشرب آخر شربة لها فى النهار ، فيزدحم  
الناس على شاطئ النهر لهذا الغرض : انهم رجال ونساء كأنهم أتوا من  
عصور سحيقة ، يتوضأون وفقا لتعاليم القرآن (الكريم) ، وتحمل النسوة  
جرار الماء ( الزلع أو البلايص ) ، انها الجرار نفسها التى استخدمها  
الفراعنة ، لم تتغير أشكالها أو مادتها ، انهن يملأنها من ماء النيل الجارى  
لاستخدام المساء ، وتبتل ثيابهن الزرق الرقيقة بالماء فتلتصق بأجسادهن  
الرشيقة ، ويعيونهن السوداء الواسعة تتلألأ حزنا على صفحات مياه  
النيل ، وأفواههن المفتوحة شيئا ما تنطق بالأغاني الحزينة . انهم البشر  
نفسه الذين رأيناهم مصورين على جدران المعابد ، وبدا لنا وكأن القبور  
فتحت للسماح لرعايا الفراعنة بالعودة على ضفاف النهر المقدس .

وأوقفنا باخرتنا عند قرية صغيرة ، وبعد أن قضينا أمسية بهيجة  
خلدنا للنوم ، وعند شروق شمس الثانى من مارس واصلنا رحلتنا ،  
وقضيت فترة الضحى على ظهر السفينة لاحظ المناظر الجميلة على  
الشاطئ ، مع أنها المناظر نفسها التى مرت بى فى الأيام الماضية : حقول  
خضراء وبساتين نخيل ومدن صغيرة وجبال تنحدر فى الوادى . وعلى طول  
الشاطئ الرمل الطويل كان يوجد - على أية حال - ثراء فى الحياة  
الحيوانية لم نعتده من قبل . أسراب هائلة من البجع ، وطيور البلشون ،  
والأوز . وأكد مساعد الصيد التابع لى أنه رأى تمساحا :

## قنا :

وعند الظهر وصلنا قنا ، وهى مدينة ذات مساحة معقولة ومشيدة  
بيوتها من الطين وتزدان بمئذنة سامقة ، وقد رست بنا السفينة ، فركبنا  
حميرا ومررنا ببساتين نخيل جذابة ، الى جانب قرية باثسة كانت تسور  
الجيف تقف على أكوام السماد ( السباح ) فى حداثتها ، رغم وجود  
اللبجاج غير بعيد عنها ، وسرعان ما وصلنا للسبل المزروع زراعة جيدة .

وينشئ النيل عند قنا ويقترب كثيرا من جبال الصحراء الغربية  
( الجبال الليبية ) ، لذا فالشريط الزراعى ضيق جدا وبعد ركوب دام  
نصف ساعة وصلنا - لمعبد دندرة Dendera الشهير . انه يقع - مثل  
بقايا أسلموس - على حافة الأرض الزراعية ، وان كان المعبد نفسه قائما  
فى رمال الصحراء .

ولا أجد في هذه المناسبة أفضل من إيراد كلمات صديقي برجش Brugsch عن هذا المعبد :

« دندرا اسم حديث لمعبد يتردد الناس عليه كثيرا للزيارة على الضفة الغربية للنيل في مقابل مدينة قنا الواقعة على الضفة الشرقية للنيل ، وكلمة قنا تعريب للكلمة الاغريقية Caenopolis وتعني المدينة الجديدة كما أسماها الجغرافيون اليونان ، والكلمة اليونانية بدورها مساوية ( مرادفة ) للاسم القديم تنتار Tantare . ومعبد دندرة لا زال يحتفظ بروقه القديم وهو مخصص لعبادة الربة هاتور Hathor ، وهي بمثابة الربة فينوس Venus عند اليونانيين ، ويرجع تاريخ المعبد الى أواخر عهد البطالسة وبداية عهد الرومان في مصر . وترجع أهميته الى المعلومات التي يقدمها عن تصميم المعبد المصري القديم ، بوحدياته المختلفة .

واذا وضعنا في اعتبارنا معبد ادفو كمعبد مشابه ، بل وأكثر اكتمالا ، اتضح لنا أن وحدات ( أجزاء ) المعبد المصري القديم كالتالي :

١ - برجان ، كالجناحين في مقدمة المعبد ، بينهما يقع المدخل الرئيسي .  
والى اليمين واليسار من البوابة مسلتان وتمثالان للملك المؤسس تشكل ( التمثالان والمسلتان ) الواجهة الأمامية للمعبد .

٢ - ساحة مكشوفة ذات أروقة معمدة تسمى البهو المعبد Peristyle .

٣ - مجاز ( أو ردهة ) ذو واجهة نصف مفتوحة في المقدمة ، تتجلى واضحة في معبد دندرة ، وتزين الصور الفلكية ، والكتابات المناسبة هذا المكان .

٤ - صالة الطعام banquet وعن يمينها ويسارها غرف .

٥ - غرفة الأضاحي ومنها غرف جانبية .

٦ - الغرفة الوسطى ، ومنها أيضا غرف صغيرة .

٧ - المقدس أو قدس الأقداس ويقع في وسط الجزء الأكثر إغلا للداخل وكأنه معبد داخل معبد . وفي قدس الأقداس مصلى حجرية بها صورة لاله الضريح ، بالإضافة للقوارب المخصصة لأغراض نبيلة خاصة ، وفيها صور الكهنة يحملون صور الآلهة ، ويفصل قدس الأقداس عن الغرف الأصغر مساحة ممر خاص ، والغرف الأخرى الأكثر أهمية تقع مباشرة خلف هذا الممر . ان قدس الأقداس يمثل الجزء الأساسي لأي معبد فرعوني ، فالمحور الأساسي لمبنى المعبد يمر بالضبط من وسطه .

ومن المر يصعد المرء ما يشبه الدرجات الى كل الغرف المتتابعة .  
وتصميم معبد سليمان Temple of Soleman بصفوف أعمدته وقاعاته  
وممراته وقاعة أضحياته وقدرى أقداسه ( مكان العهد ) يماثل بالضبط  
معمار المعبد المصرى القديم .

وقد تفحصنا على ضوء المشاعل كل غرف المبنى الكبير ، والسرايب  
الضيقة ، والسلالم ، والممرات . وبقيت مدة طويلة فى الظلام تحت القاعات  
المعمدة ، وكانت كتل الأحجار الضخام غير المطلية مزدانة بالتقوش  
الهيروغليفية الثرية مستلمية فى أفئدتنا تلك الأيام الخوالى . ان المرء  
لا يتصور بقايا من العصور القديمة أكثر حيوية من تلك الموجودة فى معبد  
دندرة بجمالها الغامض البديع ، فالمرء يرى بعينى روحه كهنة هذه الديانات  
القديمة يتحركون بثيابهم البيض الطويلة ولحاهم السود المجدولة وأغطية  
رؤوسهم المرتفعة ، حاملين الاضاحى لتقديمها للآلهة القوية لمملكة النيل  
القديمة .

وفى الممر المهجور تعشمش الخفافيش الآن بأعداد كبيرة لا تصدق ،  
وفى الصالة الكبيرة تقف بومة ، بينما على الافريز بنى زوج من الغربان  
عشيهما . وأطلقت بندقيتى على أنثى الغرباب السوداء الكبيرة بينما تطير  
محلفة عبر البوابة .

والقينا نظرة ممتعة - من بعيد - من فوق سطح المعبد ، على النيل  
والأرض الخضراء على احدى الضفتين ، وعلى الصحراء الشاسعة والجبال  
من خلفها ، على الضفة الأخرى . انها صورة جليلة : آثار داكنة وصحراء  
خالية وجبال متفردة ، لا شىء أخضر ولا حتى شعاع من أشعة الشمس  
يسعد العين ، فعظمة الألوان وتألق السماء قد غابا عنا هذا اليوم بعد  
الظهر ، فكل شىء لفته الظلال الداكنة ، وأصبحت السماء قاتمة لا من  
سحاب - فهنا غير معروف فى مصر العليا - وإنما بفعل الأتربة والرمال  
وركود الهواء ، وكل أولئك مقدمة لهبوب رياح الخماسين Champsin  
التي تعد من رياح الصحراء القاسية .

وعدنا مساء لسفينتنا ومارسنا الصيد طوال طريق العودة وقضينا  
الليل على سطح السفينة وهى راسية فى الموقع نفسه ، وفى بكر الصبح  
واصلت السفينة إبحارها فى النيل . كانت رياح الخماسين الثقيلة تعبت  
فى الوادى وغطت سحب الرمال الصحراوية الجبال وكأنها ضباب .

وظهرت الشمس كقرص أحمر - لم تستطع أشعتها اختراق جيوش  
الأتربة والرمال . كل شىء غطته الرمال التي كانت تتوغل حتى الى كبائن

سفینتنا المغلقة ، وسببت ازعاجا مرعبا ، وساد الهواء الثقيل الباعث على الاحباط ، لكن ذلك أعطى المناطق الأخرى ( البعيدة عنا ) منظرا جميلا ، وتأملنا مندهشين في هذا الأمر الذى بدأ لنا بعدا غريبا من أبعاد الطبيعة .

وأطلقنا البنادق على البجع ، ودجاجات النهر وبعض نسور الماء المزعجة ، لكن ذلك كان بلا جدوى ، فقد كانت المسافة بيننا وبينها طويلة . ومررنا ببعض المدن ، كان من بينها فقط Kusft وقوص Kus .

طبيعة المنطقة هي نفسها ، وكل ما حدث من تغير هو تراجع الجبال لتخلي مكانا لطيبة ذات الشهرة في التاريخ القديم بالإضافة لثرائها وجودة زروعها .

### طبينة :

وفي الساعة الثانية عشرة وصلنا لمرسى مدينة الأقصر المهمة . وكان فى المرسى باخرة بريد وبعض الذهبيات ( البواخر ) الخاصة بالمسافرين الأوربيين . والأقصر الحديثة ، مدينة عربية أصيلة ، مساكنها مشيدة من الطين ، وتقع فى وسط بقايا الآثار المصرية القديمة ، وإن امتدت على نحو ما فى مواجهتها . فعلى ضفتى النيل نجد الأرض مغطاة لمسافة طويلة ببقايا طيبة ، وتمتد على الضفة الغربية ( الشاطئ اليبى ) حتى الجبال .

ورسست سفینتنا بمجرد وصولنا وصعدنا الى الشاطئ الرملى واستأجرنا بعض الحمير من ميلان بلاني يقع أمام فندق الأقصر ، وهو فندق صغير قدر ، وركبنا الحمير ومررنا بشوارع المدينة الضيقة مارين بسوق غير عامرة بالبضائع ، وإن رأينا فيها خلقا كثيرا ، يترددون جيئة وذهابا على أحد أحياء المدينة لا تسكنه الا الخوازي Ghawazi ( الراقصات ) ، فالأقصر مشهورة برصيدها الكبير من الراقصات . وبعد آخر المساكن أقيم معسكرنا ذو الطابع الفجرى فى أرض رملية ، ولم يكن المكان نظيفا .

وسرعان ما وصلنا لمنطقة مكشوفة فسارت حميرنا بسرعة بين أشجار النخيل والحقول المزروعة . وعلى البعد أمكننا رؤية بقايا الكرنك العظيمة : بوابات ضخمة وأعمدة وجدران . فالكرنك يقع فى الأرض الزراعية الى جوار بستان نخيل رائع . وتعد النخلة الجنوبية شعارا لأفريقينا فهي تقدم للرأى صورة ذات تأثير ، بالإضافة للآثار المتألقة التى تعيد للأذهان حضارة أعرق شعوب الشرق حضارة .



وعند مدخل الكرنك تقع قرية صغيرة ومزرعة لم تنم أشجارها نمو  
كاملا . وثمة أسراب من طيور آكل النحل يرعوسها الزرقاء ، وبحركتها  
التي تشبه حركة الفراشات كانت لا تكف عن الطنين ، وقد أطلقنا بنادقنا  
على كثير من هذه الطيور الأفريقية الجميلة طمعا في ريشها الجميل .

### آثار الكرنك العظيمة :

دعونا الآن نأخذ قبسا من كلمات برجس باشا الذى كان دليلاً  
ومعلما وذوافة طاف بنا خلال آثار الكرنك العظيمة ، تلك الآثار التي  
تعود لأزمنة موهلة في القدم :

« معبد الكرنك كان فيما مضى يرتبط بالأقصر بطريق طويل بشكل  
غير عادى (طريق أبى الهول Sphinx avenue) وهو - أى المعبد - عبارة عن  
مبنى ضخيم يتكون من مبان تعود الى حقبة تاريخية مصرية مختلفة ، فغالبا  
ما كان كل ملك - خلال فترة امتدت حوالى ألف وسبعمائة سنة يشعر أنه  
لزاما عليه أن يخلد ذكره بتشييد مبنى ، ومن هنا فان تازيخ الامبراطورية  
طوال هذه القرون قد مثل فى هذا المعبد الامبراطورى . ويعتبر الفراعنة  
الذين سنذكر أسماءهم توا هم أبرز مؤسسى هذا المبنى :

١ - تحتمس الثالث وأخته حتشبسوت Hatchep ( حوالى سنة ١٦٠٠ ق  
م ) واليهما تعود مسلات الكرنك وقد سجلت انتصارات تحتمس  
الثالث فى آسيا وأفريقيا من خلال رسوم وكتابات ثرية قدمت  
معلومات مهمة تاريخية وجغرافية عن هذه الحقبة .

٢ - سيتى الأول ( ١٣٦٠ ق م ) وهو مؤسس الصالة الكبيرة فى المعبد ،  
تلك الصالة المقامة على ١٣٤ عمودا تذكرنا - بتصميمها وزخارفها -  
بمعبد أبيدوس . وفى الجدار الشمالى الخارجى صور تمثل الحروب  
بين هذا الملك والقبائل العربية والسوية كما تمثل عودته لمصر .  
وهى رسوم ذات قيمة تاريخية عالية .

٣ - رمسيس الثانى ( سيزوستريس ) ( ٤ ) وهو الذى أكمل ممر الأعمدة  
بعد موت والده سيتى الأول ، وسجل الجدار الجنوبى الخارجى  
حروب هذا الملك مع ملك الحيثيين Heth وحلفائه الآسيويين . . .  
وثمة إشارة أيضا الى شيشانق الأول Shashank I ( وهو الملك  
شيشانق الوارد فى الكتاب المقدس ) ليسجل معركته ضد مملكة  
يهودا Judah من وجهة نظر مصرية . والى الجنوب من معبد  
الكرنك - فى اتجاه النهر - يوجد معبد بحالة جيدة هو معبد الاله

القمرى شوزو Chousu وقد أنشأه رمسيس الثالث ( ١٢٠٠ ق م )  
وثمة عمود مربع Pylon مهيب أمامه يعود لأيام البطلمة ، ومعبد الاله  
Chousu يشير أيضا لسقوط الفراغة الرماسة Ramses ( انتهاء  
دولتهم ) « :

وفي الاتجاه الجنوبي من الكرنك ، يوجد حرم مقدس خاص لموت  
Mut زوجة آمون الذى يعتبر بمثابة زيوس zeus اليونانى - الى جوار  
بحيرة لا تزال موجودة .

وتماثيل آلهة القمر والنور المصرية Egyptian Juno كلها من  
جرانيت أسود لها رؤوس أسود ، والواحد منها يمثل ربة تقف وقفة  
جليلة ، وكلها محيطة بالتافورة المقدسة ، وحتى الآن لا تزال بعض هذه  
التمائيل فى مواضعها القديمة . وقد تم نقل بعض أفضل هذه التماثيل  
- منذ أعوام عديدة - الى متاحف أوروبا المختلفة .

وبعد أن تجولنا بين القاعات الواسعة وبين ما لا حصر له من الأطلال  
والأعمدة عدنا من الطريق نفسه الى الأقصر . وفى أوسط المدينة يقع  
منزل الوكيل القنصلى لبريطانيا وهو عربى ثرى ، وكان بيته محاطا بغاية  
من الآثار القديمة ، وقد استقبلنا هذا الرجل العجوز الماكر بزي نصفه  
أوربى ، ورحب بنا بحرارة ، وعرض أن يبيعنا آثارا مصرية بأثمان باهظة .  
واشترينا بعض القطع الجميلة وشربنا فناجين القهوة ، وهذا أمر  
لا مفر منه ، ثم تابعنا تفقدنا للآثار داخل المدينة . ومرة أخرى أدع برجش  
يتحدث بدلا عنى :

« كانت طيبة منذ القرن الخامس والعشرين قبل الميلاد ، وطوال  
ألف وسبعمائة سنة العاصمة المتألقة للامبراطورية المصرية ، وحتى أغانى  
هومروس Homer أشارت الى شهرتها وعظمتها . ويقسم النيل المدينة  
الى قسمين كما ورد فى كتابات كثيرة ، ووفقا لبقايا المباني القديمة التى  
مازالت باقية . والشطران معا يمثلان مدينة Uas أو Pi Amon أى مدينة  
آمون أو كما سماها الاغريق ديوبولس Diospolis والجزء الواقع  
على الضفة الشرقية للنيل يختص باسم آبي Api أو تابى T-Api ، والى هذا  
الاسم الأخير يرجع الاسم اليونانى Thebai أو Thebae .

وقد أطلق المصريون المحدثون على الآثار والخرائب على هذا الجانب  
اسم الأقصر El-lugsor ( القلاع باللغة العربية عسادة ما تكتب  
الأقصر ) (\*) وهذه الآثار بالإضافة للكرنك لا تزال - حتى الآن - تشير

(\*) هذا غير صحيح كما لا يخفى على لطفة القارئ - ( المترجم ) .

اعجابا شديدا . ففي الأقصر مبانى الملك أمنوفيس الثالث Amenophis III ( سنة ١٥٦٦ قبل الميلاد ) وإلى الشمال منها مبانى رمسيس الثانى ( سيزوستريس ) ، وكلها مبان قوية جليلة ، والجانب الأمامى لجناح بوابة معبد رمسيس مزدان برسوم عن معركة رادوش Radosh فى أورنت Orontes وهى المعركة التى حقق فيها الملك نصرا واضحا على الحيثيين وحلفائهم ، وقد بقيت مسلة واحدة ( وهى المسلة الشرقية ) من المسلتين فى موضعها القديم . أما عن الأبعاد المتعددة للتماثيل الضخمة لهذا الملك فيمكن جمعها من الرسوم الناتئة من الأرض ، .

وبينما كنا ننظر لمختلف الآثار تحلق العرب الجشعون حولنا حاملين معهم قطعاً أثرية صغيرة ( وهى آثار فى غالبيتها - وفقا لما قاله برجش باشا - مزيفة ) وقالوا انهم استخرجوها من الحفائر ، عرضوها علينا بطريقة لحوحة تبعث على الضيق ، وكان لابد أن ندافع عن أنفسنا بطريقة عنيفة ازاء انلفاعهم وزحامهم وكثرة ايماءاتهم .

### العبادة :

وفى شارع جانبى وجدنا جماعة من العبادة Ababdehs وهم جنس غريب ، فهم - على الأقل - ليسوا عربا ، ومظهرهم أجنبى تماما وبعيد عن الجنس السامى ، كما أنه بعيد تماما عن أن يكون جنسا زنجيا .

وهم يدعون أنهم منحدرون من بعض الأجناس الآسيوية النائية ، وكان هذا الجنس الآسيوى فى حالة هجرة فى أيامه الأولى - انه الجنس الكوشى Kushites - متخذاً الاتجاه الجنوبى ثم مساحلا لسواحل المحيط الهندى فسواحل جنوب شبه الجزيرة العربية ، ومن ثم دخلوا أفريقيا ، واستقرت هذه العشائر المميزة فى الحبشة وما ورائها وفى مناطق الصومال ومن ثم اتجهوا الى أسوان ومنها الى طيبة .

والعبادة Ababdahs بشكلهم المميز يعدون حتى الآن طبقة منفصلة واضحة تسكن التلال الى الشرق من النيل بين النهر والبحر الأحمر بلدا من طيبة الى جنوب أسوان . انهم جيليون بؤساء يعيشون فى الأودية الصحراوية الجبلية ، واحتفظوا بطابعهم دون تغيير وظلوا دون كبير تطور .

انهم متوحشون وغير اليقين ، بكل ما فى هذه الكلمات من معان ، وتنبى. جلودهم النحاسية وأجسامهم النحيلة وملامحهم الدقيقة. عن أصول هندية . وشعورهم سوداء يدهنونها بالشحوم ويجعلون منها قرونا

يشبنونها في هيئتها بقطع من الخشب ، أما ثيابهم فبعض أسمال بسيطة  
قدرة يلفونها بشدة حول أجسامهم .

ويضعون جميعاً حلقات في آذانهم وحول أذرعهم فحتى الصبي  
الصغير يضع حلقة في أنفه . أما أسلحتهم فسيوف عتيقة - من بينها  
سسيوف أوربية تعود لفترة الحروب الصليبية - وعصى خشبية ورماح  
بدائية ودروع جلدية وسهام وأقواس وجعبة سهام تلقى منهم عناية  
خاصة ، ولكنهم لم يرغبوا في بيع أى من أسلحتهم هذه ، واحتاج الأمر  
لتدخل عبد القادر باشا ليندبر لى كثيراً منها .

لقد كانت ضربة حظ أن نلتقى بالعبادة فى طيبة فهم نادراً ما يأتون  
لأسواق هذه المدينة ، لكننا عندما وصلنا لأسوان ، أتاحت لنا الظروف أن  
نعرفهم بشكل أفضل (٥) .

وبعد هذه المقابلة الشائقة مع العبادة انقسمت مجموعتنا :  
أما الدوق الكبير وأنا فقد ركبنا عائدتين للكرنك مرة أخرى لنمارس صيد  
الحيوانات البرية مساء ، بينما عاد باقى الرفاق الى الأقصر . وقد أرشدنا  
صياد عربى اسمه خليل الى منطقة قريبة من آثار الكرنك ، وكانت هذه  
المنطقة التى دلنا اليها خليل بالقرب القريب من منازل قرية صغيرة ،  
فبمجرد أن تركنا هذه المنازل استندنا فى الحقول وسرعان ما وصلنا لتل  
رملى يقع فوقه مقام أحد الأولياء المسلمين القدماء .

وأوقفنا الصياد العربى فى مركزين ( نقطتين ) مختلفين فى ظل  
بستان نخيل صغير ، وأصدر الى تعليمات بأن نجعل بنادقنا جاهزة  
للاطلاق وأن ننتظر بسكون كامل حتى تجرى الأمور فى مجراها الصحيح .  
كانت رياح الخماسين قد بدأت تهب بعد الظهر ، لكن المساء كان جميلاً  
عميق نهار سيىء . وغربت الشمس بعظمة غامرة سهل طيبة الواسع وجبال  
الصحراء التى تتسم بالشموخ هنا ، وآثار الكرنك الجلييلة بألوان بهية  
غاية فى البهاء . وحركت النسائم العلييلة جريد النخيل وسعفه ، وهبت  
الروائح الشافية من النباتات اليائعة وهطل الحمام فوق الشجيرات هديله  
ذا الشجن ، وشمل السكون كل ما حولنا فكان لهذا تأثيره الملطف بالنسبة  
لى ، فكاد النوم يغلبنى ، فهزنى خليل بشدة ، على حين غرة - وكان يكمن  
بالقرب منى - وأخبرنى بلهجة حادة أن حيواناً من حيوانات ابن أوى  
، بالقرب منى وأقلت . كان الليل فى هذه الاثناء قد هبط فاتخذت  
مع الدوق الكبير طريقنا عائدين . وأثناء العودة لمحت شبح حيوان يمرق  
سريعاً ، فأطلقت بندقيتى كيفما اتفق ، وغمرتنى السعادة اذا اكتشفت أنني

قد اصطدت حيوانا من حيوانات ابن آوى . وبعد حصولي على هذه الغنيمة التيمنة ، وصلنا في الحال الى حيث الحمير تنتظرنا ، فركبنا مسرعين الى الباخرة . وقد غمرنا السرور .

وأخذ بعض منا بنصيحة خليل فبدؤوا في يكور صباح اليوم التالي قبل بزوغ الشمس بوقت طويل وذهبوا الى بركة بعد أنار الكرنك (٦) ، تلجأ اليها الحيوانات الكبيرة غير المستأنسة لتروى ظمأها ابتداء من فترة ما بعد الغروب . كان الطريق طويلا يخيم عليه سكون الموت فليس من صوت الا عواء حيوانات ابن آوى ونباح الكلاب شبه المتوحشة - تأتينا بين الحين والحين لتقطع سكون الليل . وأخيرا وصلنا للبركة أو ان شئنا الدقة مستنقع الماء المتخلف عن فيضان النيل ، وأعد خليل مواضع البنادق بسرعة بينما رحنا نحن نلاحظ باهتمام شديد حتى أشرقت الشمس ذهبية حمراء على النيل العربي ، ولم نر شيئا سوى واحد من حيوانات ابن آوى تركه الهر راث Herr Rath ينسل هاربا .

ان الفترة القصيرة التي تمثل مرحلة انتقال بين ظهور حمرة الأفق حتى شروق الشمس ، تمثل ثراء في الألوان ، وتباينا ساحرا ، لا مثيل له الا في داخل أفريقيا . ورأينا كثيرا من الطيور من أنواع مختلفة ترد الماء فقررنا أن نقضي فترة ما قبل الظهر في اصطيد الطيور ، وبالفعل أصبح في حوزتنا عدد كبير من الطيور الصغيرة . كان من بينها عدة أنواع من السمان ، ويوجد هذا الطائر في هذه المنطقة منتجعا شتويا له . ووصلنا لآثار الكرنك بعد جولة في الحقول . وقد عاد عدد من الرفاق الآن الى الأقصر بينما تخلفت أنا وتخيرت لي مكنا بين الحرائب لأراقب جيفة قريبة في انتظار قدوم النسور الكبار . ولسوء الحظ لم يظهر الا واحد من نسور الجيف وحدا ، ولم أطلق بندقيتي على أى منهما .

ولم يكن هذا النهار ملائما لهذا النوع من الرياضة ( صيد الطيور ) لأن سحب الرمال كانت تغطي المكان حاجبة عنا حتى رؤية أقرب الجبال ، فقد عادت رياح الخماسين عاصفة هذا الصباح ، لذلك سرعان ما غادرت مكمنى بين أطلال مصر القديمة واتجهت الى بركة مائية صغيرة تحفها ألواح حجرية وهي بركة قديمة تقع بين البقايا الأثرية ، فهنا تلجأ بعض طيور الشنق ( أو الجهلول ) وبعض طيور زمار الرمال ( أو الطيطوى ) لتلتقط أنفاسها بعد رحلة شاقة ، وقد أطلقت بندقتي مرات عدة فأنهيت حياتها المضطربة .

وركبت شاقا أقصر الطرق الى الأقصر ومن ثم للباهرة . وكنا قد  
خططنا لفترة بعد الظهر للقيام بأول زيارة لآثار الضفة الغربية ، لكننا  
اضطررنا لتغيير خططنا بسبب العواصف الرملية وقررنا تأجيل زيارتنا  
لطيبة الغربية بعد عودتنا من زيارة الشلالات ( الجنادل ) .

وقضينا جانبا من فترة ما بعد الظهر فوق ظهر السفينة وجانبا  
آخر فى الأقصر ، وذهبت مع برجش باشا لزيارة الوكيل القنصلى لالمانيا ،  
انه رجل قبطى يعمل بتجارة الآثار ، ووجدنا عنده قطعا أثرية أفضل من  
تلك التى كانت عند الوكيل القنصلى لانجلترا الذى زرناه فى الأمس .  
وقد اشترينا منه قطعا مختلفة قيمة وضعناها فوق ظهر الباهرة .  
ومما يذكر أن مجموعة المتحف المصرى تنمو بسرعة .

### أرمنت :

وواصلنا رحلتنا جنوبا عند شروق شمس اليوم الخامس من الشهر .  
وبناء على نصيحة بعض الأوربيين فى الأقصر قررنا التوقف عند قرية  
مجاورة هى قرية أرمنت مشهورة بمصنع السكر ، وبكثرة مزارع القصب  
بها ، وخصصنا عدة ساعات للصيد هناك . وبعد ساعتين وصلنا الى  
أرمنت ، وقد استقبلنا بعض السادة الفرنسيين المسئولين فى المصنع  
- المصمم على النسق الأوروبى تماما - بحرارة ووضعوا فى خدمتنا عددا  
كثيرا من عمال المصنع كنا نحتاجهم لاثارة الطرائد المختبئة فى مزارع  
القصب الكثيفة ، وأعدوا لنا قطارا كان علينا استقلاله للوصول الى المناطق  
الملائمة للصيد ، فمررنا فى طريق تحفه أشجار الجميز الجميلة بالقرب  
من المصنع ، وفى غضون دقائق وصلنا لمحطة صغيرة لحط سكك حديدية  
قصير يربط المصنع بمزارع القصب .

وكان علينا بعد ذلك أن نجتمع العمال الذين سيقومون باثارة  
الطرائد ، وأتى حشد من الفلاحين قادمين من المصنع وتجمعوا مباشرة فى  
عربات خاصة تستخدم لنقل القصب ، وجعلنا أنفسنا فى آخر عربة من  
هذه العربات وبدأنا نشق السهل مخلفين وراءنا البساتين الجميلة للموظفين  
الفرنسيين ثم مررنا بقرية ريفية بائسة حولها بستان نخيل صغير .

وبعد رحلة قصيرة توقف القطار . ليس ثمة الا شريط ضيق من  
الأرض الزراعية يفصل النيل عن الصحراء التى تقترب كثيرا من النهر  
فى هذه المنطقة .

وأثار الفلاحون الطرائد فى أقرب حقول القصب ، ولسوء الحظ أن حقل القصب كان واسعاً وكثيفاً جداً فلم ننظر بما كنا نأمل فيه ، غير أن ذئبا واحداً ظهر واستطاع أن يهرب من مكنه دون أن يمسسه سوء . وسرعان ما أدركنا ألا جدوى من محاولتنا فعدنا للقطار ، وفى طريق العودة - من خلال القرية التى ذكرتها للتو آنفاً - أطلقت بندقيتى أثناء ركوبى على نسر من نسور الجيف كان يقف مع نسور أخرى الى جوار منزل طينى . وفى حديقة أحد الموظفين الفرنسيين أرونا حيوانات ابن آوى ، كما أرونا - ما يظنه هؤلاء الناس الطيبون - أوكارا للذئاب . ولم تكن محاولة احضار كلاب الدشهند هنا مجدية ، فعدنا لباخرتنا بعد أن غبنا عنها فترة وجيزة .

وكان لأرمنت دور مهم فى التاريخ القديم ، فاسمها باليونانية هرمونثز Hermonthis وبالمصرية القديمة اسمها آنمونث Anmonth.

ولأن أرمنت تقع على الضفة الغربية للنيل كما تقع الى الجنوب من طيبة ، فانها بمعابدها المكرسة لعبادة الاله مونت Month ( وقد نهب اللصوص المصريون آخر هذه المعابد منذ سنوات قليلة ) تعد من بين اقدس المواضع .

وبعد التدهور السياسى لمدينة طيبة ، أصبحت أرمنت عاصمة للطيبين ، كما كانت أرمنت المقر الفعلى لحكومة السلطات الاغريقية الرومانية فى جنوب مصر . ويوجد ضمن المجموعة الامبراطورية فى فينا الآن قطع عمود من الجرانيت الأسود كان موجودا على شاطئ أرمنت . وفيما يلى ترجمة برجش باشا للوحة الجرانيتية السوداء الموجودة فى أرمنت والتى تعود الى الملك أمينوفيس الثانى Amenophis II ، حوالى ١٥٦٠ قبل الميلاد وهى مجرد تكرار لما فى معبد Amada فى النوبة :

« فى السنة الثالثة ، فى اليوم الخامس عشر من شهر أبيب  
In the year 3, on the 15th day of the month Epiphi,

تحت حكم حورس المهيّب الجليل القوى ،  
Under the government of Horus the mighty and powerful bull,

تحت حكم صاحب السلطة الملكية الذى يمتد سلطانه بعيدا ،  
Of the possessor of the diadem whose power reaches far,

الذى توج فى طيبة ،  
Who Was crowned in Thebes.

تحت حكم حورس المنتصر الذي وحده ( مصر ) كلها بالقوة ،  
Of the victorious Horus who had taken possession by force of all the  
Country.

تحت حكم المقدس صاحب الفضل ،  
of the divine benefactor,

تحت حكم الاله الذي جعل ( مصر ) ثرية ،  
of the Lord who makes Egypt rich.

تحت حكم ملك مصر العليا ومصر الدنيا ، رع - آ - شبيرو  
of the king of upper and lower Egypt, Ra-à-cheperu,

تحت حكم الابن الحبيب لرع - اله الشمس ،  
of the very own son of the sun-god Ra

تحت حكم حاكم أرمنت الشبيه بالاله ،  
of the God-Like ruler of Hermonthis,

تحت حكم صديق خنوم رب فيلة العظيم ،  
of the friend of the great good Chnum of Elephantine.

فصاحب الفضل المقدس الذي خلقه رع ( الشمس ) ملك عظيم منذ  
ولادته .

The divine benefactor created by Ra (the sun) is a great king from  
this birth up.

انه قوى كحورس على عرش آبائه ، ليس لقوته كفوا أحد ،  
Powerful as Horus on the throne of his fathers, the strong-armed has  
none who is his equal.

انه الملك ذو البطش ، ( أو ذو اليد القوية )  
That is a king of a strong hand

ليس من بشر يقدر على قياس قوسه ،  
Whose bow no man Can Span

سواء من بين المقاتلين التابعين له أو من بين أمراء الشعب أو من بين  
ملوك آشور .

Neither among his worris, nor among the princess of the people,  
nor among the Kings of Assyria,



فقوته أعظم من قوة كل الملوك مجتمعين •  
for his strength is greater than that of all the kings.

إن غضب صار نمرا ( كالنمر ) في غضبته ،  
In his wrath he is like the leopard

وفي ساحة الوغى لا يجسر أحد على مواجهته •  
If he head the battlefield there is none that will meet him.

منتصر في الحروب فهو درع مصر وحاميها •  
Victorious in battle he is a bulwark for Egypt.

تمتزوج قوته بالشجاعة ، ويبقى منتظرا في الشعب فهو يعف عند  
المغنم •  
Strong in Courage, he waits in the defile the hour of plunder.

يولى أعداؤه الادبار أمامه ،  
His adversaries flee before him  
لأنه قوته تحلق ممتدة فوق كل الناس ، فرجاله جبارون وكذلك  
خيوله ،

for his power is out-stretched over all people with their mighty men  
and horses,

واذا أقبل أعداؤه بالملايين لا يساوره خوف ، فالاله آمون هو حارس  
دربه •  
and if his foes came in millions he need not fear the God of whose  
path is Amon.

واذا خرج في حملة تلبس بدنه في الحال كل قوى البشر ،  
if he is on an expedition forthwith man's strength takes possession of  
of his body,

وأصبح مثل الاله خم chim ( بان Pan ) ( \* ) يوم الفزع ،  
and he is like to the God Chim (pan) in time of horror,

---

(\*) رب الغابات والمراعى والرعاة عند الاغريق وهو قبيح الخلقة • معجم المصطلحات  
الاثنية احمد كمال حسنى - ( المترجم ) •

فلا يستطيع أحد أن يفلت من قبضته •  
and no man can save himself from his arm.

وكل الشعوب والبلاد أصبحت خدما له •  
all the peoples & countries became his servants.

وكل من يكرهون الملك أصبحوا أسرى لقواه السحرية •  
They that hated the king have become subject to his magic powers,

نعم ، فهذا أكيد ، فقواه السحرية تطولهم حتى آخر فرد فيهم •  
Yea to the very last of them

الجراح وما جرح ، ( لا يستطيع جيش أن يوقف تقدمه ) •  
His hands give wounds, and no arm can stay him.

ففي ظل أنفاسه - وحدها - تكمن الحياة •  
only in his breath is life.

ملك الملوك ، أمير الأمراء أتى الى هنا بكل سكان المعمورة •  
The King of Kings, the prince of princes has brought hither the inhabitants of the utmost ends of the earth.

فهو وحده ينصر من ينصره ، ويؤمن به كالشمس في السماوات  
He is the only one, and a champion for those who extol him and  
acknowledge him as a sun in the heavens.

نظرته مرعبة في الحروب  
His glance is terrible in the day of battle.

لا حد لسلطوته على الناس والشعوب  
No bounds are set to him to the number of the people.

اتحد الغرباء ، لكنهم سقطوا على الأرض من شدة الحرارة ، لأن فمه  
يزفر نارا محرقة ( لأن فمه كالنار المحرقة )  
The strangers unite, they fall to the ground at the heat, for his mouth  
is like a Consuming fire.

لم يفلت منهم أحد ، والذين خروا لم يقوموا  
None of them escape, those who fall do not arise.

انهم كأعداء باسيت ( ديانا ) فى طريق ...

They are like the adversaries of Bast (Diana) on the way of ...

لكن آمون أعطاه الصحة وباركه لانه يعرف أنه ابنه وأنه خرج وإياه  
من جسده واحد ليحكم كل ما ألفت عليه الشمس نورها من شعوب الأرض  
وبلادها .

But Amon gives health & blessing to him who Confesses that he is  
his son, Sprung from one body with him, to rule whatever the sun  
encompasses, the people and countries of earth.

فحالما ينظر الى كل هذه الشعوب والبلدان تغدو ملكه بفعل جبروته  
وقوته .

As soon as he beholds them, they are his possession through conquest  
and mighty strength

انه الملك الذى يجد المسرة فى قلبه بفضل أعمال الأرباب ، وبناء  
معابدها وإقامة التماثيل ( الصور ) لهما ، ويجد المسرة لزيادة الأضحيات  
الطازجة والخبز والجمعة بوفرة ، والحمام والدجاج اليوم وكل يوم وإلى  
الأبد . و ( الأضحيات ) من الثيران والماعز فى الأعياد حيث لا مجاعة .

That is the king who finds pleasure in his heart for the works of the  
gods, the building of their temples, the setting up of their images, in  
the increase of fresh' scarifices, bread and beer in abundance, doves  
and winged fowl for to-day and daily for ever. Of oxen and goats in  
their season (the festivals) there is no lack.

انه يهب المعبد للاله ( معبد فيلة للاله خنوم ) مزودا بكل شئ :  
كثير من الثيران والأبقار والدجاج .

He gives the Temple (i.e. the Temple of Elephantine to the god Chnum),  
Provided with all things, oxen, Claves, and fowl in abundance.

وهذا المعبد مزود أيضا - تأكيدا لعظمته - بالقرايين ، وبالحب  
والجمعة والتبيل .

This temple also is provided for in its greatness with offerings, with  
bread and beer and wine.

وقد أعاد تجديده ليحظى بأعجاب البشر واعتراف كل الشعوب  
ويظل للآباء والآلهة فترة طويلة من الزمن بعد ذلك .

That which the fathers and Gods long after, he has instituted a new to  
the admiration of men and the acknowledgment of all people.

★★★

لقد وجد برجش باشا هذا التسجيل الجميل والشائق بينما كنا  
نمارس الصيد واتخذنا قرارا بضرورة أخذ هذا الجرانيت الأسود عند  
عودتنا الى أرمنت قادمين من أسوان \*

وواصلنا رحلتنا دون مزيد من التأخير وسرعان ما وصلنا الى نقطة  
انثنى عندها النيل ثنية حادة ، وتقترب الجبال من المجرى في الضفتين ،  
وعند منطقة الجبلة Gebeleh تنحدر الجبال بشدة نحو النهر ، والمسيلات  
( الوديان الصغيرة ) ، والصخور والمنحدرات الصخرية لجبل نساخ  
Nissah الشامخ الأجرد شرق النيل - كلها مناظر تتسم بجمال خاص \*

وبينما كنا فوق ظهر باخرتنا النيلية سعداء برؤية الأرض الزراعية  
الجميلة لمحت جاموسة مينة على الشاطئ الرملى تحيط بها النسور \*  
واكتشفت - مستعينا - بالتلسكوب نسورا كبيرة زرقاء رؤوسها وهي  
طيور أفريقية خالصة ، الى جانب النسور ذوات الرؤوس البيضاء \*

ومما يؤسف له أن الطيور الجبابة لم تسمح لباخرتنا بالاقتراب  
لهيئة المسافة المناسبة لاطلاق بنادقنا ، فتوقفنا وذهبت أنا والدوق  
الكبير الى الشاطئ \* واتخذنا من بعض الشجيرات غطاء كافيا وانتظرنا  
بهوء أملين أن تعود النسور ذوات الرؤوس الزرقاء لأكمال وجبتها \*

يا خسارة ، لم يأت أى منها وإنما أتى زوج من نسور الجيف الزهمة  
فأطلقت النار من بندقيتى الخفيفة على واحد منهما ، وأقبل رهط من  
الفلاحين المستطلعين عند سماع صوت البندقية ( لقد كانوا داكين تماما  
وغالبهم عراه ) ، ففقدت معهم صفقة مؤداها أن يضعوا بعض الجيف  
- يرميا - فى هذا الموضع ألا يزعجوا الطيور بأية حال من الأحوال ،  
على أمل أن أجرب حظى فى اصطيد النسور ذوات الأذان ( الزرقاء رؤوسها )  
عند عودتى \* ووعدنى الناس الطيبون - لقاء الحصول على البقشيش -  
أن ينفذوا - حرفيا - ما طابناهم منهم \*

وجدفنا عائدين لباخرتنا وتابعنا الابحار جنوبا دون مزيد من  
التأخير ، وبعد أن مررنا الى الأذن من تل أجرد فى أعلاه ضريح أحد الأولياء  
( الشيوخ ) القدامى ، بدأت الجبال تتراجع عن الوادى فيصبح السهل  
عريضا شيئا فشيئا ، حتى غدا عند اسنا واسعا حسنة زراعته \*

## اسنا :

وقبيل الغروب وصلت سفينتنا الى مدينة اسنا الكبيرة التى تحيطها  
بساتين النخيل والحدائق الخصبة اليبانة \* ولما رست الباخرة ألقينا نظرة

من فوقها استمتعنا خلالها بحيوية الحياة الشرقية وصخبها ، تلك الحياة التي تعج أمامنا على ضفاف النيل •

كان المساء باردا منعشاً ، بعد أن عانينا من الحرارة الأفريقية الأصيلية التي أعقبت هبوب رياح الخماسين • وبعد أن تناولنا غداءنا غادرنا السفينة فاستقبلنا المدير بحفاوة ، فركبنا الحميم ودرنا حول المدينة لنصل الى معبد شهير بالقرب منها •

واسمنا هي مدينة سيني Sini المصرية القديمة ، وقد أسماها الاغريق لاتوبولس Latopolis بسبب عبادة سمكة اللاتوس Latus وهي عبادة كانت موجودة في هذه البلدة ، وبها عدد من المعابد والأماكن المقدسة مكرسة لعبادة الاله خنوم Chnum ، وثمة بقايا مجاز ( ردهة ) لا زالت باقية لواحد من أكبر هذه المعابد ، ويقع غائرا الى منتصفه في تربة المدينة الحديثة •

ومما يعطى هذا الأثر الذي يعود لزمن الامبراطورية الرومانية أهمية خاصة ما يشير اليه من التقويم المصرى القديم القائم على العثم السكندري والصور الفلكية في سقفه • وفي ضوء مشاعل كثيرة رأينا أن صالة ( ردهة ) هذا المعبد تبدو بحالة جيدة جدا ، وقد بقينا لفترة طويلة في غرفة مظلمة نستمتع بالمناظر ( الصور ) الشائقة ، ومما يذكر أن هذا المعبد حديث نسبيا اذا قورن بالآثار الأخرى فهو يعود الى زمن الامبراطورية الرومانية • وفي طريق عودتنا قبلنا دعرة المدير الودود وسرعان ما وجدنا أنفسنا جالسين في الطابق الأرضي لمبنى حكومي جميل ، واسترحنا فوق الكنب divans ودخنا بسعادة وشربنا القهوة وما كدنا ننتهي من تناول هذه التحية التي قلما نعفى منها في ( الشرق ) حتى فتحت الأبواب ودخلت فتيات خفيفات الخطو ليرقصن مصحوبات بهوسيقا مناسبة • لم تكن الفتيات - هنا - جميلات ، خلا واحدة كانت حبشية ذات ملامح محددة جميلة وبشرة داكنة متألقة • وبعد أن مكثنا فترة يسيرة استأذنا المدير وعدنا للباخرة •

### الكتاب ثم ادفو :

وتابعنا رحلتنا في بكور السادس من مارس وسرعان ما وصلنا الى ممر الكاب El-Kab حيث تقترب جبال الضفتين من مجرى النهر بوحشية وشاعرية • لقد كانت المنطقة جميلة • وبعد أن اجتزنا هذا الممر تراجعت الصحراء الغربية ( الليبية ) لتخل مكانا لسهل ادفو العريض المزروع بشكل جيد ، بينما استمرت جبال الصحراء الشرقية ( العربية )

قرية من النيل • لقد تغيرت - أيضا - طبيعة الجبال : فبدلا عن التلال المحددة أشكالها والشامخة أصبحنا نرى جبلا من حجارة رملية تشكل قممها المنخفضة أشكالا ذوات طبيعة خاصة •

وقبل الظهر وصلت باخرتنا الى ادفو Edfu فركبنا عبر بعض الحقول الى قرية بائسة جدا بالقرب منها ، ووصلنا الى أفضل معابد مصر العليا من حيث بقائه مصونا ، وواحد من أفضل وأجمل القطع المعمارية في كل العصور ، وذلك بعد أن مررنا بشوارع ضيقة قدرة حتى وصلنا لهذا المعبد الجليل الذي يقع بين أكوام القمامة والخرائب • وبدنا نتفقد المعبد يرشدنا برجش باشا • وادفو هي ديبو Debu أو ادبو Edbu المصرية القديمة ، وأسمائها الاغريق أبولونوبولس العظيمة Apollonopolis ، ويعبد معبد ادفو بالفعل أحد أعظم المعابد وأوسعها ، وقد ظل منذ العصور القديمة حتى الآن محتفظا بروقه ومصونا بشكل يدعو للاعجاب •

والمعبد - بشكل عام - مصمم وفقا للخطة ( التصميم ) التي ذكرناها آنفا ، ولذا فهو يقدم للمراقب المعاصر أكثر الصور صدقا لبناء المعبد في مصر القديمة •

وهذا المعبد الواسعة أرجاؤه مخصص لعبادة حورس Horu إله النور وهو بمثابة أبولو اليوناني الذي وصفته النقوش بدقة باعتباره إله الشمس في مصر العليا ويتمثل في رأس صقر ويبدو الإله منتصرا على جحافل الظلام ويرمز له بفرس النهر غير المروض • وقد حفرت المناظر في الجانِب الداخلي للجدار الذي يمثل الحد الغربي حيث تبين - أي المناظر - معركة إله النور ضد الظلام والشر ، بشكل أخلاقي ، وتذكرنا بالأسطورة اليونانية الشهيرة عن عمال هرقل الاثني عشر Twelve labour of Hercules • ان ثراء الرسوم والنقوش التي تغطي كل سطوح الجدران المساء والأعمدة في هذا المعبد تتفوق في محتواها على سائر آثار مصر الأخرى •

فالتفاصيل الدقيقة التي عرضت بها المعلومات تجعلها حقا معينة لا ينضب • انها معلومات تاريخية وجغرافية واثولوجية وفلكية ومعلومات متعلقة بنظام الخلعة في المعبد ٥٥٥ الخ ، وثمة جزء منفصل تماما عن التراث الميثولوجي (الأسطوري) المتعلق بالآلهة ، انها معلومات ثرة يمكن أن تملأ مجلدا سميكًا ، وطول المعبد - اذا قسناه من جداره الخارجى الذى يحدد حدوده : ٤٣٣ قدما و ٦ بوصات ، وعرض كل جناح : ١٠٠ قدم و ٦ بوصات أما ارتفاع كل جناح من الأجنحة فيبلغ ١٠٣ أقدام •

وساحة المعبد وبهوه المعبد يقومان على ثلاثة وثلاثين عمودا ، وهما ( الساحة والبهو ) يتسمان بالجمال والبهاء ، ويتركبان فى النفس تأثيرا ، والصالات التى تحاذى اتجاه المحور من الجنوب الى الشمال ، يتلو بعضها بعضا فى نظام مفروض حتى تصل الى قدس الأقداس حيث توجد حتى الآن مصلى القدااسة الحجرية التى تعود لأيام آخر فرعون وطنى  
national pharaoh

وأخيرا ، يجب أن نلاحظ أن المبنى كله مشيد على نسق تصاميم قديمة على عهد الملوك البطالمة من سنة ٢٣٧ الى ١٤٢ قبل الميلاد ومن ثم فقد استغرق تشييده خمسة وتسعين عاما ، وذلك وفقا لما تشير اليه النقوش .

وبعد أن تفقدنا كل أرجاء المعبد صعدنا الى سطحه المسطح وألقينا نظرة على النيل والوادي الأخضر وعبر الصحراء التى تبدأ بالقرب من المعبد وعلى ما وراءها من تلال التى تتخذ شكل الأهرامات لقد كان المنظر جميلا .

ولان النسور كانت تحلق فوقنا ، فقد وضعت ذبيحة خلف كومة من الدبش وانتظرت فوق سطح المعبد خلف فتحات فى سورته حتى تأتى الطيور الجارحة الكبيرة ، ومما يؤسف له أنه لم يأت الا نسور الجيف فأقنعت نفسى بهذه الغنيمة المتواضعة ، فقد كنا فى عجلة لمواصله الرحلة فى موعدها ، فركبنا عائدین الى باخرتنا بعد أن مررنا بقرية بائسة وسلكننا الطريق نفسه الذى وصلنا للمعبد منه .

وما هى الا دقائق حتى واصلت الباخرة ابجارها فى مجرى النيل ، وكانت المناظرة مألوفة متشابهة ، وكانت جبال صحراء مصر الشرقية ( الجبال العربية ) ذات لون أبيض ضارب للرمادى كما كانت منخفضة غير محددة ، وكانت تقترب من النهر كثيرا كلما تقدمنا ( صوب الجنوب ) فلم تترك بينها وبين النهر سوى شريط ضيق جدا ، وفى بعض الأحيان كان هذا الشريط يختفى تماما .

وجبال الصحراء الغربية ( الليبية ) منخفضة أيضا ويميل لونها للصفرة وقد اتخذت أشكالا معقدة غريبة . والى الجنوب من ادفو تقترب كثيرا من مجرى النيل باستمرار .

ان الرقعة الخضراء فى هذا الجانب أصبحت ضيقة جدا حيث التربة ممتازة لكنها - للأسف - مهملة ، وليس ثمة مدين هنا أما القرى فنادرة .

ومرت أسراب كبيرة من طيور اللقلق فوق الوادى متجهة شمالا وكانت الطيور الجارحة تحلق عاليا أو تتجمع فوق الصخور ، ودجاجات الماء تملأ الضفتين بين الحين والحين . وبعد الظهر استمتعنا بمنظر جبل السلسلة الجميل Gebel-selseleh من فوق ظهر سفينتنا ، وفى المساء - عند غروب الشمس - وصلنا للنقطة الشمالية لجزيرة واسعة كثيفة الزروع ، فأبحرت سفينتنا الى الشرق منها ، وسرعان ما رأينا معبد كوم امبو الصغير ، الا أن موقعه ممتاز . وهذا المعبد القديم يقع على شاطئ النيل فى موضع مرتفع وشديد الانحدار مغطى بالخضرة . ويمكن رؤية هذا المعبد من مسافة بعيدة وليس من مدنه قريبة منه ولا حتى أية تجمعات بشرية ، فهو قائم بين النهر والصحراء التى تتقدم هنا على هيئة هضبة مرتفعة الى حافة الشجيرات الثابتة على ضفة النهر . وليس ثمة ما يمكن أن يقال له جبل .

### معبد كوم امبو :

ولأن الليل كان يزحف ، فقد رسونا الى الأدنى من المعبد : وكان الى جوار سفينتنا ذهبية ( سفينة أخرى ) يشغلها أوربيون . وكان مترجمهم من الدامشيا خبيرا نصحننا أن نذهب بعد تناول العشاء الى المعبد ومعنا عنز نحشها على الثغاء ، ثم نكمن فى انتظار الذئب ، وأشفقنا قوله بالعمل ، وفى الساعة التاسعة تسلقت مع هويوز الشاطىء المنحدر وتلمسنا طريقنا خلال المعبد المنعزل ، فوجدنا فى جانبه الشرقي عمودا اتخذنا منه غطاء نختبه خلفه للمراقبة ، وربطنا الماعز - التى راحت تنغو - على بعد عدة خطوات الى الأمام ، ولبشنا منتظرين نراقب بحذر بالغ طوال ساعتين . لا شئ يتحرك ولو تحركا يسيرا ، كان المرء يحس بالرهبة رغم جمال المناظر ، فالمعبد القديم بممراته العابسة والصحراء المتصلة لا يحد من امتدادها واستوائها شئ سوى بعض البقايا والأحجار ، وقد بسط عليها القمر الأفريقي سناه - انه قمر حقا لا كالقمر الأوربي الذى يشبه ضوءه ضوء المصباح الليلي الشاحب ( السهارة ) ، وفى نور القمر الأفريقي المتألق كنور النهار يمكنك أن ترى أصغر حصاة ، فنور القمر الأفريقي لا يكفى الصياد والرياضى فحسبه ، وإنما يمكن للفنان أن يرسم ويلاحظ ويتأمل فى الليالى القمرية .

ولسوء الحظ فإن الأوربيين القادمين من الذهبية ( البخارة المجاورة لباخرتنا ) كانوا يمارسون الصيد بالقرب من مكمننا ورجعوا عائدين متجاوزين المعبد ومعهم دجاجات تصيح كانوا قد أخذوها معهم لجذب الطرائد ، ومن ثم تلاشى أملنا فى صيد ثمين فأسرعنا عائدين لباخرتنا .



ولا يمكن أبدا أن أنسى هذه الليلة القمرية في كوم أمبو ( الاسم يعنى تل أمبو ، واسمها الهيروغليفي نوبى Nubi وتعنى مدينة الذهب ، أما الاغريق فأسموها أمبوس ( Ombus ) ببقايا معبدها ذى الجمال والجلال ، والمطمور الى نصفه فى الرمال ، لا يمكن أن أنسى عاصمة الاقليم الذى حمل فيما بعد اسم أمبيتس Ombites . وهذه المدينة وهذا المعبد كانا مكرهين من سائر المصريين الآخرين ، ففي هذه المدينة كان ست set ( يقابل تيفون فى الأساطير الاغريقية ) يعبد فى أحد أشكاله ( تجسدهاته ) الرئيسية his chief embodiments لذا فان عديدا من تماثيل التمساح ، وهر الحيوان الدال على هذا الاله ( ست ) - موجودة هنا ، كما أنها مذكورة فى الكتابات المنقوشة .

وعند الشروق غادرت سفينتنا كوم أمبو الجميلة متابعة رحلتها الى أسوان . لقد أبقطنا روعة المشاهد على ظهر السفينة ، فقد كانت التلال المنخفضة ذوات التكوينات الجميلة تقترب اقترابا شديدا من ضفتى النهر فى مواضع كثيرة بحيث لا تترك مجالا للزراعة أو تترك مجالا ضيقا . وهنا وهناك متعنا أعيننا برؤية بساطين النخيل الرائعة والشجيرات الكثيفة وخلفها ترتفع الجبال كتلا صخرية وقطعا حجرية مكونة طبقات ذوات طبيعة خاصة .

وكلما اقتربنا من أسوان تغيرت صورة الأرض عما كانت عليه قبل ذلك حول النيل " وأصبحت المدن أقل ، والقرى أكثر ، ولاحظنا بعض المستوطنات الزنجية Negro لقبيلة أتت من الجنوب ، مندفة نحو الشمال ( المقصود نحو مصر ) وئمة أكواخ بائسة من القش على شكل الخيام تحت نخيل البلح ونخيل الدوم date and Dom thepan palms . لقد وطن هؤلاء السود أنفسهم فى مناطق خصبة . لقد كانت صورة للحياة الأفريقية الخالصة قدمت من أعماق القسرة ، فقد لاحظنا هؤلاء الناس من خلال التلسكوب : كانوا سودا كالفحم ، وكانوا يجيئون ويروحون بين الأشجار الخضراء وهم عراة تماما .

وبدا منظر الأرض حول ضفاف النيل يتغير كلما اقتربنا من الساعة الحادية عشرة ليصبح أكثر تطرفا وأقل استواء ، فقد بدا النيل أمامنا وكأنما طوقته كتل صخرية جبلية : كتل من الحجارة والبراح من الصخر رذبش حف النور - الذى أصبح مجراه يضيق شيئا فشيئا - من الجانبين . والجبال على الضفة اليمنى ( الشرقية ) أخلت مكانها ليحل محلها سهل متفرد خال ، تتناثر فوقه كتل الصخر ويظهر خلاله بين الحين والحين أشكال مخروطية مثلثة ( غير ملساء ) ، وعلى الضفة الغربية تل مرتفع

بشكل ملحوظ ينغمس سقفه في مياه النيل ، وفوق قمته مبنى قديم ذو طابع معمارى اسلامى ، وسرعان ما ظهرت النخيل ، ومن ثم الحدائق الخضراء التى ترقد فى أحضانها مدينة أسوان الصغيرة المضغوطة بين الصحراء والنيل .

### جزيرة فيلة وأسوان :

وهنا يتشعب النيل الى شعبتين ، وحيثما جزيرة فيلة Elephantine - المعروفة بغطائها النباتى المدارى - بابتسامة عند اقترابنا . كانت تحيط بالجزيرة الجذابة دائرة من الحيود الجرانيتية السوداء الغادرة ، وكانت النتوءات الصخرية الحادة تبرز من بين أمواج النيل حولها ، وتلك أول إشارة ( أو دلالة ) للشلالات ( الجنادل ) القادمة .

صخور ذوات شقوق وصدوع ، وصحراء وعزلة ، جلال فى الملامح . بهاء فى الألوان بين النهر المندفع ، والتكوينات الصخرية الرائعة المهيبة ، ومدنية اسلامية خالصة حيث يختلط الاسلام (\*) وأجناس مختلفة من داخل القارة جنبا الى جنب ، وأثار مصرية عريقة وجزيرة جميلة ذات طابع مدارى - كل أولئك أمامنا فى هذه اللحظة . وحلقنا بأعجاب فى المنظر الرائع الذى يمثل المرحلة الأخيرة لرحلتنا ، بالقرب من مدار السرطان ، حافة المنطقة المدارية .

واتخذت السفينة طريقها ببطء وسط العواثى التى تعترض القناة - وما هى الا دقائق حتى رست عند شاطئ طينى شديد انحداره . وكان معنا فى المرسى باخرة بريد وعدة ذهبيات ( بواخر نزهة ) ، وبمجرد وصولنا غادرتا سفينتنا لنزور المدينة ونتفقدتها تفقدا كاملا . انها - بالتأكيد - من أكثر المواضع تشويقا وجاذبية على مدى رحلتنا النيلية . انها مدينة عربية ذات طابع سامى Semitic غالب حقا فى مبانيها وسكانها ، وواحدة من آخر المراكز التجارية . انها مدينة اسلامية فالاسلام دين الدولة من الناحية الرسمية ، لكن من الناحية الواقعية فاننى أشك فى ذلك بالنسبة لهذه المدينة (\*) .

منازلها مشيدة من طين ولها - تماما - طابع مدن مصر القديمة فالشوارع ضيقة وعفنة . الا أن الشوارع الأقرب للنهر تضم بعض المنازل الأعلى ، وبها سوق جديدة بأن يراها المرء . أما الأحياء الأخرى ( البعيدة

(\*) يستخدم الأرشيدوق كلمة الاسلام فى أكثر من موضع للدلالة على الجنس أو العرق وليس مجرد دين ، وهذا - كما لا يخفى - غير صحيح ( المترجم ) .

نسبياً عن النهر ) فتتكون من مساكن طينية بائسة وبها أركان تتخذ كل الأشكال غير المنتظمة . ويحيط بجزئها الشرقى سور تدهم في أكثر من جزء من أجزائه وتلتصق به بقايا مقابر اسلامية تشغل منطقة واسعة .

وكان السوق هو أول مكان نتوجه لزيارته . انه طريق محفوف من الجانبين - تماما - بالزرائب والاصطبلات ، ومسقوف بالألواح الخشبية لحجب الشمس . والتجار في المحلات عرب بأثوابهم الشرقية الطويلة وعمائمهم . والبشر الذين يتحركون جيئة وذهابا ويحضرون بضائعهم للسوق ويتعرضون لغش الساميين الماكين Cuning Semite وخداعهم - ليسوا شرقيين ولا حتى فلاحين . والبدو أيضا لا وجود لهم هنا ، الناس من جنس أفريقى خالص : كثيرون منهم زنوج Negroes ونوبيون داكنو البشرة ، وسلالة الاثيوبيين القدماء والعبادة والبشا Beshas ، وكل القبائل الصغيرة ذات الأصول الكوشية Kushite .

لقد وصلنا لطرف الشرق القصى ، فهنا يزدهر المكان كمدينة تجارية لنقل المنتجات الأفريقية شمالا من خلال نهر النيل .

والمنتجات الشرقية الأصيلة كتلك التي رأيناها في الموسكى في القاهرة غير موجودة هنا ، أما المواد الخام المدارية فمطروحة بكثرة في محلات ضيقة .

ريش نعام أبيض ورمادى ، قرون الوعل ، جلود الأبقار الوحشية وجلود الغزلان ، وأغطية من جلود النمر وغيرها من الحيوانات المفترسة ، وببيض ، وفواكه مدارية وصمغ وبهارات وأسلحة أفريقية ، وعصى يستخدمها الجمالون ، وحلى كالتى يلبسها الزنوج وأدوات للاباس النسوة النوبيات - مثل خيوط يصنعون منها حبلا منقوعة في سوائل ذات رائحة بشعة لطرد الذباب ، وقبعات من قش ترتديها القبائل المتبربرة وبعض الأشياء التافهة المختلفة .

ورأيت على أبواب بيوت كثيرة تماسيح صغيرة محنطة ( محشوة ) ومثبتة بالمسامير ، كما رأيت قرودا مستأنسة تجلس عند مدخل بيوت أخرى . وقد اشتريت بنفسى واحدا منها أمتعنا كثيرا وبلانا ، ومما يؤسف له أنه مات بعد ذلك في القاهرة .

### العبادة :

لقد كانت الحياة في السوق شائعة جدا ، وقد لفت نظرى - على نحو خاص - العبادة بمنظرهم المحارب فهو مدججون بالسلاح ملتفون

بأسماهم القليلة ، وقد صفقوا شعورهم بطريقتهم الخاصة التي ذكرناها  
أنفا .

وراح الجميع ينظرون إلينا نظرات وحشية فضولية ، وقد باعنا  
العرب الماكرون بلؤمهم البارع بضائع أفريقية بأسعار باهظة . لقد ربحوا  
- بدهاء - من وجودنا بينهم .

وفى ساحة مكشوفة بين المساكن والمرسى رقص العباددة أمامنا  
رقصة الحرب . وهذه الرقصة لا تعدوا أن تكون قفزا وحشيا هنا وهناك ،  
يمارسها قوم متوحشون فى أدنى درجات التطور ، والموسيقا المصاحبة  
لا تزيد عن كونها قرعا مربعيا بنواقيس معدنية ذكرتنى بالصلصلة المصاحبة  
لرقصات العبيد الزوج فى مراکش ، لكن الرقص نفسه يشبه الرقص غير  
المنضبط الذى يمارسه قراصنة منطقة الريف فى الساحل الشمالى  
الغربى لأفريقيا .

لقد كان العباددة المحترمون يقفزون بكل ما أوتوا من قوة ويصلون  
بقفزاتهم الى ارتفاعات لاتصدق، وهم - أثناء ذلك - يصيحون ويصرخون .  
ويهزون سيوفهم ويدفعون رمائحهم بعنف عاليا ، ويضربونها بشدة فى  
تروسهم الجلدية ، ويقوم الواحد منهم بهجوم غير حقيقى على رفاقه .

لقد كان هؤلاء البشر ( المخلوقات ) بيشراهم البنية الداكنة  
وملابسهم القليلة حتى انه ليتمكن وصفهم بأنهم أنصاف عراة ، وبشعرهم  
الذى تتخلله قطع خشبية ، والمستشزر فى كل اتجاه كأنه أشعة ،  
وبالحلقات المعدنية فى أنوفهم وآذانهم وحول أذرعهم - يبدون وكأنهم  
صورة خيالية تمثل خليطا وحشيا .

وبعد هذا العرض ركبوا جمالهم بسرعة غير مألوفة ، وقد اشترك  
الشباب منهم فقط فى هذا العرض ، أما كبار السن فقد وقفوا وقد ظهرت  
أسنانهم البيض المتألقة من بين شفاههم الداكنة وابتسامة الرضا تشع  
من وجوههم . وبعد فترة عدنا للباخرة محملين بالبضائع التى اشتريناها  
وبفيض من الانطباعات الجديدة .

وأثناء تناولنا الافطار حلقت الحداة بأعداد كبيرة فوق السفينة ،  
اذ كانت نهمة تبحث عن قطع الخبز الملقاة فى الماء ، وحتى طلقات البنادق  
لم تستطع ابعاد هذه الطيور النهمة . وبعد انتهاء وجبتنا بدأنا فوراً  
- مرة أخرى - نزهة الى المحاجر التى حققت شهرة منذ الأزمنة القديمة .  
فركبنا بسرعة ومررنا خلال المدينة ، وعند آخر كوخ بانس بها كانت  
الصحراء الخالصة فى انتظارنا برمالها البيضاء وانعكاساتها الحارقة .

الوادي عند أسوان عريض لكنه غير مستو وتحيطه التلال حيث أضرحة الأولياء .

وهنا أيضا مقابر الخلفاء وبعض الطواحين وثمة بعض شواهد القبور لكنها - أى الشواهد - بائسة لا تدل على الفخامة ، وقبور الأولياء قبورها تشبه قباب المساجد ، لكنها - أى القبور - غير مصونة صيانة جيدة .

لقد ركبنا فى الشمس المحرقة على طول الجانب الشمالى ( ٩ ) للوادي العريض خلال المقابر غير المنظمة ، لكنها أكثر جاذبية طبيعية من مقابر القاهرة الواقعة أدنى القلعة . فالتلال الجرداء التى تقترب من الوادي والصحراء ذات الأحجار البيضاء والصخور الصلدة ، والألوان الزاهية التى زاد بهاءها أشعة شمس الظهيرة الأفريقية - كل أولئك قد طبع المكان بطابعه .

لقد ركبنا فى الحرارة اللاهبة على طول الجانب الشمالى للوادي العريض خلال مدينة الموتى التى تعج بقوضى هائلة . وبعد برهة أضحت المقابر شيئا فشيئا أكثر تفرقا وتباعدا حتى اختفى كل أثر من عمل الإنسان .

ليس من بادرة عشب هنا تسعد العين ، فلا شيء سوى الأحجار العارية والرمال والغبار ، وفى الوقت نفسه فإن الصحراء ليست مستوية وإنما اتخذت شكل تلال يتلو بعضها بعضا .

وثمة بعض الكتل الجرانيتية ذات الأشكال المتفردة مما يشير تقريبا من الحجر . وسرعان ما وصلنا لمنحدر صخري شاهق ، أدناه مغطى على نحو ما بالأحجار المكسرة حيث توجد مسلة ، وأترك صديقى برجس يتحدثنا عنها وعن أسوان بشكل عام :

« أسوان ( بالمصرية القديمة سوان Suan وباليونانية سين Syene ) تمثل آخر مدن مصر صوب الجنوب ، ويسكنها الآن العرب والمصريون ويوزعها لخلق كثير من قبائل الصحراء التى تجول فى صحراء مصر الشرقية حتى سواحل البحر الأحمر . وصخور المنطقة الجرانيتية التى تبدأ من هنا مغطاة بكثير من النقوش التى تعود لمختلف الحقب والتى تؤكد بوضوح مرور المسئولين المصريين عبر هذه المناطق . وبناء على أوامر الملوك الفراعنة فإن المحاجر الثرية الواقعة الى الجنوب الشرقى من أسوان ( التى تعرف باسم الجبل الأحمر ) قد عمل بها آلاف العمال راحوا يقطعون منها الأحجار لعمل المسلات والتماثيل والمعابد والألواح الحجرية

المختلفة • وثمة مسلة لم تكتمل مطروحة هنا تنتظر - عبثا - تعليمات منشئها •

ومنذ أيام الفراعنة تعرضت هذه المحاجر للاهمال ، فالمنحدر الصخري المهشم وكتل الصخر المنزوعة منه نجمل شواهد على حضارة انتهت منذ عهود سحيقة كانت موجودة في هذه المنطقة منذ آلاف السنين •

وعند مدينة الموتى ( المقابر ) انقسمت مجموعتنا الى قسمين : مجموعة ركبت عائدة للباخرة ، بينما تسلفت أنا مع هويوز تلا متوسط الارتفاع صخوريا أجرد تماما يحيط بالوادي قرب أسوان •

وعلى قمة التل يقع قبر أحد الأولياء ( الشيوخ ) على شكل مبنى له عقود دائرية ، وكنا قد وضعنا في وقت سابق ذبيحة ( طعما ) الى جواره لجلب النسور التي تحلق عاليا •

وكنا في موقع ممتاز ، وما هي الا دقائق حتى راحت الحشرات ونسور الجيف تأكل في الخروف الميت ، ولم تصل الجوارح الكبيرة فاكتفيت باطلاق بندقتي على واحد من نسور الجيف فلم يكن لدينا الوقت الكافي للانتظار •

وخرجنا من القبور العابسة فاستمتعت عيوننا بمنظر سننى تماما • فالى الشمال - أدنى منا مباشرة - يقع وادى النيل الضيق تحيطه الجبال • فالنهر يشق طريقه خلال شقوق الجنادل ( الشلالات ) شقا ، وخلفنا جزيرة فيلة المدارية وأسوان ذات الموقع الجميل ، ومدينة الموتى العابسة ، وحول كل ذلك - غير بعيد عنه - ما لا حصر له من الجبال والوديان والسهول والهضاب والتلال المنعزلة الجرداء وصحراء الرمال الحقيقية - كل أولئك قد لمست أشعة الشمس الحمراء ، فغدا أبيض محمرا ، لا يقطع هذا اللون ويحول دون استمراره سوى بعض الصخور البرتقالية أو الجرانيتية السوداء ، هنا وهناك ، ومن فوقنا سماء زرقاء خالصة الزرقة راتقة كالبلور لا تعكرها سحابة • وعدنا بسرعة الى أسوان •

وسأحسن صنعا فأتارك برجش باشا يحدثنا عن جزيرة فيلة :

« فيلة بمقياسها الذى يعود للعصر الرومانى ، وبآثارها التى تعود لبواكير التاريخ المصرى - لا يزورها المسافرون الآن الا للاستمتاع بموقعها الجميل المتميز عند مدخل بوابة الجنادل ( الشلالات ) ، فقد ولت عظمتها السابقة منذ انمجت عاصمة منطقة النوبة - التى كانت قائمة فوق الجزيرة - بما فيها من تماثيل ومعابد :

ففى هذه البقعة كانت توجد حتى العصر الرومانى حامية قوية ، كان منوطا بها حماية المنطقة من الغارات القادمة من الجنوب . والسور القديم فى الطريق من أسوان الى جزيرة فيلة شيد للغرض نفسه ، فهو بمثابة متاريس ضد غارات السلب القادمة من الجنوب ، وبقايا هذا السور - المظمور نصفه فى الرمال - يمكن حتى الآن تتبعها .

وغادرت مع هويوز - مرة أخرى - سفينتنا ، فقد كانت الشمس تغرب وماجت المنطقة فى فيض من الألوان الجميلة .

وقادنا رجل نوبى فى ثوب أبيض ويحمل بندقية طويلة ، ومعروف كصياد فى أسوان - قادنا خلال المدينة حتى وصل بنا الى أبعد منازلها ، ونصحنا أن نكمن هناك لدقائق قليلة لأن الحيوانات المفترسة تنتظر بطرائدها خارج أسوان كل ليلة بعيد الغروب .

الكلاب تنبح ، والأطفال يصرخون ، وجماعة من العبادة يصيحون وهم فى طريقهم لمساكنهم فى الصحراء ، ورغم كل ذلك ظهر واحد من حيوانات ابن آوى على تل صغير واختفى سريعا بين الأحجار . ولأن حمرة الشفق أخذت فى التلاشى فقد أسرعنا داخل مدينة الموتى ( المقابر ) ، كان ابن آوى يجرى غير بعيد فأطلقت بندقيتى فتمدد . وبالقرب من سفح التل - الذى أطلقت فوق قمته بندقيتى بعد الظهر فأصبت واحدا من نسور الجيف - وغير بعيد عن آخر القبور ، يوجد حوض قديم تحفه التلال الرملية فى واد صغير .

وكنا قد أمرنا بوضع طعام ( ذبيحة أو حيوان ميت ) فى هذا المكان ، وكنا فى موضع مجوف ، كان القمر مرتفعا يغمر بنوره المنظر الجليل المخيف . فقد كان البصمت والموت يحكمان المكان ، صحراء ومقابر شيوخ ( أولياء ) قدماء وقباب وشواهد حزينة . ليس من صوت يقطع حبل الصمت سوى نباح كلاب القرية وعواء حيوانات ابن آوى .

لقد مكثنا - بشق الأنفس - حوالى نصف الساعة فى هذا المكان غير المريح فأحسست بحفيف حيوان يأتى نحوى ، ورأيت يتحرك كالظل أكثر من مرة ، فلما اقترب وظهر شكله الخارجى صوبت بالدقة التى أستطيعها وأطلقت لأجرب حظى ، فكان صوت عواء مزير حزين هو اجابة طلقتى ، فلما أسرعت اليه وجدت أننى أصبت ذئبا يبذل قصارى جهده - بآلم - ليؤخف بعيدا ، فألقت الحيوان المتين العنيد طلقة أخرى فانطرح أرضا .

وجملته فى حقيبتى وسرت نحو ريفقى مائة خطوة فقد كان يكمن فى مكان آخر ، لقد كان الذئب الذى يبدو وكأنه مات - ثقيلًا ، وكانيت حارة الليل شديدة ، فطرحت حملى وانتظرت حتى يأتينى الصياد النوبى .

وما هي الا ثوان بعد أن طرحت حملي على الأرض حتى تحرك الذئب مرة أخرى وناضل حتى وقف على قدميه لكن طلقة ثالثة أخمدته للأبد •

وسرنا الآن بغنيمتنا الكبيرة المكونة من ذئب وواحد من حيوانات ابن آوى ، وعدنا للسفينة حيث تناولنا عشاءنا ، أما بالنسبة للدوق الكبير واشتباخر فقد كمنّا في مبنى على شكل قبة في الجانب الآخر من المقابر • لكنهما لم يحققا - لسوء الحظ - نجاحا •

وفي الثامن من شهر مارس بدأنا في الساعة السابعة صباحا • فركب معطنا خميرا ، أما أنا وهويوز ففضلنا أن نجرب ركوب الجمال • ودرنا حول أسوان ووصلنا سالكين طريقا موجزا - عبر المقابر - إلى الصحراء • كانت الوديان والتلال والرمال والصخور والمسيلات تتعاقب تعاقبا بعث فينا البهجة •

وأدى بنا مسيل عميق إلى الوادي الضيق للنيل الذي تحفه تلال مختلفة خشنة على جوانبها كتل جرانيتية سوداء ، ومن موقع وقفنا فيه - كيفما اتفق - طالعت عيوننا منظرا رائعا : كتل صخرية داكنة عابسة • النهر يندفع بسرعة خلال المضائق ، جزيرة فيلة الخضراء ، والبقايا الشامخة لمعابدها ، وإلى الجنوب يصبح الوادي عريضا وعلى ضفتيه زروع كثيفة • كل هذا تجلى أمامنا في لحظة • اننا في النوبة ، وبالقرب من الجزيرة تقع قرية نوبية بائسة من أكواخ طينية • انها قرية شلال Sha'lal ، وخرج كل أهل القرية بشياهم كاملة أو بشياهم الداخلية - من مساكنهم البائسة •

ومررنا على طول صخور داكنة وأشجار جميز حزينة ونخيل حتى وصلنا لسهل صغير فوجدنا بعض القوارب ، وئمة بعض الجنود النوبيين في ثيابهم الرسمية يقفون للحراسة ، وكانت ملابسهم بيضاء خالصة ومصممة تصميمًا أوروبيا • وللهولة الأولى سعدنا بقربنا من جزيرة فيلة الجميلة التي قدمت لنا نفسها محاطة بكتل صخرية ملونة تنبثق من الماء ، وركبنا قاربا كبيرا مرتفعة جوانبه وجدف بنا عدد من النوبيين راحوا يغنون وعبروا بنا للجزيرة •

أما شكل القارب فقديم ربما يعود تصميمه إلى أيام كليوباترا • كانت مقصورة القارب بأرائكها الناعمة وستائرهما الحمراء التي تحمي من الشمس قد جعلتنا نضحك من هذا القارب الذي يقوم بدور البارجة النيلية •



وفى غضون دقائق قليلة وصلنا لشاطئ الجزيرة المنحدر وأسرعنا صاعدين المنحدر - بشجراته الكثيفة - نحو المعبد الجميل .

ومباني المعبد فى هذه الجزيرة الجميلة التى كانت معروفة لدى المصريين القدماء باسم بيلاك Pilak - تعد حديثة نسبيا ، فقد تم تشييدها فى ظل البطالة والرومان على نسق التصميمات القديمة ، وقد تم تشييد المراسى الحجرية للسفن فى الجزيرة بطريقة تنبئ عن معرفة عملية بطبيعة النهر ( عمارة النهر river architecture ) - خاصة أن الجزيرة غير بعيدة عن المساقط المائية waterfalls والتيارات المائية العنيفة . ومع أن أبنية المعابد فى الجزيرة ذات قيمة غير عالية - على نحو ما ، إلا أن تأثيرها الكلى وصفوف أعمدتها ، ومبانيها ذات الصحن ( الباحات المكشوفة ) ، وسط بقايا المنازل المتهدمة والنخيل والشجر الأخضر الجميل - كل ذلك حباها جمالا لا يمكن التعبير عنه . فسطوح المعبد ترتفع فى تناقض مدهش مع الكتل الصخرية الداكنة التى تحيط فى هذا الموضع بالجانب الآخر من مجرى النهر . وفوقنا القبة السماوية الزرقاء فى بلاد الجنوب هذه بنورها المتالى الذى يغمر المشهد كله . كل شئ من بقايا العالم القديم لم ينمح تماما - يموج فى النور .

واعية بلاد النوبة - الربة ايزيس Isis - كانت تحظى بقداسة خاصة فى هذا المكان . فالمصريون والنوبيون - على سواء - كانوا يضحون على مذبحها ويوقرونها . ويقدم معبدها برسومه المتألقة على الجدران والأعمدة - حتى الآن - فكرة واضحة عن هذه العبادة - بألوان زاهية ! .

وعندما هجرت معابد ايزيس وغمرها النسيان ، شيدت المسيحية الوليدة هنا احدى أقدم كنائسها وكان البرابرة النوبيون Nubian Ba-abras يزورونها ( يحجون إليها ) بحماسة دينية . أما الآن فانهم قد هجروا عقيدة آبائهم المسيحية وذكرى عقبتهم الأولى التى لم يبق لها أثر الا فى كلمة من كلمات لغتهم وهى كلمة كيراي Kiraye ( باليونانية Kyriake ) وتعنى يوم الأحد .

فالبرابرة ( النوبيون ) أصبحوا الآن مسلمين بكل ما فى الكلمة من معنى ، لكن موطنهم القديم - وجزيرة قبيلة فى وسطه - بقى كما هو .

وبعد أن زرنا كل أرجاء المعبد اتجهنا الى أقصى الطرف الجنوبى للجزيرة عبر بقايا كثير من الجدران والأسوار القديمة .

وفي الطرف الجنوبي للجزيرة ثمة درجات من أحجار داكنة تفضي للنهر ، من بينها منبسطة ( حجر منبسطة ) يعود للتاريخ المصري القديم ، وثمة حشائش طويلة وشجيرات كثيفة تنمو حول هذا الحجر الداكن .

ويقلب حزين آسف تسلقت - بجهد - آخر حدود المنحدر - وألقيت نظرة على النيل المقدس والوادي العريض وحقول النوبة . لقد وصلنا لآخر نقطة قررناها لرحلتنا في هذه الأنحاء صوب الجنوب .

ميدان السرطان ، حدود النوبة ، والكوكبة الجنوبية Southern Cross ، والقبعة السماوية الزرقاء الصافية - كل أولئك كان يغرينا بالاستمرار جنوبا لكن كان علينا أن نعود متجهين شمالا ، فعدنا واجعت لعبد ايزيس ، وقلوبنا مثقلة حزينة .

\*\*\*

## تعليقات المترجم على الفصل الرابع

(١) عالم الماني في الآثار المصرية ، عمل ناظرا لمدرسة اللسان المصري القديم ( اللغة الهيروغليفية ) التي أنشئت سنة ١٨٦٩ وأقيمت سنة ١٨٧٦ ، وقد تخرج في هذه المدرسة بعض علماء الآثار منهم أحمد كمال باشا ، وقد أثرى برعش باشا هذه الرحلة بترجمة كثير من النصوص الأثرية المهمة .

عبد الرحمن الرافعي : عصر اسماعيل ، ج ١ ، ص ٢٠٥ .

(٢) نجد في كتاب وصف مصر الذي وضعه علماء الحملة الفرنسية دراسة مفصلة عن الآلات الموسيقية المستخدمة عند المصريين الحديثين ، وفيما يلي موجز لهذه الآلات كما وردت في الترجمة العربية التي قام عليها الأستاذ زهير الشايب ( ج ٩ ) .

### ـ العود :

قدم بعض علماء الحملة الفرنسية دراسة تفصيلية عنه ذات طابع تاريخي وفني ، ورغم الاختلاف في التفاصيل فلا نجدها تختلف عن الآلة المعروفة بيننا الآن بهذا الاسم ذاته راجع التفاصيل في ترجمة زهير الشايب ج ٩ ( صص ١٥ - ٤٠ ) .

### ـ الطنبور التركي الكبير :

يطلق اسم الطنبور على آلة موسيقية تشبه الماندولين في أوربا ، وأوتار الطنبور معدنية ولها ملابس ثابتة تتكون من ثقبين عدة ويستخدم العازفون عليها ريشة عزف من قطعة خشب ملساء أو ريشة نسر جافة - ( ص ٤٢ ) .

### ـ الطنبور الشرقي :

وصلت هذه الآلة لمصر - غالبا - من آسيا ، وربما من فارس بالتحديد وهو يشبه الكمثرى ويميل إلى التسطح بعض الشيء ، ويها ٢١ ملمسا ، وخمسة أوتار ثلاثة منها من النحاس الأصفر واثنان من الصلب ( صص ٦٢-٧٢ ) .

ـ الطنبور البلغاري وهي بالتمام الماندولين البلغاري ، وهي آلة تغطي بكثير من الزخارف ، وهو أصغر حجما من الطنبور التركي الكبير ، والطنبور الشرقي ، وله ١٢ ملمسا من أوتار معى الحيوان ، ولها ثلاثة أوتار من الصلب ووتر من النحاس - ( صص ٧٥ - ٧٧ ) .

### ـ طنبور البزرك ( يفتح الباء والراء ) :

وكلمة بزرك تعنى بالفارسية الكبير ، لذا فهذه الآلة بمثابة ماندولين كبير فارسي ، وهي أكثر تعقيدا من الطنبور الشرقي وأكثر بساطة من الطنبور التركي الكبير ، وله ستة أوتار ( عصافير ) وستة أوتار وسبعة وثلاثون ملمسا وهو يشبه نصف ثمرة الكمثرى ( ص ٨١ ) .

رحلة - ج ٢ - ٤٩

• طنبور البغلة ( بفتح الباء ) وهو مصغر الطنبور البرزك ( ص ٧٩١ )

• الكمنجة الرومى ( اليونانى ) ، وهى الكمان المعروفة Violon .

• القانون

• السنطير ( وتكتب بالصاد أيضا ) ، وهى آلة يشيع استخدامها بين المسيحيين واليهود ، ويتكون من صندوق مسطح مصنوع من الخشب على شكل معين وله جانبان مائلان وله وتران من معدن ينقران بعصاتين صغيرتين من الخشب . ( ص ص ١٤٢ - ١٤٣ )

• الكمنجة العجوز ، والكمنجة الفرخ أو الصغيرة - ( ص ص ١٥٠ - ١٧٧ )

• ربابة الشاعر ( بوتر واحد ) و ربابة المغنى ( بوترين ) ( ص ١٨٢ )

• الكيصار ( القيثارة الأثيوبية ) ، وهى منتشرة بين الأثيوبيين والنوبيين الذين يعملون كيوابين وحراس للمحال . وتسمى وحيانا جيزركة فى النوبة ( ص ص ١٩٥ - ٢٢٠ )

• المزمار المصرى ( ص ص ٢٢٥ - ٢٤٧ )

• البوق ( أو النفير ) ص ص ( ٢٦٣ - ٢٧٥ )

• الناي المصرى ذو المنقار ( شبابة ) ( ص ص ٢٧٥ - ٢٨٠ )

• مزامير القرب - ( ص ٢٢٦ )

• آلات الايقاع الصاخبة ، وسنطيل العرض فى هذه الفقرة من الحاشية لأن الآلات المذكورة هنا هى التى أشار اليها الأمير عند زيارته لفرق الدراويش أو الطرق الصوفية ، الصلاسل أو الجلاجل أو الصنوج والضارب على الصنوج يسمونه ( صناج ) . وتستخدم الراقصات المصريات الكاسات والمفرد كاس وتسمى أيضا الصلجات ، وهناك الدفوف وهى على أنواع منها الطار والرق ، وثمة سبعة أنواع من الطبول يهمنها طبل المسحر وطبله المشيخ وتسمى طبله المسحر باسم الباز ويتم الضرب عليها بعصى صغيرة من الخشب ويسعى كثير من الطرق الصوفية ( طوائف الفقرا ) الى تنظيم حركاتهم ورقصاتهم أو انكارهم على صوت هذه الآلة ، وهى ما تفعله على سبيل المثال طرق الملاوية ( نسبة الى جلال الدين الملاوى من ملاوى بالمغرب ) والشبناوية ( طريقة أحمد البدوى ) والعلوانية ( يضربون أنفسهم بالسكاكين والأحجار فى مناسبات بعينها ) والبرهامية ( طريقة إبراهيم الدسوقي ) والسعدية ( نسبة الى سعد الدين الشيباوى من العراق ) والخلوتية ( أسسها أبو اليزيد البرهامى ) الخ .

( ٢ ) لا يختلف رأى ريدلف فى الرقصات المصريات عن رأى علماء الحملة الفرنسية ، يقول فيوتو أحد علماء الحملة . « ..... انهن يقمن بالغناء بمصاحبة نوع من الدفوف تسمى بالعربية : طار أو دربكة ..... والراقصات العموميات يسمون بالخوازي ، ويظهرن فى الأماكن المطروقة كثيرا ..... ورقصاتهن لا تقدم سوى مشاهد مثيرة للغاية ..... ومن العسير أن نصف هذا النوع من الرقص ، بلغتنا فى دقة فلا أحد يستطيع أن يتخيل مدى غش حركاته ، ويعبر هذا الرقص الذى لا تكاد تسهم فيه سوى القديمين وأعلى الجسم بأكبر التبدلات جساراً - عن الانفعالات الجارحة التى يمكن أن تحدثها الشهوة فى النفس ، والأفعال التى يمكن أن تودى الى تصاعد عاطفة شتقة ودغدة بالغة القوة كرقبة حسية ملحة ..... وتكاد تحاكي تشنجات الوصال ..... وتمثل كل ما فى الخلاعة من غير ..... انه

بمثابة تمثيل صامت خليج ٠٠ ويصاحب الرقص رنات الاجراس النوبية ٠٠ وتمسك  
الراقصات بالصناج بين اصابعهن ٠٠٠ »

وصف مصر ج ٨ من ص ١٥٥ - ١٥٨ .

(٤) تشير كتب التاريخ القديم المتداولة الى أن سيزوستريس هو سنوسرت الثالث ، من  
الأسرة ١٢ ، وأنه أمن حدود مصر الجنوبية حتى ما وراء الجندل الناني وأسس لذلك  
قلعتى سمنا وقمنة ، وأنه طهر مجرى النيل الى منطقة الجندل الاول ليعسر ابحار السفن  
وأنه وصل النيل بالبحر الاحمر بقناة عرفت باسمه « قناة سنوسرت » وأسماء اليونانيون  
قناة سيزوستريس وهم أسم سنوسرت باليونانية .

(٥) يقول دى بوا أحد علماء الصملة الفرنسية بصدد حديثه عن  
القصير وما حولها : « . . . ولا يزال يعيش فى هذه المنطقة ( الصحراء  
الشرقية ) شعب يستحق - بسبب تشابهه مع سكان الكهوف القدامى - ان ندخل فى  
بعض التفاصيل عن عاداته وتقاليده ، ونقصد بهذه المجموعة البشرية : العباددة ، وهم  
أبناء قبيلة جواية تشغل الجبال الواقعة الى الشرق من النيل ، فى جنوب وادى القصير  
وهى منطقة كانت تعرف فيما مضى باسم « سكان الكهوف » Troglody tique .  
وتمتلك هذه القبيلة كذلك عدة قرى على الشط الايمن ( الشرقى ) للنيل أهمها دراو ،  
والشيخ عامر ، والريسية . ويدفع كل التجار الذين يمارسون تجارة القصير الى العباددة  
مبلغ ٢٢ مدينى عن الجمل المحمل ومكيالا صغيرا ( ٢٤/١ من الأردب ) من القمح أو  
الفول أو البقيق أو الشعير - حسبما يحمل الجمل - كما يأخذ العباددة عينا ٢٠/١ من  
الخراف والماعز والدجاج والمواد التموينية الأخرى من تلك الأنواع التى تصل الى القصير .  
وقد أقام هؤلاء مخيمهم الذى نصبوه فى ضواحي هذه المدينة ( القصير ) بقصد منع أى  
نوع من التهرب من الاتاوة ، وكان العباددة ملزمين فى مقابل هذا بالسهر على تأمين الطريق  
وحماية القوافل ، ولكنهم لا يتعهدون مطلقا بالرد على الحوادث وبخاصة تلك التى يمكن أن  
تأتى من جانب عربان الحويطات الذين ينتشرون فى هذه الصحراوات حتى قلزم السويس ،  
وتدور بين هاتين القبيلتين ( العباددة والحويطات ) حرب مستمرة منذ زمان لا تحيه  
الذاكرة .

وفى وقت معين عندما يشكل القمح والمواد الغذائية الأخرى التى يقدمها التجار  
أكواما هائلة وسط المخيم ، يكثر عدد العباددة الذين يجتمعون لتقسيمها بينهم ولا يخلو الأمر  
من مشاحنات .

وعدد الخيول لديهم قليل ، فهم لا يركبون الا الهجين ٠٠٠ ولا تشبه سروجهم السروج  
المستخدمة فى مصر اذ تتكون من قطع مختلفة من الخشب مريوطة بسيور من جلد ٠٠٠ وفى  
العادة يبسط فوقه فرو خروف ٠٠ ومن فوق هذه السروج لا تتدلى ساقا الراكب كما  
يحدث للفارس المتطى حصانا ، ولكنه يكون جالسا وساقاه ممتدتان للأمام ؛ تستقران  
أو تتشايكان فوق رقبة الحصان . ويربى العباددة عددا هائلا من الجمال ٠٠٠ والعباددة  
مسلمون ، ولكن البلاد التى يقطنونها والحياة النشطة التى يحيونها على الدوام لا تمكنهم  
من اتباع كل مبادئ الاسلام بدقة وإخلاص ٠٠٠ ويتباهى العباددة بأنهم شعب محارب ،  
فاذا سألت أى واحد منهم عن نفسه بأمر قائلا : أنا جندى ٠٠٠ ويزعمون أنه يمكنهم  
تجهيز ألفى رجل رجل تحت السلاح وقد يكون فى هذا مبالغة .

٠٠٠ ويختلف العباددة اختلافا تاما فى تقاليدهم ولهجتهم وعاداتهم وينتبه من  
القبائل العربية التى تشغل - مثلهم الصحراوات التى تحيط بمصر ، فالعربان بيض البشرة

يخلقون رؤوسهم ويرتدون العمامة ولديهم أسلحة نارية ورماح يبلغ طول الواحد منها من أربعة الى خمسة أمتار وسيوف مقوسة ٠٠٠ أما العبايدة فسود البشرة لكن ملامحهم تتشابه كثيرا مع ملامح الأوربيين وشعرهم جعد بشكل طبيعي لكنه ليس كوبر الصوف وهم يحتفظون به طويلا يتبدل على اكتافهم اذ هم لا يلقون رؤوسهم مطلقا ، ( لم يشر الى قسح الخشب في رؤوسهم كما تصدت ريدولف ، ولعل ريدولف رأى طائفة منهم على هذا النحو ) وتحتصر ملابسهم في قطعة من القماش يعقدونها أعلى الكليتين ولا تتدلى لأبعد من منتصف الفخذين ٠٠٠ ويدهنون أجسامهم بالدهون ويضعون كمية منه فوق رؤوسهم ٠٠ وشيوخهم هم وحدهم الذين يرتدون العمامة في بعض الأحيان بالإضافة الى قميص يستخدمونه أحيانا بمثابة ثوب ٠ وليست لدى العبايدة أسلحة نارية على الإطلاق ، ويتسلح الرجل منهم برمحين يبلغ طول الواحد منهما ١٦٠ الى ١٨٠ سم وبسيف مستقيم ذي حدين وبسكين مقوسة يعلقها الواحد منهم في ذراعه اليسرى ويحمل ترسا مستديرة من جلد الفيل يبلغ قطرها ما بين ٦٠ و ٧٠ سم ٠ ويعرف العبايدة اللغة العربية بالإضافة الى لغتهم الخاصة ، وربما كان العبايدة منحدرين من أصلاب تلك الشعوب الجواله التي كانت تمتلك هذه المناطق في الزمن القديم والتي حببنا عنها المؤلفون القدامى مثل استرابون ودوديور الصقلي ( هذا الاستثناء يناقض ما ذكره ريدولف ونذكر أنه سمعهم هذه رثى انهم كوشيين من أصول آسيوية ) فالصفات التي ذكرها المؤلفون القدامى تنطبق عليهم ، فقد وصفهم بأنهم سكان الكهوف وأنهم كانوا يحملون من السلاح دروعا مستديرة من الجلد ورمحا وكانوا عراة فيما عدا منطقة الفخذين والكليتين ، كما كانوا يمارسون الختان ٠ وأخيرا فقد كانت لهم طريقة لدفن الموتى خاصة بهم ، فقد كانوا يلقون الجثث في الجحش حتى تغطى بشكل تام ، ولأزال العبايدة حتى اليوم يمارسون الطريقة نفسها في الدفن ٠٠ وقد لفت البعض نظري في وادي القصير الى أكوام عديدة من التجارة كانت هي مقابر لبعض العبايدة الذين قتلوا في المعارك ، ورأيت أيضا في منتصف الطريق - على بعد ثلاثة فراسخ من القصير - تلالا من الحجارة ، وقيل لي انه من المحتمل ان هذه الأحجار تغطي جثة أحد أثرياء التجار قتله العريان ٠٠٠٠ ولم نشاهد أية خيمة في معسكر العبايدة بالقرب من القصير . ففي أثناء النهار عندما تلتهب حرارة الشمس يضع الرجل منهم مرج حمله ويقف تجاهه على مسافة معينة حجرا يماثل السرج - في الارتفاع ثم يضع علي هاتين الدعامتين سيفه ورماحه ثم يبسط فوق ذلك كله جلد خروف ٠ وهكذا ينهض البيت الذي قلما يبلغ ارتفاعه في الواقع أكثر من أربعة أو خمسة ديسيمترات ، ولا يستطيع الرجل بداخله الا أن يكون راقدًا ، ويحتمى آخرون من الشمس في كهوف صغيرة كانوا قد حفروها على منحدر الجبل ، ولم أشاهد في هذا المعسكر نساء على الإطلاق ، ومن المحتمل - الى حد كبير - أن تكون الأكواخ والخيام في المعسكرات التي توجد بها النساء أكثر من تلك اتساعا ٠٠٠٠ وليس للرقص عند العبايدة أية علاقة بذلك الرقص الشهواني الخليع لدى المصريين ، فهو يتخذ على الدوام صورة المعارك والمبازرات ، فيتسلح الراقصون بالرماح والدروع ويخطون وهم يتبادلون الهجوم خطوات عديدة بخفة وقوة وتتجلى المهارة في الدفاع عن الدرع وتحمل الهزيمة بمن يترك درعه تلمس ٠ وفي كثير من الأحيان يندفع أحد الراقصين نحو واحد من المشاهدين ويضع طرف سيفه على صدره مطلقا صيحة عالية ينبغى أن يجيب عليها بكلمة : عبايدة ! وعندئذ يتعد الراقص عنه ويواصل رقصه ٠٠٠٠ .

(٦) عن البرك التي يتحدث عنها ردولف في هذا الموضع وفي مواضع أخرى ، يورد علماء الحملة الفرنسية أن نظام الري المصرى القائم على الغمر أثناء الفيضان ، وعلى التحكم في توزيع مياه - أى الفيضان - من خلال سلسلة من الجسور الترابية ، يؤدي الى تكوين سلسلة من البرك مع انحدار النهر ، وبعد انحسار مياه الفيضان تظل بعض هذه البرك أو التجمعات المائية في الأماكن الأكثر انخفاضاً أو في الأماكن ذات التربة غير المسامية التي لا تسمح بتسرب المياه .

انظر تفصيل ذلك في دراسة ب.س. جيرار في كتاب وصف مصر لألف نكره .

ترجمة زهير الشايب ج ٤ ص ١٥ .

(٧) الكاب الحالية بالقرب من انقو بمحافظة قنا ، واسمها القديم نخب ، وكانت عاصمة لمملكة الوجه القبلى أو مملكة الجذرب قبل أن يرحل منها ( نارمر أو نعرمر ) مصر في مملكة واحدة وكان شعارها زهرة اللوتس ، ولون تاج ملكها أبيض .

## الفصل الخامس

من فيله الى أسيوط - نظرة على أسوان - النوبيون -  
 ارتظام بقاع النيل - كوم الأمير - الكاب - كلاب مصر -  
 أرمنت - الوصول للأقصر - مقابر الملوك - نقوش  
 يقرؤها برجش - قنا - سوهاج - الى أسيوط - ركوب  
 القطار من أسيوط - الوصول للبدرشين - منف وحديث  
 أثري - عن الأهرامات وأبي الهول - خلاف مع أغا  
 ( طواشي ) فقط - وعدنا للقاهرة الجميلة - رسوم الفنان  
 بوسنجر - تعليقات المترجم \*

تناولنا افطارنا - الذى جلبناه معنا - فى أحد الأجنحة القديمة  
 للمعبد الذى كان لا يزال محتفظا بروثقه القديم ، ويقع جناح المعبد هذا على  
 جسر مرتفع ، وثمة شرفة أمامه ترتفع شامخة الى أعلى من مستوى النهر  
 ذى الأمواج التى تخللها الزبد \*

لقد استمتعنا بالقضاء نظرة من أعلى على جمال فائق غير مألوف ،  
 وذلك من خلال بوابة إحدى القاعات ذات الأعمدة • ان الصحراء تشهد  
 أشعارا رائعة لا يمكن وصف روعتها ، ويشع عقب التاريخ من بقايا مضت  
 عليها عصور سحيقة من جزيرة ذات خضرة بهية تقبع وسط المجرى  
 المقدس • ان فيلة صورة لا يمكن أن تنسى وانما تقبع للأبد - كبقعة نور -  
 فى الذاكرة •

لقد هبطنا من المعبد الى الشاطئ واتخذنا سبيلنا فى النهر تجاه  
 الجنادل فى قارب قديم طرازه ، وصصفناه لتونا • وظللنا لفترة نتأمل  
 الجزيرة الصخرية والجرائيت الأسود والنباتات المزهرة ، والمعبد الشامخ ،  
 وغنى المجدفون ذرو البشرية الداكنة أغاني حزينة تشكل تكاملا هارمونيا  
 مع عظمة المنظر المثير للعاطفة •

وقبل أن نصل بالفصل للجنادل التى تقسم النهر الى مجار متعددة  
 رسونا بقاربنا وسرنا على طول الشاطئ الصخرى حتى وصلنا لبقعة  
 يمكننا منها أن نلقى نظرة على الصخور الشامخة والمياه المتلاطمة أمواجه ،  
 ولا تسبب هذه الجنادل شلالات وانما منحدرات تتسبب فى تدفق المياه  
 تدفقا سريعا rapids • ان آلاف الجزر الصخرية الصغيرة والجروف



**Cliffs** • والحيود riffs • تملأ مجرى النهر لأكثر من كيلو متر ، ويبدو النهر - وكل ذلك يعترض طريقه - يرغى ويزيد ويزاد وهو يشق طريقه ، انه بلا شك منظر مهيب يزيد من جماله ذلك اللون الأسود وأشكال الخيود والمخاضات بين الصخور التي ترتفع بين المياه ذات الزبد الأبيض ، انه لأمر شائق أيضا أن ترى النيل الوديع الهادئ قد تحول فى هذه المنطقة من المجرى الى نهر جبلى عنيف •

### النوبيون :

وفى اللحظة التى وصلنا فيها الى أفضل نقطة تمكننا من رؤية المشهد ، ظهر عدد من النوبيين العراة وقفزوا بين الأمواج متجنبين الصخور وألقوا بأنفسهم بين أكثر الأمواج صخبا وأشد التيارات سرعة • وفى ثوان قليلة وصلوا للشاطئ وكانهم سهام انطلقت من أقواسها ، ثم زحفوا خارجين من الماء ليصلوا إلينا طالبين البقشيش وهم يقطرون ماء وقد أحدثوا جلبة وصخبا • وعدنا للقارب وجدفنا مسافة قصيرة صاعدين فى النهر ثم ركبنا الحمير التى كانت فى انتظارنا وعدنا الى أسوان من الطريق نفسه الذى قدمنا منه صباحا •

استغرقت الرحلة طوال النهار ، ولم نصل الى باخرتنا الا قبيل الغروب فتناولنا غداءنا ، وبعد ذلك ذهبنا أنا وهويوز Hoyos - مرة أخرى - عند الشفق عند مواضع القنص التى كنا فيها البارحة • وقد اضطرنا مساعد الصياد التابع لى لذلك لأننا عندما كنا فى فيله استنتج وجود ضياع - عند ملاحظته لآثارها حول بقايا بعض الجيف •

كان الليل لطيفا واقترحنا ألا نطلق النار على أية طريدة أقل من ضبع ، فلننتظر اذن حتى تظهر الضياع حتى لو قضينا شطرا طويلا من الليل • وظهرت بعض حيوانات ابن آوى فتركناها تمر بلا ازعاج منا وبينما كان منتصف الليل يزحف مقتربا - وكنت أخوض معركة شرسة مقاوما النوم - رأيت بفضل نور القمر الساطع بعض البشر يزحفون غير بعيد عن مكمنى ، وسرعان ما سمعت بعد ذلك عدة طلقات قوافة ( بفتح القاف وتسكين الواو ) النجاج - ذلك الصوت المألوف • لقد وقعت دجاجات فى شرك هؤلاء البشر الزاحفين •

والآن لقد أخلت هذه الضجة بما يتطلبه قنص الضياع من هدوء وسكون كاملين ، وبدلا من أن أضيع وقتى هباء رجعت الى مقر اقامتى وقابلت المترجم بولووتش Paulowich لقاء عاجزا ، وكان لبسوء الحظ مع البارون سكيندورف Seckendorf - فى البقعة نفسها التى كنت فيها •

وكان هويوز Hoyos قد قتل ابن آوى وجرح آخر فى مكانه القريب من المدينة . كما أن كلا من اللوق الكبير ، وايشنباشر Eschenbacher قد أحاطت بهما حيوانات ابن آوى وهى تعوى . وحدث هذا فى الوقت نفسه . فاضطر كل واحد منهما للانطراح أرضا بشكل غير ملائم لاطلاق النار . وبينما كنت عائدا فى منتصف الليل تمكنت من القاء نظرة على مدينة أسوان ، ونهر النيل وجزيرة فيله . انه منظر رائع فى حاجة الى ريشة فنان ، لقد بدا المنظر - فى فيض نور القمر المتألق السحري - لا ينسى .

### ارتظام فى قاع النيل :

وفى الساعة الثامنة صباح اليوم التاسع من شهر مارس غادرت السفينة البخارية أسوان . ان هذه المدينة الواقعة وسط أفريقيا ، والمتسمة بالبهجة تستحق اهتماما كاملا من الناحية الانوجرافية ، لقد انطلقت باخرتنا فى النيل بأقصى سرعة ورأينا مناظر أضحت معروفة لنا ، ومرت الوقت سريعا وانهزنا فرصة رحلة العودة هذه لترتيب ما جمعناه من ملاحظات ، وفى الظهر جلسنا فى القمرة ( الكابينة ) وتوقفت السفينة فجأة وبعتف ، ولم نستوعب كيف أن سفينة بخارية كبيرة يرتطم قاعها فى طمى قاع النهر . لقد ارتطمت سفينتنا بقاع النهر ونحن نبحر فى وسط المجرى صعدا . وكنا قد تحاشينا الابحار قرب الشاطئ لأن كل البواخر النيلية تجنح عند رمال الشاطئ - وعلى أية حال فان ارتظام سفينتنا فى المرات السابقة لم يكن بالحيلة نفسها التى كان عليها الارتظام هذه المرة نظرا لأننا كنا فى طريق العودة حيث ينحدر النهر من الجنوب للشمال .

وأعلن ربان السفينة العجوز أن الأمر يتطلب ساعتين على الأقل لتطفو السفينة من جديد . لذا فقد انتقلنا للشاطئ عند بقعة تسمى كوم الأمير Kom el-Emir حيث تقترب الجبال العالية الصخرية من المجرى وتنحدر عليه انحدارا حادا ، لكن شريطا ضيقا جميلا من الأرض المزروعة جعل للمكان روحا كروح السهول .

وتفرق جمعنا فى مختلف الاتجاهات يتريضون ، وقد حاولت - فى البداية - أن أزحف صاعدا الصخور الجرداء لأصل الى بعض الطيور الجارحة لكننى لم أفلح ، لذا فقد فضلت أن أمارس الصيد بين أشجار السهل وعلى شاطئ النهر . لقد اصطدت خلال هذه الرحلة القصيرة يمامة صغيرة كانت ألوانها مدهشة ، انها حقا من طيور وسط أفريقيا ،

وكانت فى حجم القنبرة ، ولها ذيل طويل • يالها من مخلوقٍ مدارى .  
جسذاب ! •

وبينما كنت أبحث على الشاطئ الرملى عن الطيور لاحظت أن  
سفينتنا البخارية أصبحت جاهزة لمتابعة الرحلة بعد ساعتين من محاولات  
تعويمها ، فركبنا قواربنا وجدفنا عائدين وتابعنا الرحلة التى قطعناها هذه  
النزهة الباعثة على السرور •

## السكاب :

وفى المساء - بعد غروب الشمس - رست سفينتنا عند الكاب  
El-Kab (١) على الشاطئ الشرقى • ويفصل - هنا - شريط ضيق  
من الأرض المزروعة بين النهر من ناحية والصحراء وما يليها من جبال عالية  
من ناحية أخرى ، وحالما وصلنا قرنا أن ننتهز الليل الذى يغمره ضوء  
القمر لصيد الحيوانات المفترسة فتفرقنا فى مختلف الاتجاهات لاختيار  
مراكز اقامتنا •

فسرت ومعنى بوسنجر Pausinger ومعنا الفلاحون عبر الحقول  
وتجاوزنا قرية بائسة حتى وصلنا للصحراء • وراينا بقايا مدينة نخبت  
Necheb المصرية القديمة ( يسميها اليونانيون ايليثيا Eilethya ) ،  
وان كان المنظر ضبابيا غير واضح • ويشمخ مبنى متين خارج السور من  
طوب لبن فوق كل شئ ويشير بوضوح الى أنه بقايا قلعة ذات شأن •  
ويوجد هنا أيضا على افريز الجبل ( الافريز هنا هو ما نأى من الجبل )  
بعض القبور الحجرية • وقبر حجرى أسسه بطليموس يورجيتس  
Ptolemy Euergets وعلى البعد يوجد حرم ( معبد ) أمنحتب الثالث  
وهو مخصص للالهة نخبت Necheb .

والصحراء فى هذا الجزء مشبعة بكاربونات الصوديوم ، وفى كل  
خطوة يسمع المرء صوت طقطقات القشرة الأرضية • لقد ذهبنا بالقرب من  
سفح الجبل واختبأنا بين صخرتين كبيرتين ، وربطنا عنزا صغيرا راح  
يشغو أمامنا على عهد خطوات قليلة • وما كادت تنقضى ربع ساعة حتى ظهر  
بدوى ملتف بعباءة بيضاء راكبا جملا ويغنى أغاني حزينة ، وبدا هذا  
الراكب الغريب مثيرا للدهشة فى هذه الصحراء الخالية • وظهر أن الماعز  
الذى يشغو قد لفت نظر البدوى ، فتوقف وتطلع حوله وراح يجرى حوارا  
مع نفسه بصوت يكاد يكون مسموعا ، ثم استمر فى طريقه دون أن  
يكتشف مكننا •

ولما عم الهدوء مرة أخرى سمعت حفيف حيوان يزحف ، وأصغر الماعز ما يشبه الاثنين وقفز عاليا خوفاً وفزعاً ، وعقب ذلك مباشرة رأيت جسداً أسود أكبر من الكلب يقترب من الشراك (العنز) ، فصبوت بأحكام وأطلقت النار ، وأسرعت إلى حيث الطريدة ولكنني لم أجد شيئاً خلا آثار زحفها إلى الجبل ، فاعترائني غيظ وخيبة أمل من جراء ذلك لكنني حلست أننى أصبت ضبعاً قعدنا إلى سفينتنا البخارية ، وطلبت من مساعد الصيد التابع لى أن يعود فجر اليوم التالى ليتتبع آثار الحيوان الجريح .

ولما عدنا للباخرة كان سائر أفراد المجموعة قد سبقونا بالعودة . وكان المدوق الكبير قد رأى حيوانات ابن آوى لكنه لم يصب - لسوء الحظ - أياً منها أما هويوز Hoyos فقد حالفه الحظ فأصاب أحدها .

وفى العاشر من الشهر ارتفعت الشمس فى كبد السماء قبل أن أستيقظ وأبحرت بنا السفينة هابطة فى النهر لأكثر من ساعة ، وسألت عن مساعد الصيد التابع لى فعلمت أنه وجد الحيوان الجريح على بعد مئات قليلة من الخطوات من موضع إصابته ، لكن - وبالأسف - أنه لم يكن ضبعاً وإنما كان أحد كلاب القرية ، والكلاب فى مصر تكاد تكون متوحشة ، فالكلاب فى مصر تتجول طوال الليل حول المدن باحثة عن فرائس ، كما رأى مساعد الصيد التابع لى وشقا lynx ضحماً خجماً ، على بعد خطوات قليلة منه سرعان ما اختبأ فى ثقب فى جدار الكاب El-Kāb العتيق .

### كلاب مصر :

وليسمح لى القارىء أن أذكر فى كلمات قليلة فكرة عن الكلاب فى مصر . لقد أجريت ملاحظات استطلاعية خلصت منها إلى أن كلب القرية the village dog والوف الأفريقى African Wolf (Cains lupaster) وأبو الحسين Abu el-Hossein أو (الديب) كما يسميه العرب وابن آوى Canis-aureus والثعلب المصرى والواوى Wauى السبورى - كلها قد اختلطت معاً فنتجت عنها سلالة مخططة (\*) .

فلم يحدث أن أصيبنا اثنين من حيوانات ابن آوى ولا اثنين من الذئاب (الوف) إلا ووجدنا بينها تشابهاً تاماً ، سواء فى الحجم أو اللون .

(\*) عن مدى صحة ذلك لا بد من الرجوع لعلماء الحيوان ، فما يذكره - غير متخيخ - فيما يبدو - ( المترجم ) .

وفي فلسطين نجد أن هذا الاختلاف أكثر وضوحاً • وبشكل عام فإن حيوان ابن آوى الآسيوى أضخم من حيوان ابن آوى فى شمال إفريقيا ، إلا أنهما متشابهان ، وقد اقتنصت أحده هذه الحيوانات لا يمكن مقارنته بالنماذج السابقة سواء فى الحجم أو اللون بل ولا يمكن وصف هذا المخلوق غير العادى بأنه ذئب •

وعلى أية حال ، فإن كلاب الشرق تحمل غالباً دلائل تشير لأصلها المتوحش وهذا لا يثير الدهشة عندما يتذكر الإنسان أنها حيوانات غير مروضة لا صاحب لها • وتظل تجوس طوال الليل من الغسق الى طلوع الفجر مع الذئاب وحيوانات ابن آوى ، فى المناطق المحيطة بالمدن والقرى •

بل اننى أود أن أذهب لأبعد من هذا وهو أنه فى هذه الأنحاء من أفريقيا وآسيا حيث الكلاب والذئاب وحيوانات ابن آوى تقطن منطقة محدودة وان ابن آوى الخالص ( غير المخلط ) لا وجود له فى الواقع (\*) أما الكلاب والذئاب فأجناس حافظت على نوعها بطريقة أفضل أما ابن آوى *Canis aureus* كما ورد فى الكتب العلمية فقد بحث عنه عبثاً فلم أجده كجنس أو سلالة محددة •

دعنا الآن نعد لمغامرات رحلتنا • لقد تابعت السفينة مسيرها حتى الساعة العاشرة صباحاً حتى توقفت فى الدبابية *Dabbabieh* عند شاطئ رملى ، ورأيت على مكان مرتفع نسراً ضخماً ، وعندما رسونا وجدنا الفلاحين الذين كانوا ينفذون أوامراً حرفياً •

وأقاموا كوخاً صغيراً من البوص ، وقد أظهرت عظام الخراف والكلاب أن النسور قد تناولت وجبتها اليومية ، وقد وجدنا صعوبة كبيرة فى إبعاد الفلاحين المحبين للاستطلاع عنا ، فقد كانوا راغبين فى موافقتنا لأنهم كانوا فخورين بما أنجزوه فى سبيل مساعدتنا •

وسرعان ما ظهرت بعض نسور الجيف وتبعته ثلاثة نسور ، لون رموسها مختلف عن لون سائر أجسامها *hooded vultures* ، وهذا النوع الأفريقى من النسور متوسط الحجم أسود ورأسه صلعاء • لم يحدث أن رأيت أبداً هذا الطائر البشع منظره قبل ذلك ، فاسترعت لذلك - باطلاق النار ليكون لدى واحد من هذه الطيور • وأسرع الفلاحون قادمين من كل ناحية بمجرد سماع طلقتى وراحوا ينظرون لصيلى باستغراب وراحوا يحذرون جلبة وضخبا بطلب البقشيش

(\*) لا ادري مدى صحة ذلك ، والامر متروك للمتخصصين - ( المترجم )

لقد كان النسر الكبير يحوم دائريا فوق وعوسنا ، وكانت اللحظة مناسبة لتابعته وكان يمكننا أن نحقق نجاحا كبيرا ، ومع هذا فقد كنا مضطرين للتراجع بقدر ما نستطيع لنحتمي أنفسنا من الناس فقد وصل عدد آخر من الفلاحين من كل اتجاه ، فاستدعينا سفينتنا البخارية الى الشاطئ وواصلنا رحلتنا .

#### أرمنت :

وفي أرمنت Erment التي وصلناها بعد الظهر كان علينا أن نبقى لبعض الوقت لنحمل معنا قطعة الجرانيت الشهيرة ، وخلال هذه الفترة اليسيرة نجحت في اصطياد ست وأربعين حمامة من حمامات الحقول كانت تعبر النهر من جانب الى آخر مارة فوق سفينتنا .

وسرعان ما تابعتنا رحلتنا فوصلنا الأقصر مرة أخرى عند الغروب ، وبمجرد أن لمست سفينتنا مرساها أسفل الفندق حتى ظهر خليل ومعه بعض الحمير ، فركب بعض أفراد جماعتنا بأقصى سرعة واتخذنا سبيلنا الى طريق الكرنك الشهير لنكمن للضباع في عدة مكامن .

واتخذت لنفسى موقعا بجانب إحدى البرك pond (٢) القديمة أستمتع بجمال الماء ، ورحت أشد ريش البجاجة الحية التي كنت قد أحضرتها معى - بين الحين والآخر - عسى أن يجذب صياحها الحيوانات المتوحشة . ولسوء الحظ ، فبدلا من أن تجذب حيوانات ابن آوى ، ظهر بعض الرجال الانجليز فنظروا الى بدهشة ، وسرعان ما واصلوا طريقهم مبتعدين .

ولما عم الظلام ، انقض طائر ضخم على البركة Pond كالشبح ، فأطلقت عليه النار فوجدته طائر مالك الحزين ( البلشون ) وقد تمدد ميتا على الشاطئ . وبعد ذلك غادرت مكاني وركبت عائدا الى الأقصر فوجدت أن رفاق الرحلة قد عادوا دون أن يصيدوا شيئا .

#### مقابر الملوك :

وفي بكور صباح اليوم التالى جددنا الى الشاطئ الغربى ( تعليق المترجم : يسمى الأرشيدوق الشاطئ الغربى للنيل باسم الشاطئ الليبي Libyan shore ) ، لزيارة مقابر الملوك . ركبتا البغال ، وفي بداية الطريق عبرنا سهلا خصبا ، وكان الفلاحون يعملون في حقولهم بهمة بينما كانت نسور الجيف تتحلل بكثرة حول الأكواخ الطينية المتناثرة ، بينما ترعى الجمال والماعز - ذوات الأذان الطويلة - والجواميس والحمير

والاغنام كلا اعترته صفرة . وكان الطريق يمر بنا بين بعض البرك ظل الماء باقيا فيها منذ أيام الفيضان وعبرنا ترعة ضحلة بها رمال الى قرية صغيرة فقيرة ، تشكل نخيلها وأشجارها الحد الفاصل بين الأراضي المزروعة والصحراء ، وسرعان ما وصلنا لسفح الجبال الشامخة لينتهى الوادى عند منحدرات جبلية حادة ، وأصبحت المنحدرات الصخرية أمامنا مباشرة . ويؤدى ممر خاص الى الأسفل الى مقابر الملوك ، وقد اختار رفاق الرحلة أن يسلكوا هذا الطريق .

فكان من رأيي أنا والدوق الكبير أن نصل الى مقابر الملوك بأن نسلك طريقا قصيرا عبر الجبل ، وبالفعل فقد استعنا بهرشه عربى معروف بأنه رياضى ممتاز وتسلقنا بعض التلال الرملية التى اختلطت بها أحجار مكسرة ، ثم هبطنا من الناحية الأخرى .

وكان الممر الضيق يلف مرتفعا على طول المنحدرات الصخرية بين كتل وجلاميد صخرية ، والى اليمين واليسار كنا نرى ما لا يحصى من القبور والكهوف الجنائزية *funerat caves* فالمنحدرات الدنيا لكل خط الجبال الى الغرب من طيبة القديمة بها تجويفات عميقة فتجويفات أعماق فأعماق وهكذا ، واتخذت هذه التجويفات مقابر على مدى القرون .

وقد خرج ذئب من بين هذه القبور وانسل صاعدا المنحدرات ولسوء الحظ فان المسافة كانت بعيدة لا تمكننى من اطلاق النار عليه بطلقة صغيرة ، اننا الآن فى طريقنا لتسلك الجبل صاعدين مرات مختلفة أملين أن نتمكن من اطلاق النار عليه .

وسرعان ما وصلنا للقمة فتجلى أمامنا منظر جميل فى وادى النيل الأخضر متمثلا فى مدينة الأقصر وآثار الكرنك ، وفى الناحية المقابلة الجبال العربية *Arabian mountains* : قمم وذرى ومسيلات ووديان ومنحدرات صخرية وأكوام من رمال وأحجار مهشمة وكتل حجرية صلبة وكتل من أحجار جيرية ، جميعها بيضاء أو اعترتها الصفرة دون أثر لخضرة ، وانما جرداء تتلأأ وقد عكست أشعة الشمس الأفريقية . قلما يتخيل المرء صورة أكثر عظمة وجهامة من جبل صحراوى حقيقى . وفى الرمال وجدت آثار ضباع وذئاب وحيوانات ابن آوى وما لا يحصى من بحور الحيوانات البرية ، وكمننت النسور فى ظلال الصخور وحلقت العظاءات *Swift* فوق قمم الجبل القضية .

وجرى ذئب عبر الممر أمامى لكنه كان بعيدا لا تؤثر فيه طلقتى ، وضاعت فرصة مماثلة – لاقتناص ابن آوى – من الدوق الكبير للسبب نفسه ، وسرنا فى ضيق وهبطنا بصعوبة فى الوادى الرئيسى لنقابل الحمير

في الموضع المتفق عليه سلفا • وركبنا الحمير عبر واد منعزل تحيطه جبال  
بيضاء عابسة ، لنصل الى مقابر الملوك عند ببيان الملوك **Biban-el-Moluk**  
حيث يواجه ممر مسلود من منتهاه **Cul de sac** ومنحدر على نسق  
انحدار الوادى الذى يشقه ( أى الطريق ) وينتهى بنهايته وثمة شق  
( هوة ) مظلم يقضى الى مدافن الاسرات ( الفرعونية ) الاولى ، وحملت  
المشاعل ودخلنا أضرحة الماضى •

وانى مدين لبرجش **Brugsch** باشا لكثير من الملاحظات القيمة  
عن هذه البقعة ، وسأتركه الآن يقضى بما عنده : « مقابر ببيان الملوك تقح  
فى واد جانبى فى الجبل توحى طبيعته نفسها بسكون الموت ، وهنا تم  
دفن الأجيال المتعاقبة من أكثر ملوك الاسرات الحاكمة فى طيبة شهرة •  
وذلك فى كهوف عميقة ، ابتداء من الأسرة الثامنة عشرة فصاعدا • ونجده  
قبر سبتى الأول **Seti I** الذى يمثل معبدا ( ضريبا **temple** )  
حقيقيا لميت قد نحت خارج الصخرة ، ويعود هو الأجل بين هذه الآثار  
الجديرة بالملاحظة • وتفضى الدرجات ( السلالم ) التى تهبط بشكل  
منحوظ الى مجازات يمر بها حاملو الجثث ، فى ظلمة شديدة ، من ممر  
الى ممر ، ومن حجرة الى حجرة ، ورغم غارات النهب على هذه المقابر  
الا أن الرسوم والكتابة لاتزال تحتفظ ببهاء ألوانها كاملا • لقد تابعتنا  
رؤية مناظر متتابعة مبتهجين بالضوء الباهت فحملتنا هذه المناظر الى عالم  
الموتى وجعلت مناطق العالم السفلى المختلفة أمام نواظرنا مصورة نعيم  
الفردوس وعذاب من يستحقون اللعنة ، والسموات ذوات النجوم ورحلة  
مراكب الشمس السرية من الغرب الى الشرق ومن الموت الى الحياة خلال  
الليل والظلمة • لقد تجلى كل ذلك أمامنا فى صور • وتجلى بتفصيل  
كامل ، ونشرت أمامنا صفحات غامضة للحياة بعد الموت ومفتاح عقائد  
المصريين القدماء المتشابكة هو فكرة بعث الروح بعد موت الجسد  
**The resurrection of the soul after the death of the body** ، وعودتها  
الى مصدر النور ، فيحظى الطيب بالنور والسعادة ويجازى الشرير بالظلمة  
والآلم •

وقى غرفة - تم اغلاقها باحكام قبل ذلك - فى ضريح سبتى الاول  
**Seti I** ( حوالى ١٣٥٠ ق م ) رأينا ما يشبه بقرة السماء  
**Cow of heaven** ، وبجوارها شريط من كتابات هيروغليفية طويلة ذات  
أهمية فائقة ، إذ تناول اباداة الجنس البشرى واعادة تشكيل نظام  
عالمى جديد ، مما يقدم لنا مفتاحا للفهم الصحيح للعقيدة المصرية القديمة •  
وفيما يلى ترجمة لهذا النص الغامض :



« كان لمصر العليا والدنيا ملك هو اله النور رع Ra لم يولد ( هو موجود بذاته ) ، وبينما هو يحكم اتحد الملوك البشر والآلهة في كيان واحد (\*) وبدأ البشر في حبك المؤامرات عنه اله النور رع ليتخلصوا منه ، ولأن عظمتهم الملكية قد غدت عتيقة عريقة فان عظامه كانت من فضة ولحمه من ذهب وشعره من ياقوت نقي ورأى بعظمته الملكية كيف يكر به البشر ، فدعا اليه خدمه قائلا : « احضروا لى عيني ورب السحاب شو Shu ورب المطر تافنوت Tafnut ورب الأرض كب Keb ورب السماء نت Nut وأحضروا الأب والأم اللذين اتحلا معى وقت أن كنت ونفسى فى المياه الأولى ( المياه التى هى الأصل والأساس ) ، وكذلك رب المياه الأولى نن Nun الذى يحمل ألوهيتى (ربوبيتى) فى نفسه ، دعوه يحضر حاشيته معه . وقولوا له : « أحضرهم هنا بلا توان أو تأخير . لا تنظر للرجال ( البشر ) ولا تدر أرواحهم بعيدا . تعال الى قصر هليوبولس مع الأرباب الذين وافقوا على خروجى من الماء الى المكان الذى أشغله الآن » وبالفعل تم احضار الأرباب فالتقوا بأنفسهم على الأرض. اظهرا لولائهم لعظمتهم حتى يلقي كلماته لوالد أكبر الأرباب الذى خلق البشر وأنجب النبلاء . وقال الأرباب لعظمتهم : « تحدث الينا حتى نفهم » .

« فتحدث اله النور رع Ra لرب الماء الأول نن Nun قائلا : « أنت الأكبر بين الأرباب ، منك خرجت ، وأنت أصل الألوهية ، فلتسمعى الآن : الرجال الذين خلقوا من عيني يتحدثون ضللى ! قل لى : ماذا أنت فاعل ؟ حقيقة انى سأنتظر ولن أحطمهم حتى اسمع رأيك فى هذا الموضوع » .

فتحدث نن Nun وقال : « يا بنى . أنت رع اله النور أنت اله أعلى درجة منه فهو أبوك وأنت أعظم منه ، أعظم من الذى أنجبك Who begat thee فأين أقيم ( أجعل ) البشر الذين يقولون هذه الكلمات عتك ، ذلك أن فرع أولئك الذين يحيكون المؤامرات ضدك سيكون عظيما كبيرا ، سيكونون الى جوارك لأنك ستطبق عليهم جفونك ( عيونك ) . »

وقال عظمة رع اله النور : اذهب اليهم ، فقد هربوا للجبل لأن أرواحهم كانت مليئة بالرغبة من قبرى » .

وتحدث الأرباب الآخرون لعظمتهم : « أرسل عينك . دعها تضرب عنك أولئك الذين حاكوا المؤامرات باعتبارهم أتوا أمرا شريرا . »

(\*) أصبح اللاهوت والناسوت فى كيان واحد ، وهى الافكار نفسها التى تسربت بعد ذلك لبعض بيانات التوحيد - ( المترجم )

فأرسل إله النور رع عينه his eye فهبطت متقمصة (متجسدة) شكل الربة هاتور Hathor ، وعادت بعد أن حطمت البشر (الذين تحدثوا ضد رع) على الجبل .

وتحدثت عظمة الإله (الرب) فقال : « أبشر . لقد تم تنفيذ ما كان يجب تنفيذه . » لقد أوردنا البشر موارد التهلكة » .

وتحدثت هذه الربة (الإلهة) فقالت : « اننى أقسم بك اننى نفذت حكمك فى هؤلاء البشر ، وهذا يسعد روحى » .

وقال إله النور رع : « سوف أنفذ حكمى (قضائى) على البشر من خلالك فى المستقبل » .

وهذا هو أصل اسم الربة الانتقام . الربة سخط Sokhet (٣) .

وهكذا تحدثت Nut ربة السماء أمام أبيها ن Nun رب الماء الأول . وعندئذ تحولت ربة السماء Nut الى بقرة ضخمة وحملت على ظهرها عظمة إله النور رع .

« وبعد أن علم البشر الذين ذهبوا صاعدين فى المجرى ما حدث وقفوا ونظروا اليه (رع) وهو جالس على ظهر البقرة » .

وتحدث البشر وقالوا له (رع) : « أنت إله النور رع لا تتخل عنا ، سنقتل أعدائك الذين يحيكون المؤامرات ضدك . » سيقتلون » .

وذهب عظمته الى قصره لكن الذين تبعوه بقوا مع البشر (الرجال) حتى غرقت الأرض فى الظلمة ، الا أنه عندما أنارت الأرض وأشرق الصباح هب البشر (الرجال) مسلحين بالأقواس والرماح وأطلقوها على أعداء الإله (وهذا هو أصل فكرة الأضحية) وتحدث هذا الإله الى الإلهة Nut السماوية : « لقد حملت نفسى على ظهرك فأرفعينى الى أعلى » وفهمت ربة السماوات المعنى فتمطت . وهذا أصل العبارة القائلة : اطح نفسك فوق ظهرها تمدد (تمطى) ذاتها .

وقال عظمة هذا الإله : « والآن وقد فارتقت البشر ، سأصعد الى أعلى وأراقب » .

وراح عظمة الإله يراقب (الأمور) من الخارج ، وقال : ابحثوا لى عن حمالين أشداء : « مجموعة من البشر » وهذا هو أصل عبارة « مجموعة رجال (mass of men) » .

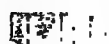
وقال جل جلاله hir royal majesty : « يا له من عمل مقم  
بالسلام أن أقيم حقلا واسعا ! » وهذا أصل اسم ( حقل السلام ) . سوف  
أنزع ( ؟ ) الأعشاب فيه ، وهذا أصل اسم ( pluckfield ) وسأمد  
السكان بكل شيء . . . .

وتوقفت السفينة هناك ، وفوقها مجاديف ومعبد صغير ، وفوقها  
قرص الشمس ، ووقف اله النور رع فيها أمام رب السحاب شو shu ،  
وبجانب يده ( قراءة أخرى : خلفه الى جوار يده ) .

وتم وضع ضرع البقرة الى جوار فتخذها الأيسر ، وفي الوسط .  
فالكتابات الموجودة عند منتصف ساق البقرة الخلفية كالتالى : « السماوات  
الخارجية » و « أنا حيث أكون I am where I am » و « أنا لا أدعها تعود  
I do not let her turn back » ، والكتابات الى أسفل السفينة فى المقدمة :  
« لا تسترح يا ولدى » والكتابات فى الاتجاه المعاكس ( المقابل ) :  
« حملك كالحياة Thy bearing is life like » و « ابنك هناك  
Thy son is yonder » و « الحياة والسعادة والصحة ، كل ذلك ممنوح  
لمنخريك » والكتابات خلف شو رب السحاب بالقرب من ذواعيه هى :  
« حارسها Her guardian » والكتابات خلفه عند قدميه فى الاتجاه  
المقابل : « الحقيقة » وكتابة أخرى : « هم يدخلون هنا » وأخرى :  
« اننى العاوى كل يوم » .

والكتابات تحت ذراع الشكل ( الرسم ) الكائن بين الساق اليسرى  
وخلفها كالتالى : « منهى كل شيء » .

والكتابات فوق الرسم عند الربع الخلفى من البقرة بالقرب من  
الساقين هى : « حارس خروجها Guardian of her going out » .



والكتابات خلف الشكلين التى تمتد من ساق البقرة الى رأس  
الشكلين هى : « الرجل كبير السن الذى يسبح عند خروجه » و « الرجل  
كبير السن الذى يتعبه عند قدومه » .

والكتابات فوق رأس الشكلين والكائنة بين الساقين الأماميتين  
للبقرة « المستمع » « المصغى » و « تقله سلطان السماوات العلا » .

« وقال عظمة هذا الاله للرب توت Thot ( رب الفهم ) :  
« استندخ لى عظمه كب Keb رب الأرض بهذه الكلمات : « تعال  
بسرعة » . . . .

وجاء عظمة كب Keb رب الأرض وقال عظمة اله النور رع : فلتقم معركة بسبب ديدانك ( البشر ) الذين يسببون لك الازعاج ، فمن أجل سعادتهم يجب أن يخشوني طالما أنا موجود as long as I exist لذلك سأترك لك مهمة معرفة صدقهم وطهارتهم • كن مستعدا واذهب حيث أبونا الذى هو رب الماء الأول – نون God of the water, Nun primordial

وقل له :

احفظ الديدان ( المقصود البشر أو الكائنات الحية ) على الأرض وفى الماء واكتب فى التو واللحظة لكل مكان ( منطقة ) يقطن فيها ديدانك وقل : « ان حافظكم ( ربكم ) هو الذى يحيط بكل شئ » • اذا كانوا سيصرفون أننى ذهبت بعيدا ، فمن أجل سعادتهم أن أرتفع فوقهم كضوء الشمس • الشفاء ضرورى • انه الآب ( الأب ) الذى هم فى حاجة اليه • كن أننى الآب على هذه الأرض » •

وهم أيضا سيكونون محميين ( محروسين ) بسبب أفكارهم الحكيمة وسوف يكون فى حكم أفواههم خلاصهم their Salvation ذلك لأن حكمتى قضت بالخلاص • وسيكون الشكور آمنا ، والا لن أقدم لأحد حمايتى بسبب العظمة ( الجلالة ) الذى أعطى له أمامى ( قبل ) • سوف أوحدهم مع ابنك أوزوريس وسوف أحفظ أطفالهم ، وستتجلى فضائلهم فى أنهم يعملون وفقا لما يقتضيه جهم للعالم كله وفقا للأفكار الحكيمة الماثلة فيهم •

وقال عظمة الاله : استدع لى الرب توت – رب الفهم ، فلما حضر قال عظمة الاله له : « انتبه ! عظمة هى المسافة من السماء حيث أقيم عرشى وحيث يتحتم أن أقيم لأوزع أشعة الشمس ( بالعدل dispense ) أنت رب عظيم فى الأعماق وفى عالم القبور حيث أنت الذى تكتب وتعاقب من يسكنون هناك ومن يقترفون الخطايا فأبعد عني أولئك الذين يتبعون الآثام who followed evil الذين يملأون قلبى بالخجل ( الحيرة ) – اجعل نفسك مكانى – ممثلى ، والا فلماذا سميت توت Thot ممثل الشمس ؟ اننى سوف أمرك أن تستدعى الأمراء باسمك » • وهذا هو أصل ابيس Ibis رسول توت « سوف أدعك تمد يدك لوجه الأرباب القدماى ( الآلهة القدماى ) الذين هم أعظم منك • وسيكون حسنا اذا ما ظلمت ( رويت ) ظمئى » وهذا أصل طائر الماء التابع للرب توت • « وسأدعك تحتضن السماء والأرض بالعظمة كشعاع من نور » ومن هنا أتى اسم « مغلف enfolder » للقمر • « وسأدعك تجبر كل البرابرة على التقهر » ومن هنا أتى اسم « الطارد expeller » للقرود الذى

يحمل رأس كلب ، وهذا أصل المهمة المنوطة - كقائد للجيش .  
« لكنك أنت - على هذا - ممثلى لكل الأشياء الموثية التى يمكن التجلى  
من خلالها .. that through thee may be manifested وكل البشر  
سميتدحونك كاله » .

« واذا ادعى أى شخص هذه المرتبة لنفسه ، اجعله يحك جسده  
أولا بالزيت والدهان ، ودعه يرفع المبخرة ( وعاء العطر ) بيديه الى خلف  
أذنيه » .

« واجعله يغسل فمه بالصابون المقدس ، ودعه يرتدى ملابس  
نظيفة » .

« واجعله ينظف نفسه بماء الفيضان ، واجعله يلبس فى قدميه  
صندلا ( نعالا ) بيضاء لامعة . وستنطبع صورة ربة الحقيقة خضراء على  
لسانه » .

« واذا كان يسره أن يقول ذلك ( الحكم ) للرب توت فاجعله يظهر  
نفسه تسع مرات كل يوم طوال ثلاثة أيام » .

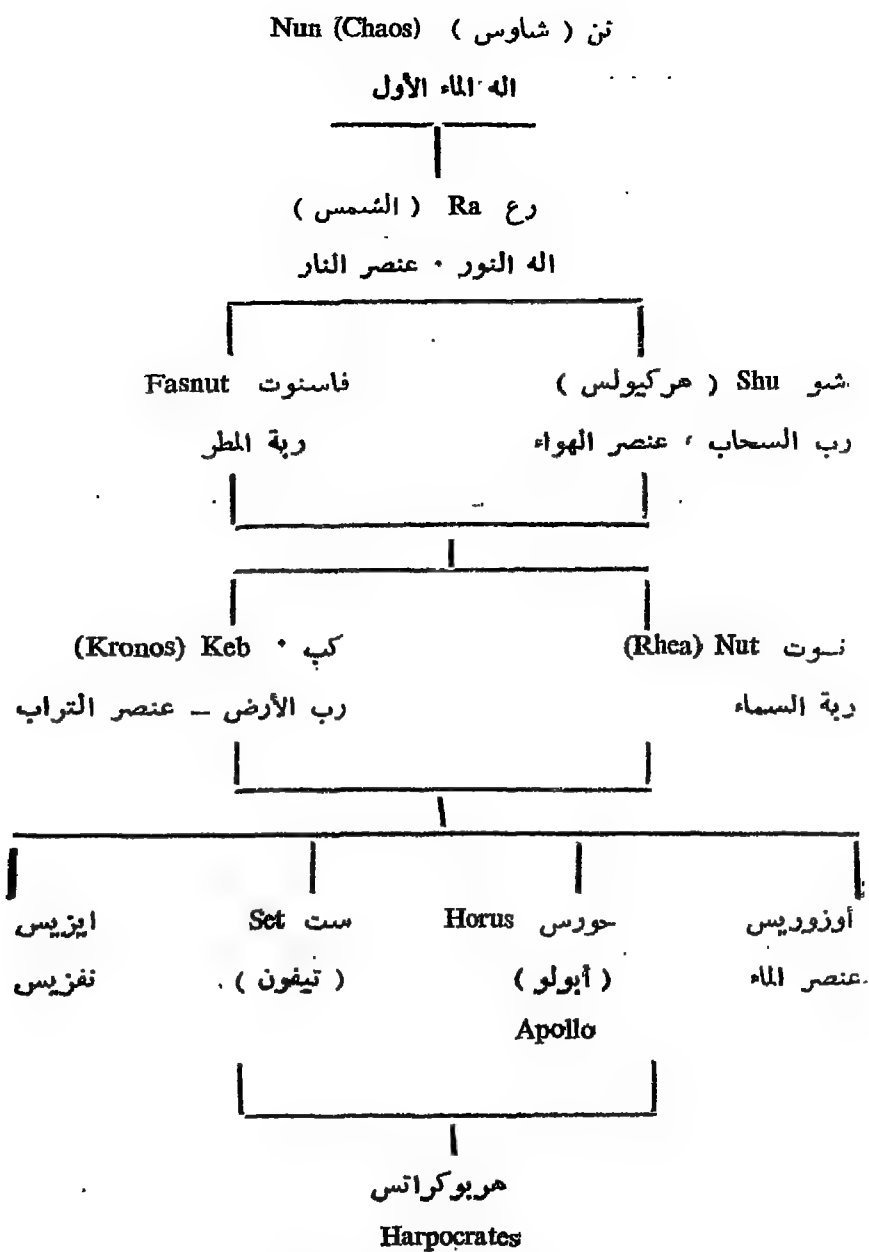
« وليفعل الشئ نفسه الكهنة والناس والآخرين ، واذا كرر انسان  
ذلك ، فليراع التعليمات التالية :

اجعله يقف فى دائرة تفصله عن الآخرين .

اجعله يركز عينه عليها ويدير كل أطرافه نحوها . ولا يجعل قدميه  
قادرتين على التحرك للأمام . فاذا كان الانسان ( الرجل ) على هذا النحو  
فقل له انه لو كان كذلك لكان مثل إله النور رع فى يوم ولادته .  
لا تتناقض عناصر الخير فيه ، ولن يفقد بينه شيئا وانما يبقى فى الطريق  
السوى مليون مرة » .

وهكذا ينتهى الوصف الدقيق للبقرة السماوية وما يحيط بها،  
وما حولها من كتابات .

ان سلالة ( الآلهة والأرباب ) التى يرد ذكرها فى عقائد هذا الدين  
الذى مضى عليه آلاف السنين جديرة بالاهتمام ، كما أن الوصف التفصيلي  
الرائع يميز هذه العقائد المتعلقة بأهل الجنوب خاصة الشرقيين . وأود  
أن أضيف هنا شجرة نسب للآلهة المصرية القديمة مستخلصة من هذه  
الآثار :



العالم في تجده الدورى فى شكله المرنى

\*\*\*

وبعد أن تفحصنا كل غرف أهم مقابر الملوك تناولنا افطارا متواضعا خارج المدخل ، وبعد راحة قصيرة صعدنا بشق الأنفس من خلال ممر ضيق ، لنعبر الجبال الى مدينة حابو Habu فوصلنا مرة أخرى الى صحراء جرداء صخرية وأصبحنا الآن عرضة لشمس الظهيرة المحرقة . وكان علينا أن نتسلق بعض الصخور شديدة الانحدار لنعبرها فلم نصل لقمتهنا الا بعد جهد جهيد وبعد ذلك مباشرة وصلنا لمنطقة القبور الحجرية ، ومررنا خلال خرائب وبقايا ومنازل قديمة آيلة للسقوط ، كلها تعود لعصور اسلامية فوصلنا لأرض مزروعة فتركنا خيولنا في ظل جدار ، وأوصلنا طريق أطول من الطريق الذى قطعناه صباحا الى تمثال ممنون الضخم اللافت للنظر Collesus of Memnon الذى فاق كل توقعاتنا ، ثم وصلنا الى شاطئ النيل ، ومن ثم وصلنا لسفينتنا البخارية مستخدمين أحدهم القوارب في فترة بعد الظهر ، وتناولنا غداءنا . وتبعنا بعض العرب كمساعدى صيد لزيارة بقعة بالقرب من مدينة حابو Habu فى المساء بحثا عن الطرائد . وركبت بعد الغداء - يتبعنى مساعدو الصيد وسلكنا مرة أخرى طريقا طويلا عبر أرض زراعية ومررنا بتمثال ممنون حتى وصلنا لقرية حابو التى لا تزيد عن كونها بضعة بيوت طينية . وثمة سهل صحراوى عريض على نحو ما يفصل بين الأرض الزراعية وسفح الجبل - يمتد مباشرة خلف القرية ( قرية حابو ) .

وكانت آثار أقدام الضباع والذئاب وحيوانات ابن آوى كثيرة ومتتابعة تربط بين الجبل والمساحة التى نمارس فيها رياضتنا فاخترنا خلف بعض الأحجار الضخام . كانت الشمس تقرب وكانت الرمال والصخور والجبال والآثار والنخيل وقرى السهل تفيض بأزهى الألوان وواصلت بومة فرعونية بنية - يعترى لونها البنى صفرة - كبيرة الحجم - طيرانها الصامت ، بحثا عن فريسة ، وسرعان ما أطلقت النار على ابن آوى تتبع آثار أقدام الحيوانات الآنف ذكرها ، وراح يتقدم قافزا للأمام وكأنما لا يحيق به خطر ، الا أن طلقتى طاشت فقد كان ابن آوى - لسوء الحظ - بعيدا ، وتشقلب الحيوان واضطرب واتخذ سبيله مسرعا عائدا للجبل مرة أخرى . وقد وجدت حقا خطأ أحمر - وهذا حقيقى ، ولم يجد البحث السريع الذى لم يستغرق وقتا كافيا عن نتيجة فسرعان ما حل شفق الغروب وكان على أن أعود للمنطقة الملائمة لصيد الضباع .

وركبت قاطعا الصحراء يدلنى رجل غربى ، وكانت الصحراء تمتد وتمتد داخل السهل حتى وصلنا الى تل رملى صغير . كان المشعل الذى نحمله من النوع الجيد وكان الحمار الميت قد وضع بشكل واضح فى الرمال البيضاء .

كان السكون العميق يسود المنطقة المحيطة بنا ، وتظهر في الظلمة غير الدامسة الخطوط التي تحدد أشكال الجبال وبلت الصحراء الصفراء شاسعة لا نهاية لها .

وسمعت أكثر من مرة صوت تسلسل ابن آوى ورأيت ظللا سرعان ما مرت سريعا ، وميزت شكل ذئب ، لكن الضياع وهي ما نرغب في صيده كثيرا لم تأت . فأفضل الأوقات لصيده الضياع هي الساعة الأولى بعد منتصف الليل ، لكن في ذلك الوقت يهاجمنى النوم فلا أستطيع مقاومته بعد الساعة الحادية عشرة ، فغادرت مكمنى ، وتركنى العربى أذهب لمسافة قريبة واقترح أن نبقى فى انتظار الضبع - بينما هو مسلح ببندقيته .

ان أمامى مسافة طويلة لكنها لطيفة بالنسبة لى قليل مصر القمر يحفر فى الذاكرة كأروع المناظر الساحرة ، وقد حملت ذاكرتى هذا المنظر من أرض الفراعنة العظيمة . وكانت تماثيل ممنون Memnon منتصبه كالاشباح ، زاد الليل من ضخامتها . وجرى ذئب بالقرب من النيل أمامى على بعد خطوات قليلة لكن ببندقيتى لم تكن معمرة لسوء الحظ . ولم أصل للبأخرة الا متأخرا جدا وحان وقت راحتى التى كنت تواقا لها .

وفى بكور اليوم الثانى عشر من الشهر ركبنا جميعا وسرنا فى الطريق نفسه لقرية حابى ، وأطلقت النار من فوق حمارى على طائر الشنقب Snipo وطائر زمار الرمل Sand pipers ، وكانت صفوف طويلة من اللقالق ( جمع لقلق Stork ) تقف على الشواطىء الرملية وفى البرك . وصلنا لقرية حابو بعد ساعة حيث كان الصياد العربى فى انتظارنا ليخبرنا أنه فقد - بسعادة - الضبع ، حوالى الساعة الواحدة ليلا . ولم أصدقته وقررت أن أعين المنطقة بنفسى وأن أركز اهتمامى أيضا على النسور المتجمعة بأعداد كبيرة وفقا لما ذكره العربى .

ولسوء الحظ ، وجدت أن هذه الطيور الجارحة - بمجرد وصولى - كانت قد أنهت بالفعل وجبتها وجمدت - غير قادرة على الحركة - فى مكان غير قريب على بعد مئات قليلة من الخطوات فى الصحراء . لقد كان الحمار الميت قد مزق اربا ، وتم التهامه بالكامل تقريبا وما تبقى منه كان مغطى بريش النسور وأقدارها .

وأخطأت كما أخطأ العربى ، فسرعان ما وجدت أثر الضبع يؤدى من جانب واحد للجيفة ، ويؤدى من الجانب الآخر للصحراء . وفى طريق العودة لقرية حابو لاحظت آثارا حديثة تماما لقدمى غزال .



وبمجرد أن وصلت لمستراح رفاقي في الرحلة حتى بدأنا زيارتنا لمعبد الرامسيوم Ramesseum المدهش الجميل ، وهو معبد جنائزي temple of the dead لازال يحتفظ ببهائه ، ويقع بالقرب من قرية جابو .

واني مدين لصديقي برجش Brugsch ببعض الملاحظات عن هذا الجزء من طيبة أوردها هنا بكلماته هو : « الجزء الغربي من طيبة لا يقل ثراء في الجبال عن الجزء الشرقي للمدينة ، وكان يعتبر مثوى للموتى - مدينة الموتى necropolis . ففي سهل من الأحجار الجيرية وكذلك في المنحدرات ذات التجويفات والثقوب في الجبال المجاورة - وجد ملايين من أهل طيبة ذوى الشأن مثواهم الأخير . ففي السهل عند سفوح المنحدرات الصخرية تشمخ - في كل اتجاه - المعابد الجنائزية Sepulchral temples وأبوابها دائما مفتوحة ناحية الشرق مما يعطي مدينة الموتى طبيعة أكثر المناطق قداسة . ومعبد الجرنه Gurna الذى لا يزال موجودا عند الطرف الشمالى للسلسلة الطويلة من المعابد ، والذى أنشأه رمسيس الثانى أحياء لذكرى جده غير المشهور الذى يحمل الاسم نفسه ، ومعبد الجنائزي المسمى رمسيوم ، يعد مثالا في تصميمه وزخرفته ، على نسق معبد سيتى الأول الجنائزي في أبيدوس ( سيتى الأول والد رمسيس الثانى ) وقد سبق أن وصفنا هذا المعبد .

والرامسيوم في طيبة يعد بالإضافة - لكونه معبدا جنائزيا - هيكلأ أحياء ذكرى انتصار الملك على الحيثيين Hothites وتخليدا للأعمال المجيدة التى حققها . وتمثاله العلاق من الجرانيت الأحمر مطروح على أرض المعبد القديم بالقرب من بوابة الجناح الجنوبي .

وأبعد الى الجنوب يوجد تمثالا ممنون الشهيران - حارسا مدينة الموتى ، وقد شمشا منعزلين تحت سماء طيبة الزرقاء الصافية كشاهدين صامتين على تاريخ المصريين العظيم الطويل . لقد زين المصريون - في وقت من الأوقات - المساحة الواقعة أمام البوابة العظيمة للمعبد الجنائزي للفرعون أمنحتب الثالث ، وقد اختفى هذا المعبد الآن دون أن يترك أثرا في الغالب على سطح الأرض . وهذه الآثار من عمل أحد موظفي البيت الملكى وهو حى Hi بن جابو .

ولا زال يوجد الى الجنوب المعابد الجنائزية للفراعين : تحتمس الثالث ورمسيس الثالث تقع وسط مكان مرتفع يشبه تلا . ورمسيس الثالث هو الملك رامبسينيتوس Ramsinitus فى التراث الاغريقى ، وحقق معبده شهرة لكثرة ما به من رسوم وكتابات لتخليد ذكرى انتصاراته ضد

الحلف الليبي الأيوني وإذا تتبعنا المعبد الصخري الذى أنشأه تحتسمى  
فى الركن الشمالى الغربى لمدينة الموتى العظيمة فى طيبة نكون قد أتينا  
على كل معابد الملوك الجنائزية التى كان هدفها هو أن تبقى شاهدا للأجيال  
المتعاقبة حتى لا يضيع الماضى .

ولما انتهينا من زيارة مدينة الأموات الشهيرة تلك ركبنا وعبرنا السهل  
عائدين الى سفينتنا البخارية . لقد كان علينا الآن أن تغادر الأقصر الجميلة  
وآثار طيبة العظيمة ذات المائة بوابة . وكان سهل طيبة يرقد متدثرا  
بسديم حرارة الظهيرة الحارقة تحده الجبال الشامخة . لقد كان منظرا  
مدهشا ، كان خير وداع لنا .

قنا :

وقضينا فترة بعد الظهر فى رحلتنا فى قضاء ساعات مبهجة فوق  
ظهر السفينة نغم بالنسائم الباردة التى يرفها النهر الينا ، وبالمناظر  
المحببة يتلو بعضها بعضا أمام نواظرننا . وفى الساعة السادسة مساء  
رسونا فى قنا ، وفى هذه المرة لم يكن رسونا على الشاطئ الغربى حيث  
دندرة Dendera وانما رسونا على الشاطئ الشرقى بالقرب من المدينة  
الجديدة .

وقضينا فترة المساء فى الصيد بالمناطق المجاورة للمدينة ، فقد  
ركبت أنا وهويوز Hoyos عبر سهل غنى وعريض - فى هذا المكان ثم  
تبعنا إحدى الترع ، فاصطدنا طيوراً مختلفة وعبرنا ونحن راكبون مجرى  
مائيا فى موضع ضحل وعدنا فى اتجاه المدينة فوجدنا بجوارها خدائق  
باسمة وغابات نخيل تشمخ بذراها . وكانت الحدوات والصقور والبازات  
ذوات الأجنحة السوداء والغربان السود وأنواع أخرى من الغربان Crows  
والبوم الصياع Screech-owl وكل أنواع الطيور الصغيرة - تبحث  
لها عن ملجأ فى هذه الغابة . أما وقد علمنا ذلك فقد اختبأنا خلف  
أشجار النخيل وفزنا بصيد وفير .

ولما ظهر الشفق الأحمر بعد غروب جميل ركبنا عائدين بموازة سور  
حتى دخلنا المدينة الكبيرة نسبيا .

وكانت الطرق الضيقة على جانبيها منازل طينية ، بالإضافة الى  
زيناتها المعمارية ومآذنها السامقة - كل ذلك ينبىء عن أهمية المكان الذى  
ينص بالحياة . وقادتنا الصدفة السعيدة خلال الشوارع المزدحمة الى  
سوق عامة مغطاة بالحصير ومضاءة بشكل جيد ، وتجارها المشغولون

يتحلّقون حولنا بطمع محدثين جلبة وضوضاء • وقد هربنا من الأتربة والأبخرة والروائح النتنة التي تنتشر - خاصة في المساء - شرقي المدن - متتبعين المرباط Stalls التي كانت تكون خطا طويلا ، وأسرعنا عائدين الى باخرتنا ، وقد عاد رفاقي الآخرون ببعض الصيد ، لقد كان حصاد صيدنا في قنا وقيرا •

وتابعنا رحلتنا في اليوم الثالث عشر من الشهر في جو جميل ولم نتوقف من مشرق الشمس حتى منتصف النهار فوصلنا حيث جبل طوق Tuk يقترب اقترابا شديدا من مجرى النهر وسعدنا برؤية المنطقة واقترحنا أن نتريّض بعض الشيء بعد أن نرسو على الشاطئ المهيّج ، ولم يكن ثمة قرية ولا منزل قريب ، فلم يكن الا الشقوق والصدوع في الجبل الصخري التي يفصلها عن مجرى النهر مرج أخضر لا يتعدى عرضه مائة خطوة في أقصى اتساع له • ولما زحفنا بين أكوام الصخور وعلى المنحدرات الجرداء وجدت كثيرا من آثار حيوانات ابن آوى وبعض الجحور ، ومن ثم فقد أتيت بكلاي من نوع الدشهند وتركها تبحث في الأخاديد والشقوق العميقة ، ولسوء الحظ فإن هذا كان بغير نتيجة •

وفشلت جهودي كذلك في الزحف الى الطيور الجارحة المستقرة فوق قمم التلال والصخور ، وأثناء هذه المحاولات المنحوسة وجدت بعض القبور القديمة المجوفة ، ووجدت فيها بالإضافة للعظام بقايا مومياء محنطة - ربما كانت مجرد لحم وعضلات حمصتها حرارة المناخ الجاف ، وأثناء عودتي من الجبل أطلقت بندقيتي على بعض طيور السماني التي لجأت الى المرج الضيق مرهقة بسبب رحلتها الطويلة •

### سوهاج :

وبعد توقف لم يدم أكثر من ساعتين واصلنا رحلتنا ، وعند اقتراب الساعة الثانية وصلت باخرتنا الى مدينة سوهاج وهي مدينة كبيرة ذات موقع جيد ، فرست ليتاح لنا فرصة كشف المناطق القريبة منها •

وذهبت أنا والدوق الكبير فدرنا حول أبعد أحياء المدينة بالقرب من ثكنات عسكرية لحامية صغيرة وبحثنا عن بعض البرك الكبيرة لاصطياد أنواع الطيور المختلفة • واضطررنا للابتعاد لتزاحم المتطفلين والقادمين ومعهم جواميسهم وجمالهم لتشرب ، وسرنا متتبعين الطريق الموازي لبحر يوسف الشهير Famous Canal of Joseph فمررنا بمنازل متناثرة وحقول يانعة وبساتين ووصلنا الى غابة من أشجار الجميز والطرفاء والنخيل • لقد كان هذا المكان غطاء ممتازا تأوى اليه أعداد كبيرة من

الطيور ، وبعد غروب الشمس مباشرة أطلقنا بنادقنا على الطيور التي كانت قد شرعت في النوم ففوجئت ، فوقع في أيدينا في غضون دقائق قليلة نسر صغير ، وهدات كثيرة ، وصقور وبومتان وكثير من الحمام واليمام . ومن ناحية المنظر ، فإن هذه الغابة تشتمل - فقط - على الأشجار الأفريقية مما أعطاها شكلا جذابا ، وقد غادرناها - غير راغبين في مغادرتها - تاركين روائحها العطرة ، وثرأها وظل خضرتها ، انها تذكر المرء بحكايات الليالي العربية . وتبعنا الطريق ذاته فوصلنا - سريعا - للمدينة فركبنا وعبرنا طرقا ضيقة ومزدحمة .

### الى أسيوط :

وتفضل المدير على باشا فأعازنى حمارة الضخم الأبيض كالثلج ، واسمه - أى الحمار - أبو جبل ، وهو حمار عربى من سلالة عربية نقية وغمرنى السرور وأنا أركبه فقد كانت خطواته ممتازة ، فلما رأى على باشا مبلغ سرورى به أهدانى اياه . وكان يجب علينا الآن أن نجد مستقرا للحمار على ظهر السفينة ، فأنشأنا له مربطا وسرعان ما دخل منزلنا المتحرك ( يقصد السفينة البخارية ) ، وشرعنا فى بكور اليوم التالى فى مواصلة الرحلة الى أسيوط ، وتوقفت الباخرة عند آخر محطاتها ، فوصلنا الى أسيوط عند الظهر ، وسلكنا طريقا تحفه الأشجار أدى بنا الى داخل المدينة . ومدينة أسيوط هى أكثر مدن مصر أهمية جنوب القاهرة ، فهى مقر المدير وبها تجارة مزدهرة ومبان ممتازة ، حقيقة ان المنازل - حتى هنا - مشيدة من الطين ، لكنها أكثر ارتفاعا وبها زينات وزخارف عربية أفضل مما هو موجود فى المدن الواقعة الى الجنوب منها : فالماذن والبوابات الجميلة تلفت نظر المسافر ، والطرق التى تحفها أشجار الجميز والبساتين المثمرة تحيط بالمدينة من ناحية النهر .

وركبنا دوابنا وسرنا فى بعض الطرق الضيقة ، وبين المرباط Stalls الممتدة بطول احدى الأسواق المهمة التى ينتهى اليها طريق قافلة دارفور - وكانت السوق عامرة بريش النعام والعاج . وللأواني الفخارية الأسيوطية الحمراء والسوداء خصوصيتها ، وكانت المناظر فى السوق شائقة جدا بما فيها من حركة ونشاط . وكان كل سكان وادى النيل من مختلف المديرىات بأزيائهم البهيجة المختلفة - موجودين هنا جنبا الى جنب مع الفلاحين الحقيقيين الذين يمارسون التجارة .

وعبرنا المدينة ووصلنا لسفح جبال منحدره بعد أن مررنا ببحر يوسف المعروف . وفى أسيوط تقترب الجبال من النهر أكثر فأكثر ويضيق السهل الزراعى كثيرا جنوب المدينة وشمالها بحيث لا يتجاوز

بضع خطوات • وصعدنا ممرا منحدرًا ضيقًا لنلقى نظرة على الكهوف والمعابد الجنائزية Sepulchral chapels المقامة فوق الجبال بين الصخور والأحجار في منتصف المسافة بين السفح والقمة •

وكان لهذا المكان أهمية خاصة في التاريخ القديم ، وقد اتخذت أسيوط Ossiut - أكبر مدن صعيد مصر وأكثرها أهمية - اسمها الحالي من الاسم القديم سيوط Siut • وكان لأنوبيس Anubis - الربة التي تحمل رأس ابن آوى - معابدها ومذابحها هنا • لقد كانت كل حيوانات الفصيلة الكلبيية - خاصة الذئب - هنا ، لذا فإن الاسم الإغريقي للمدينة هو ليكوبولس Lykopolis وتعني مدينة الذئب • وفي كهوف الجبال التي تقع خلف أسيوط والتي تشكل أنفوا في سلسلة تلال الصحراء الليبية ( المصرية الغربية ) تجد حيوانات الأسرة الكلبيية لا تزال - حتى الآن - محنطة وبجالة جيدة ، وبالقرب القريب منها جبانة مشهورة تعود لأيام الأسرة الثالثة عشرة ( ٢٠٠ ق.م ) والمخصصة لكبار موظفي الدولة في هذه الفترة • وقد دخلنا إحدى هذه الغرف المحفورة في الصخر فوجدناها واسعة وبصرف النظر عن شكلها الخاص ، فإننا لم نجد بداخلها ما يستحق الرؤية •

وقد انقسمت مجموعتنا الآن ، فذهب بعض الرفاق يتجولون ببنادقهم صوب المدينة ، بينما تسلفت أنا خلال ممر ضيق إلى الحيد ، وحظيت بالقاء نظرة على المدينة الجميلة ووادي النيل والجبال العربية ( جبال صحراء مصر الشرقية ) بينما كانت الهضبة الليبية ( صحراء مصر الغربية ) خلفي •

وهبطت للوادي مستخدما ممرا آخر حيث الصخور تنحدر بشدة ، وبين أكوام من الأحجار والكتل الصخرية ، واجتزت بعض الكهوف الجنائزية funeral Caves وبعض الهياكل العظمية وأخيرا وصلت للمقابر الإسلامية • كانت مدينة موتى إسلامية واسعة بها كثير من الآثار الجميلة الجديرة بأن يزورها المرء • انها تمتد إلى الغرب من أسيوط وتصل عند أحد طرفيها إلى حقائق مزهرة وأرض زراعية ، كما تصل عند طرفها الآخر إلى قفر صحراوي •

وسرت عائدا في المدينة وتلكات في شوارع الأحياء البعيدة ملاحظا أساليب الناس وطرائقهم ، وفي الوقت نفسه أطلقت بندقيتي على بعض نسور الجيف بين المنازل ، وبعد الظهر عدت مخترقا أفضل أحياء المدينة لأتناول غداثي على ظهر السفينة •

وعند الغروب ركبنا جميعا مرة أخرى الى سفوح الجبال وتمررنا عند نقاط مختلفة ، فذهب بعض الرفاق الى المقابر ، بينما أخفيت أنا نفسي في أحد مباني الأضرحة الإسلامية . كان المساء جميلا . السكون يعم المكان فلا تسمع الا همس النسيم الخفيف يداعب الأوراق في قمم أشجار الجميز .

ولسوء الحظ ، لم تأت نحو مكمنى أية طريدة من ذوات الأربع ، لكننى رأيت أكثر من عشرين نسرا كبيرا على البعد ، أتت واحدا اثر الآخر ، لتحط فوق جرف عال ، وكان أمرا مسلما أن أراقب كيف تتعارك هذه الطيور لهيئة مجثمها الليلي ، فلم يكن أى منها يرانح أن يجثم الى الأدنى من النسور الأخرى ، ومضى العراك بينها فترة طويلة قبل أن تنجح في تنظيم نفسها بأن تجثم جميعا متجاورة ، في شق طويل فى الصخرة .

وبعد ساعة كان على أن أغادر المقابر فقد اقترب وقت متابعة الرحلة ، فالتحقت برفاقى عند بحر يوسف ، وكانوا قد رأوا واحدا من حيوانات ابن آوى وذئبا كبيرا ، لكنهما - لسوء الحظ - كانا بين الصخور وبعيدا عن مجال البنادق ، وكان الدوق الكبير قد رأى أيضا واحدا من طيور النزاقيات Vampire ( وهو طائر فى حجم الغراب ) فى اللحظة التى كان فيها هذا الطائر المقرف خارجا من إحدى المقابر .

### الوصول للبدرشين :

وركبنا بسرعة عائدين لمرسى سفينتنا ، وودعنا بحرارة أميرالنا الأسود المحترم ، وودعنا أيضا سفينتنا الشجاعة التى كانت مسكننا لنا طوال الأيام الممتعة الماضية . انها أيام جميلة لا تنسى ، وذهبنا الى محطة السكة الحديد القريبة . وسرعان ما اتجه القطار شمالا مغادرا أسيوط وسرعان أيضا ما غشانا النوم اللذيذ ، وعندما استيقظت فى بكور اليوم الخامس عشر من الشهر ، كانت الشمس تتغلغل فى عرباتنا وكنا قد وصلنا بالفعل لمحطة صغيرة مهمة هى محطة البدرشين . فتناولنا افطارنا فى غرفة انتظار قذرة ، ثم بدأنا الركوب الى منف ( Memphis ) . وكان الطريق يمر بين برك سيخة وحقول جيدة وغابات نخيل حتى وصلنا لقرية ميت رهينة Mitrahenne الراقدة بين خضرة كثيفة يانعة ذات طابع خضرى أفريقى .

وسأترك برجش يحدثنا عنها :

» لقد ولت للأبد حكايات بهاء مدينة منف Memphis القديمة وعظمتها ، أو كما سميتها النقوش المصرية ، ممنوفر Mem-nofir وتعني ( المرعى الخصب Good pasture ) فمعابد منف وقصور ملوكها القدماء الذين اتخذوا منها عاصمة قد محيت من فوق سطح الأرض ، وليس ثمة حجر واحد مما بقى منها يذكرنا بمؤسسى المدينة الأول . أما الآن فالمنطقة محاطة بأسوار طينية مهلمة تمتد على طول حزام النخيل المحيط بقرية ميت رهينة ( وهى مينات - را - هانـو القديمة old Minet R. hannu ) الى الشمال والى الجنوب محددة - أى الأسوار - زمام ممفيس ( منف ) الواسع ، الحاضرة السالفة للوطنية المقدسة ( الحرم الوطنى ) فهنا كانت توجد معابد الاله بتاح المبدع العظيم وصانع كل الأشياء المخلوقة . وحرم هذا الاله كان محميا بخطوط قوية محصنة ، وكانت هذه التحصينات تشكل قلعة المدينة التى يقع بداخلها ما يعد بمثابة تمثال ربة الحكمة أثينا الذى ارتبطت سلامة طروادة بسلامته ، فقد ارتبطت سلامة الامبراطورية المصرية بسلامة ما بداخل قلعة منف ومن ثم فقد دافع المصريون بشدة عن المدينة ضد الأعداء الداخلين والخارجين خلال حقبة التاريخ المصرى .

والآثار القليلة التى لا تزال باقية ممتدة على أراضى هذه البقعة المقدسة تعود لمبائى عصور متأخرة : معابد أراد بعض الملوك الذين ترجع أصولهم الى طيبة ، بانثائها ، أن يقدموا الدليل على تعاطفهم وولائهم للحرم المقدس القديم للمملكة (المصرية) ، فرمسيس الثانى والد ( سيدنا ) موسى بالتبنى Adoptive father ، ويسمى أيضا سيزتورا Sestora أو ( سيزوستريس Sesostri ) ولد سنة ١٣٥٠ ق.م . يعد على رأس هؤلاء المؤسسين الملكيين . وبقايا المبائى الأولى التى أسسها والتى كانت تعد على نحو ما امتدادا لخرائب معابد أقدم - مطروحة الآن ومبعثرة فوق الأرض . وتمثاله الضخم الذى كان - ذات يوم - شامخا أمام بوابة معبد بتاح العظيم Ptah - يعد ( أى هذا التمثال ) واحدا من روائع النحت المصرى ، وهو منحوت من حجر جبرى جميل Limestone يشبه الرخام ، وهو ( أى التمثال ) . مطروح الآن فى منطقة يغمرها ماء النيل سنويا فى موسم الفيضان .

وملامح هذا الفرعون العظيم تذكر - بحيوية ووضوح - بتمثاله الجميل فى متحف تورين Turin . والقطع العديدة حول تمثال رمسيس - والتى تحمل أسماء خلفائه خاصة ابنه الملك مينبتاح Mineptah - الفرعون الذى خرج اليهود فى عهده - من مصر ) - تبين

أن هؤلاء الملوك قد قدموا القرايين المختلفة أنواعها لاله مصر ( لرب مصر الأعلى Supreme divinity ) فى بواكير التاريخ المصرى .

فالثور المقدس أبيس ( هابو Hapu كما أسماه المصريون القدماء ) كان مكرسا للاله نفسه - يتاح باعتبار هذا الاله تجسده ( حل ) فى جسده الثور ، وكان الثور أبيس قائما بجانب المعبد العظيم فى إحدى الباحات الخارجية الملحقة بالمعبد ، وكان يحظى بالتقديس والعناية الفائقة . وعند موت الثور المقدس جرت له مراسم دفن مهيبه تكلفت تكاليف كثيرة ، وحملت جثته المحنطة المزينة بزيينات كثيرة - فى عربة ، وجرى بها الى مقبرة أبيس « Apis » . وركبنا من منف خلف الأراضى الزراعية صاعدين فى صحراء مصر الغربية ( الصحراء الليبية ) الى أهرام سقارة بعد منزل مارييت Mariette الى مقابر أبيس .

المنطقة هنا تشبه تماما منطقة أهرام الجيزة . اذ يمكن رؤية أهرام الجيزة عندما يكون المرء عند أهرام سقارة ، وكذلك يمكن رؤية القاهرة وقلعتها ، وجبال المقطم .

وتوغلنا - مزودين بالمشاعل - فى شبكات طرق مقابر أبيس تحت الأرض . لقد بدت لا نهاية لها ، وكان هواؤها جافا مقبضا .

« وقد كانت الثيران - فى أكثر فترات التاريخ المصرى ازدهارا وكذلك فى الفترة المتأخرة - توضع فى تابوت ضخم من الحجارة الصلدة وتطرح فى حجيرات منفصلة فى ممرات تحت الأرض ، وكانت ترتب فى مواضعها ترتيبا زمنيا ( كرونولوجيا ) ، ولكل حجرة ( قبر ) نقوشها الخاصة بها . ومقابر أبيس فى منف التى هبئت الآن بأفضل الوسائل ليزورها الأجانب - تضم الآن أربعة وعشرين من هذه التوابيت الضخام . وسلسلة الثيران المقدسة المدفونة هنا تبدأ من منتصف القرن السادس عشر قبل الميلاد وتنتهى زمن الامبراطور أغسطس Augustus .

أما الثيران التى عاشت قبل هذه الفترة فقد دفنت فى هرم سقارة المدرج ، وفى داخل هذا الهرم توجد مساحة واسعة مقنطرة بها محاريب وممرات منفصلة . وبقايا عظام الثيران التى بقيت تشير بوضوح الى الهدف من انشاء هذا الهرم » .

وتناولنا افطارنا فى منزل صغير بالقرب من مقابر أبيس وكان عالم المصريات الشهير مارييت Mariette - الذى توفى مؤخرا - قد أقام هذا المنزل لأغراض الدراسة ، وبعد ذلك ذهبنا الى المدرجات الدنيا للهرم الشهير لاصطياد حيوانات ابن آوى . وما كاد العرب يدمون فى تسلى



المدرجات حتى مر - كالبرق - واحد من حيوانات ابن آوى ، هابطا المدرجات ، ولم أتمكن من اطلاق بندقيتى تجاهه . وبعد جولة الصيد الصغيرة هذه زرنا الأهرامات الأخرى القريبة ، وكان الصغير منها قد افتتح مؤخرا وهو يعود الى الملك بيبى الأول Pepi I .

### عن الأهرامات وأبى الهول :

وليسمح لى القارىء أن أقتبس بعض الملاحظات عن الأهرامات بشكل عام فى منف والجيزة ، وأيضا عن ( أبو الهول ) تفضل بها صديقى برجش :

« اله منف الوطنى القديم ، بتاح ، بقدرته الخاصة كملك للموتى ، وحام للراجلين ( الموتى ) حمل اسم سوكار Sokar . وهو بقدراته الخاصة تلك يعد مائلا تماما للاله أوزوريس الذى هو بمثابة اله لكل مصر . والأماكن المخصصة لعبادته تقع فى قرية سقارة الحالية التى تحمل الاسم المصرى القديم نفسه الذى يعنى ( بيت سوكار house of Soker ) . وقد اشتق الاسم العربى للقرية من الاسم المصرى القديم . ويحمى اله الموتى مقابر أهل منف الكائنة حول الأهرام بشكل منظم ويعود أقدمها الى زمن ملوك منف . وقد أقيمت مدينة الموتى الجنائزية مشيدة بالحجارة وتسمى « بيوت الخلود houses of eternity » ويشكل ما بين صفوف هذه المعابد شوارع مدينة الموتى . وتحت هذه المعابد توجد الغرف الحقيقية التى ارتاح فيها الموتى راحتهم الأبدية فى توابيت حجرية أو خشبية . وأفضل قبر من حيث بقاءه فى حالة جيدة من أيام ملوك منف ، هو هذا القبر الذى يعود لمصرى ذى مكانة رفيعة اسمه ثى Thi ، وقد عاش فى منتصف القرن الرابع قبل الميلاد وقد جهز لنفسه معبدا بالقرب من أهرامات هؤلاء الملوك الذين تولى فى ظلهم منصب آمر الدولة officer of State .

وتعتبر الرسوم الثرية فى ألوانها والدقيقة والرقيقة والمتقنة على جدران هذه المقابر والمعابد ذات قيمة عالية لكثرة ما بها من مشاهد عن الحياة لدرجة أنها تضع أمام نواظرنا بشكل حى تماما أحوال الزراعة والصناعة ومراسم تقديم الأضحيات فى هذه الحقب الموهلة فى القدم من تاريخ الإنسانية .

ويرجع وجود هذه الرسوم الى الاعتقاد أنه فى العالم الآخر ، ستبقى الممتلكات الخاصة بالأثرياء وملوك الأراضي المميزين تابعة لأصحابها كما كانت فى الحياة الدنيا . ولم تترك هذه الرسوم مظهرا من مظاهر الحياة ولا منشطا من مناشطها الا سجلته : الملاحه ، توليد الماشية ،

الزراعة ، فيضان النيل ، الحرف وأصحابها بدءا من مصلح الأحذية حتى النجار ، الرسم والنحت ، مما يجعل هذه الصور سجلا للحياة في الغاية من الدقة . وللزوجة والأطفال مكان بارز في هذه الرسوم ، فالزوجة تحظى بالتقدير بسبب صفاتها الجديرة بالاطراء والتي تبلغ الأوج في التعبير القائل : « جمالها مضرب المثل وحلاوتها في لطفها مع زوجها » .

وفي مدن الأموات في منف - التي تمتد بغير انقطاع من أبو رواش Abu-roash الى الفيوم - نجد أن المقابر القديمة للملك منف مرتفعة تبدو من بعيد عند حافة الهضبة الصحراوية . وقد حكم هؤلاء الملوك في مصر من سنة ٤٠٠٠ ق.م الى ٢٥٠٠ ق.م ورغم أن العدد الكبير من هذه المقابر قد سوى - قبل الآن - بالأرض ، فإن ما بقي منها فيه الكفاية لتمكيننا من تكوين حكم صائب عن أسلوب بنائها ووسائل تنفيذها . ولغرفة الدفن غالبا سقف مستدق يقوم على عمودين حجريين ، يقف كل عمود منهما مقابل الآخر ويميلان الى الأعلى في اتجاه النقطة المستدقة ، ويجب النظر الى هذه النقطة باعتبارها النقطة الجوهريّة في أي هرم . وكثل الغطاء الحجري فوقها تأخذ شكل هرم ، وكانت زوايا الشكل الهرمي *Pyramis* القديمة *Pir-am-us* ، ومنها أخذ الاغريق كلمة *Pyramis* ويضاف للهرم وفقا لطول فترة حكم الفرعون الذي بناه ، فكلما ازدادت فترة حكمه ازداد حجم الهرم ، فالهرم ينمو بزيادة فترة حكمه ، والاختلاف في ارتفاعات الأهرامات تمثل - وفقا لهذا - الاختلافات في مدد حكم مؤسسيها ، بينما ترتيبها الموضعي بحيث يتبع بعضها بعضا من الشمال الى الجنوب فيمثل في عين المراقب ترتيبها الزمني ( الكرونولوجي ) أيضا .

والدخول للأهرامات يكون - دائما - من الشمال . ويفلق باب الهرم بكتلة جرانيتية ، وبعد المدخل يوجد انحدار ، ثم ممر مستو ينتهي بغرفة الدفن نفسها حيث مومياء الفرعون في تابوت عادة ما يكون من الجرانيت ، في الجانب الغربي من الحجرة .

وأحجار الأهرام التي تشبه درجات السلم منعمة من الخارج وعندما تثبت معا تبدو ذات سطح أملس ، فيبدو الهرم بأحجاره تلك ككتلة واحدة من القاعدة الى النقطة المستدقة في أعلاه ، متخذة شكل مثلث .

وقد فتح الباحثون عن الكنوز معظم الأهرامات منذ وقت باكر . فقد بحثت الفرس بقيادة قمبيز ، وكذلك الرومان ثم الخلفاء العرب عن كنوز مدفونة داخلها ، وفي أيامنا تلك جرت محاولة أخرى للتوغل داخل أهرامات سقارة .

ووثقا لما ذكره برجش باشا ، فقد كنا أول أوربيين يزورون هرم الملك بيبى منذ فتح .

وحتى في الأزمنة الكلاسية فان أهرامات الجيزة العظيمة كانت تعد من بين عجائب الدنيا ، ولا زالت هذه الأهرامات تثير إعجاب معاصرينا حتى الذين لا يعجبهم العجب منهم . فالكتل الحجرية الضخمة المستخدمة في تشييدها ، بل وحتى طريقة توزيعها في هذه المباني العملاقة ليس لها نظير في أى مكان آخر . وهرم الجيزة الأكبر كان ارتفاعه - في البداية - أربعمائة قدم وخمسة عشر قدما ( ٤١٥ قدما ) ، وقدرت أحجاره بما لا يقل عن خمسة وسبعين مليوناً من الأقدام المكعبة ( ٧٥٠٠٠ ر ٠٠٠ قدم مكعب ) ، ومن التقديرات أن الأحجار المستخدمة في بنائه تكفى إقامة سور بارتفاع ستة أقدام حول فرنسا . وقد حددت النقوش اسم صاحب الهرم . انه خوفو Chufu ويكتبه المؤلفون الكلاسيون Cheops الذى حكم مصر سنة ٣٧٠٠ ق.م . أمام هرم ابنه وخليفه خفرع Chafra ( وهو Chephres بالنسبة للاغريق ) فقد تم انشاؤه في اتجاه الجنوب الغربى من الهرم الأكبر ، ولا يزال هذا الهرم الثانى ( هرم خفرع ) يحمل غطاءه الملاطى old Coating الخارجى .

وعند سفحه كان يوجد هرم خاص على شكل معبد شيد من كتل حجرية كلسية وجرانيتية ومرمرية ( الأباستر ) ، ووجد طريق يمتد الى الشرق ربط هذا المعبد بما يسمى معبد أبى الهول Temple of the Sphinx وبقايا هذا الطريق لا تزال واضحة ويدل على أنه بحالة جيدة ، ، وقد تم تنظيفه مؤخرا من رمال الصحراء . وأرضية معبد أبى الهول يوجد بها فى قاع بئر ممتلئة الآن بالماء - عدة تماثيل للملك خفرع تم اكتشافها . وتحظى باهتمام خاص من السائحين الأوربيين . لكن ليس من نقوش على الجدران الجرانيتية والمرمرية لهذا المبنى العملاق ، وظل الهدف من انشاؤه لغزا لم يحل ! .

## وفيما يلي قائمة بالأهرامات ومشيدتها من الملوك

الاسرة	الاسم باليونانية	مؤسسه	للهرم	المكان
الراية - ١	سوريس Sorix	ستقرو Snefru	خا Cha	أبو رواش Roash
الراية - ٢	Cheops	خوفو Chufu	خوت Chut	الجيزة Gizeh
الراية - ٣	Chcphren	خفرع Chafra	وير Uer	
الراية - ٤	Mycerinus	منقرع Menkara	هير Hir	
الراية - ٧	Sebercheres	Scheps-Kaf شيسسكاف	كيباه Kebch	Zauit el-Arian
الخامسة - ١	Usercheres	أوسركاف Userkaf	أب ست Ab-set	Rigah
الخامسة - ٢	سيفر Sephres	سحورع Sahurah	خابا Chaba	أبو صير Abusir
	؟	ككا keka	؟	
	؟	نوفرا Nofra	؟	
الخامسة - ٦	Rathures	رانورس Ranurer	مست Menseet	سقارة Sakkara
الخامسة - ٧	Meruhers	مكاهور Menkahor	نوتر - ست	
الخامسة - ٨	Tatcheres	تاتكارا Tatkara	نوفر	
الخامسة - ٩	Onnos	اوناس Unas	نوتر - ست	؟
السادسة - ١	Othoes	تيتا Teta	تات - ست Tat set	
	Usercheres	أوسركاف Userkara	؟	
السادسة - ٤	Phiops I	بيبي الأول Pepi I	من - نوفر Men-Nofer	
السادسة - ٥	Menthuphis	هينوماسوف Hunemsaf	خا نوفر Cha-Nofer	
	Piophs II	نوفركارع Noferkara (Pepi II)	من - آنه Men-Anoh	

والنصف الأدنى من ( أبو الهول ) مغمور في الرمال وتسميه النقوش هو Hu ، وتصفه باعتباره تجسيدا رمزيا لاله الشمس باسمه هورماشو ( هورماخو ) Hormachu ( حورس ) ، وملامح التمثال التي اعتراها - لسوء الحظ - تدمير شديد ، تمثل موجهه الملكي . its royal author

وثمة شريط طويل من النقوش بين القدمين الأماميتين لجسم الأسد ، لكن هذه الكتابات مطمورة الآن في الرمال وهي تسجل حلما مذهشا لواحد من الفراعين المصريين الأواخر . فقد نسب الى تحتمس الرابع Thutmes IV ( دفن حوالي ١٥٣٠ ق م ) هذه الرؤيا :

« انظر ، لقد كان ميالا ليصطاد - للترفيه عن نفسه - في زمام مقاطعة منف - جنوبا وشمالا - حيث قذف بسهامه النحاسية على الهدف ، فاصطاد أسود وادى الغزال »

لقد أتى هنا في عربته الملكية التي تجرها خيول أسرع من الريح . وكان معه اثنان لا أحدهم يعرف عنهما شيئا .

وانظر اليه عندما يحين وقت الراحة ، ذلك الوقت الذي يهبه لخدمته ، فانه يكرس هذا الوقت لتزيين ( أبو الهول ) الخاص بالاله هورماشو Hormachu ، الى جوار معبد الاله سوهار Sohar في مدينة الموتى ، والربة رانتوتى Ranuti ، بتقديم القرابين من القمح والزهور ، ويصلي لاييس Isis التي أمر من أجلها ببناء السور الشمالى والسور الجنوبي ، ويصلي للاله سخط Sochet في جزايس ( سخا ) وللاله سوتيك Sutek من أجل السحر الجليل الباقي من عصور مضت في هذه البقعة المقدسة ، بل وحتى للمناطق التي تقطنها آلهة بابلون ( القاهرة القديمة ) وحيث يوجد الطريق المقدس للآلهة في الجانب الغربى من هليوبولس Heliopolis . من أجل مشاهدته أبى الهول الاله العظيم الشامخ شبر Cheper الباقي في هذا المكان ، الأعظم بين الأرواح والأكثر عظمة . الذى اليه يتوجه كل قاطنى منف وكل مدن مصر بالعبادة رافعين أيديهم نحو وجهه ، ولتنحدر له الأصاحي .

« لقد حدث ذات يوم يوم أن الأمير تحتمس أتى هنا في رحلة في منتصف النهار تقريبا وبعد أن استظل بظل هذا الاله أخذته سنة من النوم فرأى فيما يرى النائم في اللحظة التي تكون فيها الشمس وقفت في السميت ، لقد بدت له كما أن هذا الاله الجليل تحدث اليه بفمه حديث الأب لابنه قائلا : « شاهديني ، وانتبه لى جيلدا أنت ابنتى تحتمس . أتأ »

أبوك هورماشو ، أنا الاله شبر - را - تم . سأهبك الملك . ستلبس تاج مصر على عرش اله الأرض كب Kib ، ستصبح الأرض كلها لك بطولها وعرضها يضرها نور العين المشعة لرب العالمين Lord of all ستأتيك النروات من المناطق الداخلية وستجبي كثيرا من كل الناس وستنعم بعمر مديد . وستحظى بالأفضل لأن وجهي قد استدار لك وقلبي تعلق بك . رمال الصحراء قد غطتني . قل انك ستفعل وفقا لرغبتى ، عندئذ سأعرف أنك ابني المدافع عني . اقترب مني ودعني أتحد بك » .

« عندئذ استيقظ الأمير وكرر ما سمعته للتو : لقد فهم قول هذا الاله ووعاه في نفسه ، بينما هو يقول :

« في الحق اني أرى الناس في معابد منف . يقدمون الأضحيات لهذا الاله دون أن يفعلوا شيئا لحمايته من الرمال عمل الملك خفرع ، الصورة ( التمثال ) التي رفعها ( كرسها ) للاله ثوم - هورماشو Tom Hormachu ... » .

واعترى النص تشويه بعد ذلك وتعدرت قراءة ما بقي منه . وان كان من السهل تخمين ما حدث بعد ذلك . فقد أزاح تحتس الرمال من حول ( أبو الهول ) ومن ثم توج ملكا لمصر . وهي حقيقة ليست ذات قيمة تاريخية كبيرة ، لكن الطريف أنه حتى في القرن السادس عشر قبل الميلاد كان أبو الهول - كما هو الآن - مطمورا الى نصفه في الرمال العميقة . وسأضيف هنا الى هذه المقتطفات التاريخية بعض الملاحظات عن الفيوم لأنها تمتد الى الجنوب من منف القديمة . يرجع الاسم الحديث الى الكلمة القديمة با - جوما Pa-Juma وتعني أرض البحيرة ، والمقصود هو بحيرة موريس Moeris التي كانت شهيرة جدا - لكنها الآن تلاشت .

وكانت بحيرة موريس - فيما مضى - الجزء الجنوبي الشرقي من واحة الفيوم ، وكانت بمثابة مخزن طبيعي للمياه متصل بالنيل عن طريق قناة عريضة ونظام للتصريف يؤدي لوصول فائض مياه الفيضان اليها (٤) .

وتستقبل القنوات ما يكفي لرى الأجزاء الرئيسية في الواحة ( الفيوم ) وتحول هذا الحوض ( مخزن المياه ) الذي كان ذات يوم غير ذي جدوى بمرور الوقت الى حديقة للاله Garden of God ونتيجة لإهمال الحكومة اختفت البحيرة بعد أن وجد ما بقي بها من مياه طريقه الى بحيرة قارون . وكل المنطقة المحيطة بالفيوم كان يعتبر بالنسبة للمصريين القدماء - شيطانيا Satanic لذا فهذه المنطقة لم تظهر أبدا في القوائم المقدسة للمدن ولا قوائم أسماء المقاطعات districts .

فهنا كانت مملكة ست ، وهو بمثابة الشيطان بالنسبة للمصريين ،  
وهنا مركز عبادة التمساح الذى يكرهه بقية المصريين خدم أوزيريس .  
وكان يوجد معبد مخصص للتمساح فى مدينة كروكوديلوبولس  
Crocodilopolis مجاور لمدينة الفيوم الحالية .

وقبل أن أترك هذه المناطق المصرية المهمة التى لفتت انتباهنا طوال  
الفصلين الأخيرين للتراث الثالث للمصريين فى عصر الفراعنة سأضيف  
القوائم التالية (\*) .

### ★★★

وبعد أن تسلقنا هرم الملك بيبى الأول ببعض المشقة والمعاناة ،  
غادرنا الصحراء وآثارها القديمة وركبنا عابدين الى الأرض الزراعية .

واجتازنا أثناء الطريق مزارع الأريكة ( أشجار نخلية ) Areca (\*\*)  
التي تشكل بيئة مناسبة جدا للأغراض الصيد فأرأينا أن يقوم خدمنا  
بإثارة الطرائد فيها وشاركهم فى ذلك بعض الفلاحين ، ومما يؤسف له  
أن مالك الأرض ظهر فجأة ورغب البنا ألا ننتهك حرمة ممتلكاته .

وكان هذا الشخص الذى لا يعرف التراجع زنجيا عجوزا ، وكان  
أثما ( طواشيا ) ضخما حجمه كآته جان ، لكنه كان نحىلا ذا ملامح مترهلة  
وكان يلبس عباءة واسعة وعريضة - انه واحد من أجمع وأتبع من رأيت  
على الإطلاق ، وكانت نظرتة عدوانية وقد اكتسب من مهنته المحترمة قدرا  
كبيرا من المال ، وهو يقضى الآن شيخوخته فى ممتلكاته الواسعة .  
وتجنبنا الخلاف معه فركبنا للبدرشين ومن هناك أوصلنا القطار للقاهرة  
فى أقل من ساعة ، وها نحن مرة أخرى - بعد هذه الرحلة الطويلة المليئة  
بالخبرات الممتعة - نعود للقاهرة الجميلة - مدينة الخلفاء .

(\*) الحقنا هذه القوائم بأخر هذا الفصل - ( المترجم )

(\*\*) يسمى أيضا نخيل الكوئل - ( المعجم الزراعى )

الاقسام الجغرافية والإدارية لمصر  
كما وردت بالآثار  
( ١ ) به - تو - ريس ( مصر العليا )

The Political And Geographical Division of Egypt According To The  
Statement on The Monument.

A. Pa — To — Ris, or The Land of the South.

Province	ARABIC	GREEK	SACRED ANIMAL
1. Tepah	Alfi	Aphroditopolis	Cow
2. Smenhur	Ismen	Ptolemais	Ram
3. Chinsu	Ahuas	Heracleopolis Manga	Ram
4. Pimaza	Pemdige	Oxyrinchus	Beaked bandolus (fish)
5. Habennu	Hebe	Hipponus	Dogs
6. kasa	Kais	Cynopolis	Dogs
7. Hibonu	Minieh	Hiu	Ram
8. Chimunu	Aschmun	Hermopolis Magna	Ibis
9. Kus	Kos	Cause	Dogs
10. Siaut	Ossiut	Lykopolis	Dogs
11. Nientbaki		Hieracoupolis	Falcon
12. Shasholf	Sholp	Hypselis	Ram
13. Tebu	Atfi	Aphroditopolis	Cow
14. Apu	Abu	Panopolis	Ichneumon
15. Abidu	Harabat	Abydus	Beetle
16. Hau	Hon	Diospolis Parva	Cow
17. Tentaris	Dendera	Tentyra	Cow
18. Kobti	Kift	Koptus	Ram
19. Ni-amon	Lugsor-Karnak	Thebae	He-goat
20. Nechab	El-kab	Eileithyiaopolis	Vulture
21. Teb	Edfu	Apollinopolis M.	Falcon
22. Ab	Assuan	Elephantine	He-goat



( ب ) با - تو - انخت ( أرض الشمال - الدلتا )

PROVINCE	ARABIC	GREEK	SACRED ANIMAL
1. Kosem (Goshen of Scripture)	Fakus	Phakusa	Hawk
2. Am	Far-ama	Pelusium	Serpent
3. Pibast (Pibeseth of Scripture)	Tell-bast	Bubastis	Cats
4. To-mchit (No-amon of Scripture).	Damiat	Diospolis	He-goats
5. Bindad	Amdid	Mendes	He-goats
6. Chimum	Ashmun	Hermopolis	Ibis
7. Zaan (Zoan of Scripture)	San	Tanir	Falcon Gull
8. On (On of Scripture)	Matarich	Heliopolis	Ox
9. Thabennuter	Samanud	Sebennytus	Falcon
10. Kahebes	?	Cynopolis	Crocodile
11. Hatarihab	Etrib	Athribis	Ox
12. Pusisi	Abusir	Bpsiris	Ram
13. Pitom (also in Scripture)	Tell-el-Kebir	Patumus	Eel
14. Sontinofer	Alexandria	Gyynaecopolis	Crocodile
15. Chasun	Hasse	Sais	Ram
16. Sai	Sa	Prosopis	cow
17. Zokpir	Shebshir	Apis	Crocodile
18. Ni-ent-hapi	?	Letopolis	Ox
19. Sochem	Ausim	Memphis	Hawk
20. Menofir (Noph of Scripture)	Munf		Ox

## تعليقات المترجم على الفصل الخامس

(١) راجع تعليق رقم ٧ بالفصل الرابع .

(٢) راجع تعليقات الفصل الرابع .

(٣) يلاحظ القارئ الكريم أن دلالة الكلمة في اللغة العربية هي الدلالة نفسها التي يحملها اسم هذه الربة المصرية القديمة .

(٤) في وصف مصر لعلماء الحملة الفرنسية أن بحيرة قارون هي نفسها بحيرة موريس .

## الفصل السادس

يوم في القاهرة - حديقة الأزبكية - مولد الحسين -  
الى الجزيرة والجيزة - الصيد عند الهرم - الرحلة الى  
المنزلة - دمياط - بقايا الهكسوس - جزر المنزلة -  
بورسعيد - البرود الانجليزى - ارتطام فى القنطرة -  
من بورسعيد للاسماعيلية - الى القاهرة - شجرة مريم -  
مزرعة النعام - الحمام التركى - القلعة ومسجد مذهب  
على - شخصية محمد على - مذبحه الهاليك - بشر يوسف  
- الكتبخانة - الحاوى - الى القناطر - البراويش -  
الرحلة للسويس - عن برزخ السويس - سيناء - عيون  
موسى - لقاء مع دى لىسيى العجوز - الى بورسعيد -  
مغادرة مصر - رسوم الفنان بوسنجر • تعليقات  
الترجم •

ووصلنا من المحطة الى مدينة الخلفاء القديمة ( القاهرة ) بعد أن  
قطعنا طريقا جميلا تحفه الأشجار وعبرنا جسرا ضخما على النيل ، وكانت  
شوارع المدينة تغص بالحياة ، فالوقت كان عصرا •

العربات والعرجية ، والسائرون على أقدامهم • سرعة ذات طابع  
غربى ، ونشاط جنبا الى جنب مع قوافل الجمال والنسوة القرويات  
المحجبات والحمير الناهقة والسقاءون والمتسولون العمدى - وكل ما له  
رائحة الماضى ، وكنا سعداء أن نعود مرة أخرى للاستمتاع بالحياة فى  
القاهرة • وسرعان ما وصلنا بعد أن مررنا بالحى الغربى وعبرنا جسر  
ترعة الى طريق شبرا الذى تحفه الأشجار ومن ثم الى مقر اقامتنا فى قصر  
النزهة •

وبعد أن استرحمنا وتناولنا عشاءنا شغف بعضنا سحر الليالى  
الأفريقية المقمرة فاتخذنا سبيلنا الى داخل المدينة بعربات مستأجرة •

### حديقة الأزبكية :

وتوقفنا فى حديقة الأزبكية وتجولنا بين الأشجار والنباتات وبالقرب  
من البرك وحول مساقط المياه الصناعية والصخور والاكشاك •

وكان الناس جالسين فى معظم المطاعم - خاصة أهل الشرق الأدنى .  
العاملين فى التجارة - ورأينا الشباب يقضون وقتهم فى الشرب والاستماع  
للموسيقا ولعب الورق .

وتعتبر حديقة الأزبكية هذه نعمة عظيمة للقاهريين . خاصة فى  
فصل الصيف . انها حديقة تلقى العناية ويتم الاتفاق عليها بسخاء كما  
أنها مزدهرة ويانة بفضل المناخ الملائم . ويبلغ تأثيرها أروع درجاته عندما  
يكون القمر بدرا ، أما بالنسبة لنا فقد بدأ لنا قمر القاهرة شاحبا ، ولا غرو  
فهو بالفعل كذلك اذا قورن بقمر أسوان .

### مولد الحسين :

ومن حديقة الأزبكية انطلقنا لنجول خلال الحي العربى القديم ، وقد  
اختبرنا أمسية مناسبة ، وكان ذلك من محاسن الصدق اذ كان المسلمون  
يحتفلون بمولد الحسين the feast of the great El-Hossein لنا ، فقد  
استمتعنا بمناظر شائقة للغاية لمهرجان شرقي ليلي كان معقودا فى  
الشوارع القريبة من المسجد الذى يحمل اسم « مسجد الحسين » .

جموع كبيرة من الناس كانت تتحرك فى الشوارع الضيقة غدا  
ورواحا ، والحوانيت والمقاهى مشرعة أبوابها والمصابيح والشموع مثبتة  
الى البيوت ، وقد بسطت سجاجيد زاهية فى الطرقات ، وتندلى فى الشوارع  
الثريات الزجاجية معلقة فى حبال ملونة ، وكل المنازل مزينة بزينات غالية  
أو رخيصة وفقا لمدى ثراء ملاكها . كان كل شئ مبهجا يغمره الضوء ،  
وكانت الألوان زاهية متعددة ، وكانت المشاهد خصبة خصوبة تفوق  
الوصف .

وراح المسلمون من مختلف الطبقات والمهن يدفع بعضهم بعضهم  
الآخر ( يزغد بعضهم بعضا ) ، لقد كان الجميع يتزاحمون وهم فى طريقهم  
لمسجد الحسين الذى بدأ فى أحسن زينة ، وقد تبدلت المصابيح من  
أبوابه الواسعة المشرعة - وترى فى هذا الجمع المزدحم المتجه للمسجد -  
الفلاحين التقايدين بأثوابهم الزرق والسقائين وهم يصيحون ، والمتسولين  
وهم يشكون والعرجان وهم ينتحبون ، كما ترى البدو بعباءاتهم البيض  
والتجار المكتنزين لحما ، والمحترمين الذين يرتدون ملابس ذات ألوان  
مفرحة ويضعون عمائم خضرا على رؤوسهم يزعم أنهم من سلالة الرسول  
( صلى الله عليه وسلم ) والجنود وبائعى مختلف البضائع والأشياء .

ومن هنا توجه الجمع المزدحم الى الجانب الأعلى من الطريق حيث  
الحياة الذين يلعبون بالأقماح والمشعوذون والراقصون والراقصات  
مما أضفى على الطريق روح السوق الشرقية .

وكان معنا فى هذه المناسبة يرچس باشا Brusch فتصبحنا بعدم الذهاب للمساجد ونحن فى ملابسنا الغربية لكثرة المتعصبين به فى ذلك الوقت ، ومن ثم فقد شققنا طريقنا الى حيث المشعوذين والحواة لنراقب الحياة الوطنية الحقيقية للشعب . الشارع يصعد بنا تصعدا وثيدا ، لذا فلم نتمكن من القاء نظرية فورية شاملة على هذا الخليط وعلى الألوان الغربية والأضواء . لقد بدأ غربيا ومسعورا بالنسبة للمسلمين الشرقيين وذكرنى بشدة بالباليه البندقى ( الفينيسى ) الذى يمثل مهرجانا شعبيا صينيا .

وبعد فترة عدنا الى الحى الأوروبى حيث كانت المقاهى ومحلات النيذ لازالت مزدحمة . هنا - كما فى أى مكان فى بلاد الجنوب - يتحول الليل الى نهار ورأينا الأوربيين الشرقيين من أغنياء وفقراء لكنهم كانوا يضعون الطرابيش فوق رؤوسهم ويلعبون البلياردو والورق أو يستمعون الى الفرق الموسيقية .

### زيارة الخديو :

وفى صباح اليوم التالى زرنا الخديو Viceroy لشكره للكرم الفائق الذى حظينا به أثناء رحلتنا النيلية . ولم تكن زيارتنا هذه رسمية ، لذا فقد اتجهنا قبل الظهر تماما قاطعين الطرقات غير المزدحمة الى القصر . وقضينا ربع ساعة مع الخديو نشرب القهوة المعتادة وندخل السجائر الممتازة وسأل ( الخديو ) بشوق بالغ عما نجلسنا به من تجارب فى رحلتنا النيلية المبهجة .

### الى الجزيرة والجيزة :

وعدنا من القصر سالكين أقصر الطرق الى قصر النزهة لترتدى ملابسنا الرياضية ، وبعد فترة راحة قصيرة بدأ جمعنا كله للقيام بنزهة لمقرات Seats نائب السلطان فى الجزيرة والجيزة .

الحدائق ذات جمال فريد ، ببجاراتها ومحطات مياهها ونوافيرها وأكشاكها ( ظلاتها الخشبية المعدة للراحة ) ومجازاتها المغطاة بالخضرة وطرقاتها الظليلة ، وروعة زروعها ، وكثرة زهورها التى تنثر عطرها على نحو لا يوجد الا فى مثل هذا المناخ . لقد أدت حرارة المناخ بالشرقيين الى أن يحيوا حياة بطالة ( حياة غير فعالة ) فنتج عن ذلك ذوق مصفى وعادات مترفة فصور مناظر وحكايات الشرق الخيالية ، يراها المرء هنا وقد تحولت الى واقع ملموس ، فالمرء يجد هنا كما يجد فى حكايات الشرق أن السعادة والمتعة هما الهدف الوحيد للحياة ، ولم يعد موجودا - لسوء الحظ - هنا

معرض الوحوش المشهور جدا - الذي أقامه آخر نائب للسلطان ، فلم نجد  
الا أقفاصا خاوية .

ولم يكن المنزل ( الذي أقمنا فيه ) يبعث على السرور كثيرا فقد كان  
المبنى واسعاً ليس له نمط مميز ، وإنما كان ذا طابع أوروبى تماما لا يذكرنا  
بالشرق الا من خلال بعض الزينات العربية هنا وهناك . وكان يضم من  
الداخل كثيرا من السلالم والقاعات ، والأهم من ذلك أنه كان يضم ما لا يحصى  
من الغرف بدت عربية الطابع الا أنها جميعاً مطلية بطلاء ذى لون فاقع  
وبدت جرداء . وذكرنا أننا فى الشرق بعض الدواوين التى فرشت بشكل  
جميل وأشغال الرخام والكوات الصغيرة فى الجدران وأوانى الزهور والمياه  
الجارية والحمامات الجذابة .

وثمة أماكن كثيرة داخل القاهرة وحولها تكاد تكون غير مأهولة  
بالسكان . وتحمل بعض الأميرات كبيرات السن حياتهن الرتيبة المملة  
فى هذه القصور حتى النهاية ، ولأن صيانة هذه المباني تتكلف مبالغ  
طائلة فإنها تترك حتى يعتريها الخراب بالسرعة نفسها التى تم تشييدها  
وتزيينها فيها . فكما أقيمت بسرعة ، فإنها تخرب بسرعة ! .

وقد زرنا كل ركن فى هذه الحدائق وتلك المنازل ، ومن ثم اتخذنا  
طريقنا الى أهرامات الجيزة .

كانت الحرارة شديدة وكانت الرياح تقذف برمال الصحراء الى  
أنوفنا وعيوننا ، لذا فقد سعدنا عندما انتهينا من قطع هذا الطريق الممل  
الطويل ، ووصلنا الى سفوح هذه المباني العملاقة .

### الصيد عند الهرم :

وكان هدفنا من زيارتنا للأهرامات للمرة الثانية هو اصطيد  
حيوانات ابن آوى ، وتسلق هرم خوفو ، وبدأ بعض العرب فوراً فى البحث  
( بين صخور ) هذه المباني الجلييلة ولم يجدوا الا حيوانين من هذه الحيوانات  
( حيوان ابن آوى ) : قتل اللوق الكبير واحداً منهما ، وأطلقت أنا النار  
على الآخر لكنهما كان بعيدين جداً ، فزحف الحيوان المصاب الى الصحراء .

ولم يكن ثمة أحد عند الهرم الثالث الصغير لذا فسرعان ما قررنا  
تسلقه ، وتحمل رفاقي المشاق فتسلقوه فى عشرين دقيقة دون وقوع  
حوادث خطيرة ، ورغبت أن أعطى العرب الذين تراحموا حول السائحين  
ودراحوا يرفعونهم خطوة خطوة - الفرصة لممارسة تدريباتهم الرشيدة  
فرحت أقفز من حجر الى حجر فوصلت الى قمة الهرم فى سبع دقائق .

ون فوق صخرة مسطحة فى أعلى الهرم يمكن للمرء أن يشاهد منظرا  
جميلا لوادى النيل الأخضر والأرض المنصبة الممتدة لادنا نهر الصحراء  
ذات اللون البرتقالى من الجانبين ، ومدينة القاهرة الجميلة ببيوتها المزخمة  
وماذنها السامقة .

كانت الشمس تزدن بالمسيب ، فبنا قرصها ككرة من لؤلؤ فى سنا  
المجر الضبابى المصفر المقعم بالحرارة ، العامر بذرات الرمال - واختفى  
قرصها فى صحراء مصر الغربية ( الصحراء الليبية ) وهبطت فى المساء على  
الجبال الشرقية وظهرت القلعة القديمة وجبال المقطم فى ألوان وردية  
خفيفة كالوان جبال الألب عندنا .

وجرى بعض المرشدين العاملين عند الهرم - خاصة البارعين منهم  
فى الجرى - أملا فى الحصول على بقشيش ، ليهبطوا - فى ثمانى دقائق -  
قمة هرم خوفو . ويصعدوا قمة هرم خفرع ، مع أن الجزء العلوى من هذا  
الهرم الأخير خطر جدا ومن الصعب تسلقه فليس به درجات يمكن الصعود  
عليها .

وبعد استعراض المهارات هذا هبطنا من محطتنا الشامخة هذه وفى  
الطريق أخبرنا مرشد شاب ذو ملامح جميلة وسحنة عربية أصيلة أنه  
ليس مصرياً ، وليس واحداً من الفلاحين البؤساء وإنما هو يشرف بأنه  
ينحدر من سلالة جزائرية نبيلة ، وأنه كرجل رأى العالم لا يعرف تونس  
فحسب وإنما مراكش أيضاً حيث يعيش العرب الحقيقيون لا البشر  
المخلطون البائسون الذين يعيشون فى وادى النيل . وكان هذا الرجل  
الطيب يبدو ساخطاً جداً على مواطنيه ( المصريين ) ونفس عن مشاعر  
السخط هذه بوضوح عندما وجد أن حواراً شائقاً بالنسبة لى .

وعند سفوح الأهرامات كان علينا أن ننظر بارتياح الى ما يفعله  
بعض البدو . لقد ركبوا ، ودابة أحدهم خلف دابة الآخر وانطلقوا بأقصى  
سرعة وأطلقوا النار من بنادقهم ولم يكن هؤلاء الرجال ولا خيولهم  
ولا ملابسهم ولا بنادقهم فى هيئة يمكن وصفها بأنها جميلة أو أصيلة ،  
فحيثما يذهب المرء يجد ابتزازاً وخداعاً تحت شعار ما يسمى بالعروض  
الوطنية ، وتعتبر الأهرامات هى محط أنظار السائحين ، وينتهز البدو  
فرصة ذلك فيما يرسون خداعهم الغبى . انهم ينتمون الى نفس الفئة التى  
تنتمى اليها الطبء المجتررة التى تجسدها مغرورة متشنجة فى غابات  
سويسرا .

لقد زحف المساء وكان علينا أن نكر عائدين الى مقر اقامتنا بسرعة  
سالكين الطريق نفسه الذى أتينا منه ، كما كان علينا - أثناء العودة -

أن نمر بشوارع المدينة التي كانت في هذه الساعة مفعمة بالحركة والنشاط ، ولما انتهينا من تناول وجبتنا اتجهنا للسكة الحديدية لتنتجنا الى المنزلة .

### الرحلة الى المنزلة :

وتجمع بعض الرجال في محطة القاهرة لوداعنا ، وكان من بينهم صديقنا برجش باشا . وكان البارون ساورما حاضرا وجاهزا ليصحبنا الى بحيرة المنزلة . وفي غضون دقائق أخبرنا هر زمرمان Zimmerman رفيقنا المخلص في كل رحلة قطار أن الوقت قد حان لنبدا رحلتنا .

لقد تحدثنا كثيرا خلال الساعة الأولى في القطار ثم شرع كل واحد منا يتسلل طلبا للراحة ، وحتى لا يكون هناك سبب لقطع نومنا ، سمح لحافلتنا بالتوقف في محطة دمياط التي وصلناها ليلا . ولما استيقظنا مبكرا في صباح اليوم السابع عشر من شهر مارس وجدنا عربتنا وحيدة على جانب المحطة .

وبمجرد أن تجمع رفاق الرحلة هبطنا على شاطئ الترع ( ؟ ) وحملنا زورق بخارى للتأحية الأخرى .

### دمياط :

لقد سرتني دمياط كثيرا . انها عربية أصيلة وحتى المناطق التي تحد الترع Canal ذكرتني فجأة بالموانئ الهولندية والبلجيكية . وبدت دمياط مثل أنتورب Antwerp وقد نقلت الى بلاد العرب بفضل السفن الصغيرة التي راحت تبهر قادمة أو مغادرة بأعلامها وصواريتها الجميلة .

وذهبنا سيرا على الأقدام من الرصيف الى منزل ممثلنا القنصلي وهو رجل عجوز مضحك ومهمل . انه - بالضبط - مثلنا .

وداخل دمياط ذو طابع شرقي واضح فشوارعها - اذا أمكن تسميتها بهذا الاسم - أشد قذارة وأكثر ضيقا ، وأكثر تزيينا بالزوايا والسلالم الخشبية ، من معظم المدن العربية . وحيث تختفي المياه الجارية بعيدا عن المنازل ، تختفي الروح الهولندية التي تميز مدينة دمياط .

وعلى أية حال ، ففي دمياط يهب هواء ذو طابع شمالي ( أوروبي ) ان كانت كلمة شمالي هذه مناسبة لأفريقيا ) أكثر مما يحدث في أحياء القاهرة العربية أو مدن صعيد مصر . وفي بعض الأحيان يحس المرء بالبرودة هنا كما أن وجود البحر يجعلنا نحس بالرطوبة .



والمنازل هنا غير مزدحمة ( أكثر تفردا وانعزالا ) أسقفها جيدة ،  
ويعتبر آخر فاتها قد شيدت لتمتد فترة أطول .

وفى منزل ممثلنا وجدنا كل شئ منظمًا جميلاً - غرف أوروبية  
مفروشة بسجاجيد تركية ، وخدم عرب ، ورائحة الشرق ، وعطر الزهور  
ذو الرائحة النفاذة ينتشر فى كل أرجاء المنزل . وفى كل شئ يمكنك أن  
تلمح أن صاحب المنزل شرقى أصيل .

### الى بحيرة المنزلة :

وبعد أن تناولنا افطارنا على عجل ( وكانت أمتعتنا فى هذه الأثناء  
توضع فوق ظهور الخيول ) بدأنا رحلتنا من جديد . وامتطى بعضنا حميرا  
وركب اثنان من جماعتنا حنطورا ( عربة قديمة الطراز ) ، وفى غضون  
دقائق قليلة تحركت قافلتنا الصغيرة ينظم مسيرتها صيحات الحمارة  
( بتشديد الميم ) ، وسار موكبنا فى بعض الشوارع حتى وصلنا الى طريق  
جيدة تحفها البساتين والمنازل الريفية وبعض غابات النخيل غير الكثيفة ،  
على طول ترعة حتى وصلنا الى شاطئ البحيرة . ورأينا ثلاثة أكواخ بائسة  
للصيادين على الشاطئ الرملى ، وإمامنا امتدت البحيرة العريضة لا تحدها  
حدود وقد اعترت مياهها الدكنة ، وشواطئها سبخات وكثبان رملية ، وكان  
منظرها موحشا رتيبا ساكنا سكون النوم .

وفى المنزلة لم أستطع - حقيقة - أن أقنع نفسى أننى لازلت فى مصر .  
حيث بهاء الألوان وخصوبتها . ولم يكن الجو ملائما وكانت الرطوبة  
محسوسة ، والرياح الباردة غير المحببة أجبرتنا على ممارسة رياضتنا تحت  
السحب الممطرة الداكنة ، وكانت السماء عابسة تماما . لقد بدا كأننا  
عدنا للشمال ( لأوربا ) مرة أخرى وتذكرنا بحسرة شمس أسوان التى  
لا تنسى . ان هذه البحيرة الكثيبة جديرة بأن تكون احدى بخيرات سهول  
شمال أوربا ، ورست السفينة ( الذهبية ) أمام أكواخ صائدى الأسماك .  
وفكرت أن قراصنة الماضى لم يكونوا يستخدمون قوارب أسوأ من تلك التى  
يستخدمها صيادو بحيرة المنزلة ، فقواربنا النمساوية الصغيرة تعتبر  
فرقاطات ( سفنا شراعية حربية ) اذا قورنت بها . وكان يتحتم علينا أن  
نختار لأنفسنا بعض هذه القوارب البائسة ، فاخترت أنا والدوق الكبير  
والبارون ساورما والقسيس المرافق لنا أكبرها ، وكل اثنين من رفاقنا  
استقلا قاربا ، وتبعنا قارب آخر يضم الأعلاف والطعام .

ويكفى أن أصف قاربنا من هذه القوارب لينسحب وصفى عليها  
جميعا . لقد كانت جميعا بحالة سيئة فى المقدمة مكان مرتفع يحيط بالدقل  
( الصاوى ) وعلى هذه المقدمة المرتفعة مقاعد من خيزران ومنضدة صغيرة ،

وفي هذا المكان يمكننا قضاء النهار ، وهنا أيضا ينام الصيادان وطاقم القارب بالليل ، وإذا رفعت فتحة صغيرة فانك تكون قد فتحت خزانة صغيرة يمكن أن تخزن فيها الأمتعة ، وفي وسط القارب الى الأدنى من هذه المنطقة الأمامية المرتفعة بخطوتين توجد كيبنة ( قهرة ) صغيرة ذات نوافذ زجاجية ، وهذه الكيبنة ( القهرة ) مقسمة الى قسمين - وفي الناحية الخارجية يوجد سريران ضيقان ولا شيء آخر . وفي الحقيقة فان المكان لا يتسع لشيء آخر ، وفي الجانب الآخر يوجد نوع من الخزائن يمكن للمرء بشيء من الحذق والمهارة أن يصعد فوقها لكنها منخفضة جدا لا تتيح للمرء أكثر من الاستلقاء فوقها وئمة حشيتان تملآن هذا المكان الضيق . وفي هذا المكان يتحتم على رجلين ضئيل حجمهما أن يناما جنباً الى جنب ، دون أن تعترض أطراف أحدهما أطراف الآخر . ودقة هذا القارب موجودة عند المؤخرة .

### بقايا الهكسوس :

وكان طاقم السفينة كله من صيادى البحيرة يلبسون ملابس واسعة مبهجة ويضعون العمام فوق رؤوسهم ولم يكونوا على قدر كاف من النظافة وقد عبقوا المكان ( بزفارتهم ) . ولم يكن لأى منهم طبع العربى وسماته . فجلودهم بنية داكنة وجوههم عريضة وأنوفهم مسطحة flat ( فطساء ) وبنيتهم لها طابع رجولى ، ولكنهم ليسوا نحالا جدا ولا عصبيين كمعظم العرب ، ومن النظرة الأولى يمكن للمرء أن يحكم أنهم سلالة أجنبية ( غير عربية أو مصرية ) ، وفي الحق فان المناطق المحيطة ببحيرة المنزلة يقطنها سلالة الهكسوس القلما وهم احدى القبائل الكوشية الذين هزموا الفراعنة زمن الأسرة الرابعة عشرة ، وقد احتفظ هؤلاء الهكسوس بجنسهم نقياً ( غير مختلط ) . وكان علينا أن نكون فى قاربنا الصغير هذا بالقرب القريب من هؤلاء الناس ، وكان هذا أمراً شائعاً من الناحية العلمية ، لكنهم على المستوى الشخصى أناس لا يحب المرء أن يعيش معهم ان كان له مطلق الحرية فى الاختيار .

وقبل أن نبدأ مباشرة أتوا بطائر بجع أعمى لاستغلاله كشرى ، وكان - على أية حال ينقر بمنقاره هنا وهناك ، كما كان قنرا جدا فاعداًه للشاطئ بعد وصوله ببقاى قليلة وتم ربط كل قارب كبير بآخر صغير ، وبدأت الرحلة : ان هؤلاء الناس يحركون أشرعتهم بمهارة فائقة ، وبمعاونة الرياح الغربية القوية انسابت سفننا بسرعة فوق سطح الماء . وتعد بحيرة المنزلة احدى أكبر البحيرات المالحة فى العالم ، وهى بحيرة هائلة لا يفصلها عن البحر ( المتوسط ) سوى شريط من كثبان رملية ، وعند شواطئها

الجنوبية والغربية السنة طويلة من مستنقعات وسبخات ، أما الى الشرق  
فنجد مخرجها عند حاجز داخلي لقناة السويس .

Find its outlet at the inner dyke of the Suez Canal.

واذا غادرت دمياط وجدت - الى الشمال - شريطا من كثبان رملية  
صفراء ووجدت الى الجنوب - لكن على مسافة بعيدة - مساحات خضراء ،  
ووجدت - الى الشرق - المنظر ممتدا حيث الماء واليابسة يختلطان كما هو  
الحال عند ساحل البحر . وفي البداية لم نر الا جزرا قليلة لكن مساحاتها  
كبيرة . وعمق البحيرة التي تبلغ مساحتها خمسا وأربعين ميلا مربعا  
- الآن - يزيد عن مفصل فخذ الرجل ، وقاعها من طين متماسك Stiff clay  
وأثناء العواصف - التي تبلغ درجة كبيرة من العنف أحيانا - لا يمكن أن  
يغرق المرء فيها اذ بإمكانه أن يقف ويسير على قدميه في كل أنحاء .

وفي شهور الشتاء تكون هذه البحيرة مغطاة تماما - بمعنى الكلمة -  
بكل أنواع الطيور المهاجرة خاصة البط والأوز ، وفي النصف الثاني من  
شهر مارس لا يجد المرء الا الطيور المحلية وبعض أسراب طيور الشمال  
التي تأخرت في هجرتها ، أما نسور البحر الضخمة التي تصل للبحيرة  
بأعداد كبيرة شتاء ، فلا تكون موجودة في شهر مارس باستثناء بعض  
النسور المنقطة قليلة العدد يمكن رؤيتها في بعض جزر البحيرة .

وقد وافقنا في البداية أن يتفرق جمعنا وأن تتخذ كل مجموعة  
الطريق الذي تريده شريطة أن نكون جميعا على مرأى من بعضنا وبعضنا  
الآخر وأن نلتقي ظهرا عند اشارة متفق عليها لتناول الغداء . وسرعان  
ما رأينا بعض البجع يسبح وفشلت محاولتنا الاقتراب منه بقارب صغير ،  
كما هي العادة ، فواصلنا طريقنا بالذهبية .

وبعد فترة يسيرة دخلنا منطقة الجزر . ان وسط البحيرة ممتلئ  
تماما بالجزر المسطحة منها الكبير ومنها الصغير ، ومعظمها ذرات شواطئ  
رملية ، وفوقها أسراب من البجع بأعداد هائلة . أكبر من الجزر نفسها ،  
وكانت تتألق تحت أشعة الشمس بألوانها الحمراء التي تخللتها بقع  
بيضاء .

واقتربنا ببطء وحذر من إحدى جماعات البجع هذه ، وبحثنا  
بمناظيرنا المقرية ( التلسكوبات ) بدقة ، فلم نر الا بجعا ، ولم نر بشروش  
( فلامنجو Flamingo ) واحدا ، وكان طائر البشروش هذا هو ما نود  
رؤيته .

وعندما كنا على مسافة لا تقل عن خمسمائة خطوة ، بدأت طيور البجع تضطرب فمدت أعناقها الطويلة وحركت أجنحتها وانطلقت أربع من بنادقها لتقدم لهذه الطيور التي اعترتها الدهشة - تحية الصباح . فعم بينها اضطراب شديد ، وضربت بأجنحتها بحوية وانطلقت محلقة فغطت الجزيرة البيضاء بسحابة هائلة سرعان ما ألقت بظلها على الماء . والآن بدأنا نطلق النار بشكل فردى ، ومن الغريب أن أقول أن هذا كان بدون نتيجة فقد كانت الطلقات تذهب هباء بسبب بعد المسافة كما أن هذه الطيور التي تبدو قريبة جدا ومكتظة يوجد بينها في الواقع مسافات . لم تسقط الا بجعة واحدة - عندما أطلقنا الوايل الأول - هوت ميتة طافية فوق سطح الماء وخاض أحد البحارة لاضرارها .

ولما توغلنا في الجزر زاد المنظر حيوية ، فقد كانت النوارس sea-mews وطيور الخطاف Sea-Swallow والبط تسبح بين الجزر بأعداد كبيرة . وكان يسبح حول الجزر أيضا ( أبو ملعقة ) Spoon bills والغطاس divers ويطير صغير حجمه لم نستطع تمييزها من على البعد . وثمة طيور رمادية وأخرى فضية وطيور البلسون ( مالك الحزين ) وأسراب من طيور محلية من أنواع مختلفة في أسراب على الشواطئ الرملية ( للجزر ) ، ولم يكن لدينا الوازع القوي للتوقف في أية جزيرة فلم يكن وقت الظهيرة قد حل بعد أن تجمعت سفننا وكان كل من معنا في الدهبية قد استمتع بطعام افطار جيد تم اعداده في السفينة ( القارب ) المخصص لاعداد الطعام وحمل المؤن ، وظهرت أمامنا جزيرة أكبر مساحة مزدانة ببرج أبيض .

هذا قبر شيخ ( ولى ) يحظى بتوقير كبير في بحيرة المنزل . وثمة أكواخ بائسة للصيادين الى جانب المبنى المهديم بقبته المستديرة ومئذنته المنحيلة التي تشبه المنارة ، ويفصل هذه الجزيرة عن جزيرة أخرى صخرة ممر مائي ضيق . وقررنا أن نتوقف هنا لنمارس الصيد سيرا على الأقدام ، وقد اختفى طائر البلسون ( مالك الحزين ) بمختلف أنواعه عند أول محاولة منا للاقتراب ، ومن ناحية أخرى فقد وجدنا على شاطئ الجزيرة عددا من الطيور الأصغر حجما - أبو مجرفة avoset or Scooper وهو طائر ملفت للنظر ريشه أبيض وأسود وساقاه طويلتان نحيلتان ، ومنقاره مقوس لأعلى ، وطائر الراف ruff ( وهو طائر مائي تميز ذكوره في فترة معينة بأطواق ريشية حول أعناقها ) وأربعة أنواع مختلفة أو خمسة من عائلة طيور الشاطئ .

وتفرقت كل مجموعة منا في اتجاه وسرعان ما دوت الطلقات مرحة وفي أقل من نصف الساعة كنا قد أطلقنا طلقاتنا في كل أنحاء الجزيرة .

## جذر المنزلة :

والجزر نفسها لا تستحق الا كلمات قليلة لوصفها فلها جميعا التكوين نفسه . فجميعها ضيقة وطويلة ، وجميعها تغطي القواقع والأصداف ، وكل سطوحها تكسوها أشجار الطرفاء Tamarisk داكنة الخضرة ، وشواطئ الجزر رملية ومستوية ، وفي بعض المناطق يجد المرء طميا ( طينا ) على سطوحها ، وریش الطيور متناثر في كل مكان - زغب البجع كبير الحجم ، وزغب البشروس الوردى ، وزغب أنواع أخرى مختلفة من طيور الماء .

وبعض الجزر - خاصة تلك التي تحيطها شواطئ رملية واسعة تبدو مغطاة تماما بطبقة من زرق ( بفتح الزاى والراء ) الطيور ويمكن للمرء أن يرى على الطين آثار أقدام كل أنواع طيور الماء وطيور المستنقعات والسبخات ، وفي مكان واحد رأيت أيضا آثار أقدام نمس ، ثم تابعنا رحلتنا شرقا بعد أن مارسنا رياضة الصيد لوقت يسير لكنه مثير .

وقد رغبتنا هذا اليوم أن نواصل الرحلة حتى نصل لمنطقة طائر البشروس ( الفلامنجو ) ، وفي الحقيقة فاننا سرعان ما رأينا بين الجزر - الشاطئ الوردى الطويل لهذا الطائر الفريد . كان المنظر بهيجا . وكان علينا أن نعبر لسانه ضيقا من اليابسة ، لذا فقد أوقفنا الدهبية ، وحثنا رفاقنا الآخرين - نظرا لانقضاء فترة كافية على منتصف النهار - أن ينتشروا بين الجزر وأن نلتقى في هذه البقعة لقضاء الليل .

وتم سحب قاربنا الصغير عبر الجزيرة لقرب أسراب البشروس من الشاطئ المقابل ، ولما أصبحنا على بعد حوالى أربعمئة خطوة منها بدأت تتململ وتتحرك بينما كانت قبل اقترابنا واقفة بلا حراك . وأهدينا لها أول وابل من الطاقات ، فعلتنا سحابة وردية رائعة وابتعدت عنا مخلفة وراءها طائرا واحدا لا يكاد يقوى على الوقوف ولا يكاد يقوى على السباحة ، ورأينا من خلال التاسكوب أن الطائر جريح فسعدنا وجدفنا لنصل اليه فلما اقتربنا منه بدأ يضرب بجناحيه وطار فوق الماء بارتفاع منخفض واختفى عن أنظارنا خلف الجزر .

وواصلنا رحلتنا وقد حاقت بنا خيبة الأمل الى جزيرة طويلة ذات شاطئ رملي أبيض ، ومارسنا شيئا من رياضة الصيد ونحن في سبيلنا لها . كان هدفنا الآن هو البحث عن أماكن مناسبة لنبتخذها مراكز لاصياد طيور الماء التي بدأت بالفعل تتجمع شيئا فشيئا .

ولسوء الحظ فإن هذه الجزيرة الملائمة جدا كانت - بالفعل - مشغولة فقد كان صائد طيور عجوز يث الثياب جالسا في كوخ بناء من

فروع صغيرة ، والى جواره ابنه ، وهو ولد صغير غطاء الذباب والبعوض وكل ما يمكن وصفه من هوام . وكان هذا الصياد قد ربط نفسه بحبل متصل ببعض الشباك الكبيرة القريبة من الشاطئ .

وربط الرفاق بجمعة بائسة عمية تدعو للأسى الى نصبا - لتكون شركا تهوى اليه الطيور الأخرى ، بالاضافة لحوالى عشرة أو اثني عشر طائرا من طيور الفاق العمياء . لقد بدت لنا الجزيرة أكثر الموضح ملامة فقد كانت أرضها مغطاة بالأسمك المتعفنة وزرق ( بفتح الزاى والراء ) الطيور والريش ، ومن الصعب أن يبقى أوربي فى مثل هذا المكان طويلا . وبدأ صائده الطيور العجوز غير سعيدة بالمرة بزيارتنا للجزيرة وراح يتمتم بكلمات تنم عن التذمر أخذت طريقها الى لحيته الكثنة المهوشة . ولم نضايقه طويلا وانما جددنا بسرعة الى جزيرة أخرى طويلة وضيقة فى مواجهة جزيرته . وعند وصولنا خصصنا لكل منا موضعا . وكانت الشجيرات الكثيفة فيها خير غطاء لنا وسرعان ما حل الصمت والسكون فى الجزيرة ، فأقبلت أسراب الطيور من غاق وطيور ( أبو ملحقة ) وبعض طيور البشروس وطيور مزرة البطائح moor-buzzards وبعض طيور الشواطىء الصغيرة من مختلف الأنواع ، لكنها كانت بعيدة فلم نحقق نجاحا . بل ان طيور البشروس ، فرادى أو جماعات : كل جماعة مكونة من عشرة طيور أو نحوها ، كانت تحلق هنا وهناك لكنها لم تتمكن من اصابة أى منها ، ولم تظهر الأسراب الضخمة حتى بعد الغروب . وكان أكثر أهدافنا مدعاة للسخرية هى اصطياد البشروس وهو طائر ، فقد كانت رقبته الطويلة ورجلاه الطويلتان اللتان تحملانه أفقيا تجعلانه يبدو كعصا طويلة علق بها جناحان .

واشتدت الرياح مساء وراحت الأمواج تضرب الشاطئ بشدة وانقشعت السحب شيئا ما فاستمتعنا بمنظر الشمس الجميل عند الغروب . كانت السماء من ناحية الغرب أرجوانية ، انعكست ألوانها على البحيرة وراح قرص الشمس يتوارى ببطء وراء الأمواج المرتجفة .

وانطلقنا لسفينتنا بمجرد حلول الظلمة ، وكان علينا أن نخوض الى الركبة بين الشجيرات الكثيفة لهذه الجزيرة الطويلة قبل أن نصل الى قاربنا الى الغرب منها .

وبعد عبور قصير وصلنا لجزيرة ضيقة قريبة من الشاطئ حيث ربطت دهبينا بشدة . وكان كل رفاقنا موجودين هناك وقد أحضر كل واحد منهم بعض الصيد ، لكن أحدا منهم لم يكن صيده وفيرا ، ولم يكن

من بين صيد أحدهم بشروس واحد رغم الطلقات العديدة التى أطلقوها على هذا الطائر الحذر من مسافات بعيدة .

كانه المساء باردا شيئا ما ، وكان علينا أن نتناول عشاءنا فى الدهبية ونحن متلهثون فى معطفنا . وكانت بعض الفوانيس تضى المنظر الغريب : سفن قليل عددها بجانب جزيرة صغيرة فى ليل حالك فى بحيرة لا حياة فيها بعيدة عن العمران . ولم يكن يقطع السكون المطبق سوى صوت الأمواج وأصوات العرب الغليظة .

وسرعان ما مات الحوار على شفاهنا ، وراح العرب والأوربيون فى سبات ، وعزفت سيمفونية من غطيط النائمى . ولن أنسى أبدا هذه الليلة التى قضيتها فى هذه الخلية الضيقة . لقد سقطنا ضحية لجيوش من الهوام ، وراحت البراغيث تلتهم أجسادنا البائسة .

وفى الثامن عشر من الشهر غادرنا دهبينا ولا زالت الظلمة حالكة لنتنشر مرة أخرى فى الجزيرة منتظرين مرور الطيور صباحا . وجدفت بنفسى الى جزيرة ضيقة ، وزحفت فى سدفة الفجر صوب مجموعة صغيرة من طيور البشروس وفشلت فى اصطياد واحد منها عندما أطلقت النار عليها من بعد ، فاختبأت بين الشجيرات ، ومرت أمامى طيور مختلف أنواعها فاصطلت ووضعت فى حقيبتى أنواعا مختلفة منها ، وكان من بينها طائر بلشون ( مالك الحزين ) كبير حجمه ، وشكل طائر البشروس ( الفلامنجو ) سحابة حمراء تضم آلاف من هذه الطيور تتخذ مختلف الاتجاهات ، لكنها كانت أبعد من أن تصيبها بنلقيتى .

وعندما انتهى الوقت المحدد تجمعنا مرة أخرى فى القوارب ، لقد كان هذا النهار عابسا لا يدعو للمسرة فالسماء يغطيها سحب كثيف ، ورياح باردة تأتينا عابرة مياه البحيرة ، وزخات المطر تبللنا بشكل دورى . ولأن الرياح وجهتنا الى الجانب الجنوبى من البحيرة فقد رأينا - بين الحين والآخر أسرابا ضخمة من البجع والبشروس ( الفلامنجو ) على الشواطئ الرملية فاتجهنا بالقارب الى واحدة من هذه المجموعات ، وفى هذه الأثناء عبرت الجزيرة سحابة - غطت الجزيرة - من طيور النورس وطيور ( أبو ملعقة ) ، ووجهنا طلقاتنا من مختلف الاتجاهات لطائر البشروس ( الفلامنجو ) مرة أخرى دون نتيجة . فهبت الطيور مشكلة سحابة هائلة لتستقر على مسافة بعيدة منا .

وتوقفنا عند احدى الجزر الصغيرة لنتناول افطارنا عند الشاطئ . ولأن العواصف كانت لا تزال تهب بل وتزداد ، فقد عقدنا اجتماعا وطرحنا خططا أولها أن نعود الى دمياط لكن العرب أعلنوا أنه مادامت

الرياح تهب على هذا النحو فانهم لابد أن يجلبوا وأن يسحبوا قواربنا ،  
وهو عمل شاق وممل •

وكنا قد وصلنا بالفعل الى وسط البحيرة وأصبح فى امكاننا أن نرى  
بالعين المجردة صوب الجنوب - على مسافة بعيدة - مآذن مدينة المنزلة  
الصغيرة ونخيلها •

ونصحنا البحارة أن تلغى برنامجنا وأن نتجه الى بور سعيد وكان  
هذا تغييرا مهما فى خطة رحلتنا لكنه بدا هو الحل الوحيد المعقول خاصة  
ان مسئول القيادة الأول وعد أنه يصل بورسعيد مبجرا بأقصى سرعة هذا  
المساء مستفيدا من الرياح الغربية السائدة •

وأشفعنا القول بالعمل فانطلقت الذهبية الخفيفة بين الجزر لا تلوى  
على شيء ، واتضح أن الأجزاء الشرقية من البحيرة أغنى بالطيور من الأجزاء  
الغربية ، فقد رأينا أعدادا كبيرة من طيور أبو مجرفة Shovel-birés  
 وأنواعا كثيرة من البط وأسرابا من النوارس وطيور الخاق • وأطلقنا النار  
- بنجاح - على مجموعة من البجع وأخذنا منها نماذج باهرة الى دهبينا •

وبعد الظهر ظهرت فى الأفق منازل بورسعيد البيضاء ، ورأينا  
- على البعد - بعض أسراب البشروس واقفة ، بينما تحرك بعضها بعيدا •  
وصفت السماء ، فنعمنا بشمس دافئة واستمتعنا - مرة أخرى - بمنظر  
القروب المدهش الجميل •

### بورسعيد :

لقد كان طاقم الذهبية ماهرا • انهم رفاق ممتازون ومجدون بشكل  
غير عادى توثقت صلتى بهم تماما خلال اليومين • وقبل أن يختفى شفق  
الغروب كنا نستطيع تمييز منازل مدينة بورسعيد والطريق العالى ( جسر )  
لقناة السويس ، ووصلنا لهدفنا قبل حلول الظلام •

لم يكن يفصلنا عن الشباطى الا مئات قليلة من اليارات لكن الماء  
كان ضحلا ، لذلك كان لابد أن يحملنا العرب الشجعان المرافقون لنا  
لشباطى القناة • يحملوننا نحن أنفسنا لا أمتعتنا فقط •

وكنا قد أرسلنا مراسل ( مشهل ) Swiftist الذهبية ليسبقنا  
حاملنا خطابا ، لذا فقد كان فى انتظارنا - بالفعل - سفينة بخارية على  
شباطى القناة • وكان فى انتظارنا قنصلنا وقبطان الميناء وهو دلاشى بالملاد  
( يعود فى الأصل الى دلاشينا ) • ورأينا قناة السويس - للمرة الأولى ،



حيث تقع آسيا على شاطئها الآخر . والنظرة الأولى لقارة آسيا لا تنبئ عن جمال كثير ، فقد قدمت لنا آسيا نفسها في شكل جسر ( طريق مرتفع ) .

وأوصلتنا الباخرة بسرعة الى رصيف غير بعيد عن الفندق . ولم نر في الشوارع الا أوروبيين ، وكان كل شيء رأيناه يعطى الميناء طابع الموانئ الانجليزية . وكان الفندق كبيرا ومشيدا على الطراز الحديث تماما ، ويحظى بصيانة جيدة ، وذكرني بسويسرا ، فليس به أية لمحة شرقية . وكنا نحن وأسرة انجليزية - نزلاء الفندق الوحيد هذا المساء ، وحالا وصلنا قدموا لنا عشاء فاخرا وفي حوالى العاشرة كنا آمنين في أسرتنا .

وغادرنا الفندق في صباح اليوم التالى حيث توجهنا لباخرة قناة السويس ، وكان القبطان - وهو رجل عجوز مجرب - وكذلك كل طاقم الباخرة - من الفرنسيين ، وكقاعدة عامة فإن قناة السويس وكل ما يتعلق بها من حصة فرنسا ( ملك لفرنسا ) .

وأمكننا أن نلقى نظرة من فوق شاطئ القناة على بحيرة المنزلة الى الغرب ، وعلى سهل القرما Pelusium الاسيوى الى الشرق .

ان فكرة التحرك بين الكتلتين القاريتين ( آسيا وأفريقيا ) فكرة جذابة لكنها عند التطبيق قد تكون مملة . ووقفت آلاف مؤلفه من الجمع والبشروس عند السبخات الجنوبية لبحيرة المنزلة ، فأطلقنا النار عليها عبر القناة ، ولم يكن لطلقنا تأثير سوى أنها طارت مكونة سحابة أكبر مما يتصوره العقل .

### البرود الانجليزي - ارتطام في القناة :

ولما انتهت بحيرة المنزلة عن أيامنا وجدنا أن الشاطئ الغربي للقناة مهجور وغير مأهول تماما . لقد حجبت الشواطئ العالية كل المناظر ، وكانت أشغال الأتربة والرمال الناتجة عن الحفر تملأ الشواطئ : الأيمن والأيسر ولا تعتبر صورة جذابة بالنسبة لنا مع أنها - على أية حال - اشغال جيدة . وكان التغيير الوحيد هو اصطدامنا بباخرة هندية انجليزية ضخمة اعترضت طريقنا بشكل أخرق وظن قبطاننا أنه يمكننا المرور فتقدم بجسارة فأدى ذلك الى تصادم عنيف وحلوث بعض التلفيات البسيطة في جوانب سفينتنا ، فالتصقنا بالسفينة الانجليزية ، وعانينا لنصف ساعة حتى خلصنا سفينتنا منه . لقد أعطانا هذا القبطان الانجليزي اللفظ ظهره وكان الأمر - على الأقل - لا يعنيه وأخيرا تمكنا من تحرير سفينتنا تحريكا خفيفا ، وحدث صرير من جراء الاحتكاك بين السفينتين المتصادمتين ، ثم اصطدمتا مرة أخرى ، وتخلصت سفينتنا ،

بل اننا عملنا على دفع السفينة الانجليزية ، ثم واصلت سفينتنا وسفينته سيرهما في اتجاهين متضادين •

### شاطئ القناة الغربى :

وكنا نذهب بين الحين والآخر لنلقى نظرة من قمره القبطان على شاطئ القناة الآسيوى نجر الصحراء العربية ( ليقصد صحراء سيناء ) • ان طبيعتها تختلف تماما عن الصحراء الليبية ( يقصد صحراء مصر الغربية ) • ان ألوانها غير داكنة ، ورمالها وجبالها غالبا بيضاء ، وكان بها عديد من الشجيرات الصغيرة المستديرة ذوات خضرة فاقع لونها •

### الاسماعيلية :

وبعد عشر ساعات وصلنا لبحيرة الاسماعيلية المالحة ومدينة الاسماعيلية أيضا - وهى مدينة ذات طابع أوربى تماما • ووجدنا أن الصحارى الصفراء التى اعتري صفرتها البياض التى تحيط بالبحيرة مستوية تماما فى غالبيتها ، وترى على البعد - الى الجنوب - سلسلة جبال عتاقة Ataka الجميلة • والمنطقة بلا شك رتيبة عابسة الا أن لون البحيرة المالحة الأزرق بتناقضه مع لون شواطئها الصحراوى قد خلق مزاجا لوليا يسترعى الانتباه •

وكانت لدينا فرصة - أثناء اتجاهنا لمحطة السكك الحديدية - أن نرى ما يثير اعجابنا بثروة الفرنسيين وصناعتهم وذوقهم الراقى ، فقد نجحوا فى أن يقيموا فى الصحراء منتجعا بحريا للاستحمام ، ومساكن بيضاء نظيفة ذوات ستائر تمنع عنها الهوام Jaleusies ، وشوارع جيدة ، وطرق تحفها الأشجار وبساتين تلقى العناية • ولما بدأ قطارنا فى المسير تجاوزنا بعض السبخات الصغيرة ثم قطعنا الصحراء وهى هنا صحراء عربية خالصة Which is here Completely Arab ، ووجدنا بعد ذلك بحيرة صغيرة يحفها الغاب ( البوص ) وإلى جوارها بعض الكيائن البائسة ولما أصبحت التلال الرملية بجوار الخط الحديدى منخفضة بما فيه الكفاية رأينا الى الجنوب جبل عتاقة الشامخ وبعده جبال آمون Ammon وهذه السلسلة هى نفسها التى يكون أنفها الغربى ( نتوؤها الغربى ) جبل المقطم المعروف •

وبعد فترة بدأت الصحراء تتراجع وأخيرا اختفت عن أنظارنا وأصبحنا مرة أخرى فى الأرض كثيفة الزروع لمصر الدنيا • فتجاوزنا مدينة الزقازيق وقرى مختلفة صغيرة وسرعان ما بدت لتواظرننا مدينة

الحلفاء الجميلة تتألق ذهبية فى ضوء الشمس ، ولما وصلناها سلكننا أقصر الطرق الى قصر النزهة ، وكنا فى حاجة للراحة .

### عُود الى هليوبولس ، وشجرة مريم :

وفى صباح اليوم التاسع والعشرين قررنا أن نمارس رياضة الصيد فى هليوبولس . كان الجو ملائماً تماماً فالهواء نقي والجو دافئ . وبعد أن قطعنا الطريق السيئ نفسه الذى قطعناه عند شهر مضى وصلنا الى ( شجرة مريم ) وأطلقنا كلاب الدشهند لتبحث عن الضباع والنموس فى الحدائق الصغيرة وبين أشجار الصبار الكثيفة التى تشكل سياجا قريبا ، لكننا سرعان ما اكتشفنا أن كل ذلك بدون جدوى لأن موسم طيور السماني ( القرى ) قد بدأ منذ فترة وسمعنا طلقات تأتي أصواتها من مختلف الاتجاهات ، فقد كان الشرقيون الباحثون عن المتعة يوم الأحد ، وكانوا من أصول شرق أوربية من مختلف الطبقات - يفتشون الشجيرات والحقول ، لذا فقد بدأ أمرا غير مجد أن نطلب اخلاء الأرض منهم .

### مزرعة النعام :

وثمة مطعم صغير بالقرب من شجرة مريم بين الحدائق والأشجار الظليلة - وهو مكان أثير لدى أهل القاهرة - وقد تناولنا افطارنا هنا ( فى هذا المطعم ) ثم ذهبنا بين الحقول والحدائق لنصل الى مزرعة النعام التى تقع على حافة الصحراء ويعمل بها جماعة يبدو أنها أنجزت عملا جيدا فقد كان كل شيء فيها مرتبا بطريقة مريحة وكان مدير المزرعة رجلا سويسريا ألمانيا جعلنا نرى الأماكن المخصصة لهذه الطيور - مساحات رملية مفتوحة، ومبايت داخلية والفتحات الصغيرة، وكل الطيور ( النعام ) هنا من النوع الفخم ، بعضها صغير وبعضها كبير ، والنعام هنا من نوعين ( صنفين ) مختلفين وبدأت هذه الطيور كلها فى الغاية من الجمال بريشها الجميل .

وبعد أن رأينا كل شيء فى مزرعة النعام هذه سلكننا أقصر الطرق الى حدائق البرتقال المشهورة فى هليوبولس ورأينا بعض آثار الدئاب لكنها لم تكن فى جحورها فى هذا الموسم " وعيننا بحثنا بين أشجار حديقة البرتقال الجميلة وفى أرضها ، فلم نجد ذئبا واحدا ، وفى طريقنا توقفنا عدة مرات وبحثنا دون جدوى بين أشجار حدائق مختلفة ، كما بحثنا فى حقل من حقول قصب السكر لكن ديانا Diana لم تتعطف علينا هذا اليوم فعدنا للقاهرة بحقائق خاوية .

## الحمام التركي :

ولما وصلنا لمقر اقامتنا دلفنا الى حمام تركي منعش غاية الانعاش ، ويجب على المرء أن يكون قد خاض هذه التجربة ( الحمام التركي ) في الشرق ، فهي تستغرق بمختلف مراحلها بما في ذلك التدليك - ساعة ، وذلك حتى يفهم مدى عشق الشرقيين لهذا الحمام وكل ما يتعلق به ، وخم الحمامات التركية يشكلون طبقة ( فئة ) خاصة يمارسون عملهم بدقة لا مفر منها ، وتجد هذه الحمامات في بيوت الأثرياء الشرقيين ، وهي تجلب سرورا بالغاً وسعادة لا يمكن وصفها .

## القلعة ومسجد محمد علي :

وفي ٢١ مارس اتجهنا صباحا الى قلعة القاهرة الشهيرة ومررنا بعدة بوابات على جانِب منحدر تلي . واستقبلنا الخفراء بعزف الموسيقى العسكرية .

والقلعة مبنى ضخّم محصّن تحصينا فائقا من جهة المدينة ( القاهرة ) بصخور محلية . وبعد أن تحطمت هذه القلعة سنة ١٨٢٣ تم انشاء مبنى حديث في البقعة نفسها ليحل تماما محل قلعة صلاح الدين التي أنشئت ١١٦٦ والتي أقيمت من أحجار آثار مصر القديمة . وبعد أن مررنا عبر البوابة الأولى ( الباب الجديد ) واجتازنا مجازا أدى بنا الى البوابة الثانية ( الباب الوسطاني ) وقعت أنظارنا على ميلان مربع ثان تحيط به المباني الحكومية والعسكرية وقصر صغير لنائب الخديو .

## المآذن - شعار القاهرة :

وأكثر أهداف السائح أهمية وأكثرها مدعاة للتشويق في هذه البقعة هو مسجد محمد علي الضخم المشيد من الألباستر ( المرمر ) الذي يشمخ وسط القلعة . وقد أنشأه مؤسس الأسرة الحاكمة الحالية ، الذي حظى بشهرة كبيرة - انه الشجاع محمد علي ، وقد أنشأه في موضع كان به قصر قديم خرب . ويرى المرء من هنا على البعد مآذن القاهرة السامقة تشمخ عالية . ان هذه المآذن هي شعار القاهرة an emblem of Cairo . ودخلنا مبنى المسجد المهيب بعد أن وضعنا نعالنا في أخفاف ( جمع خف ) كانت معدة لهذا الغرض ، ويؤثر في المرء - للوهلة الأولى - مساحة المسجد المربع ، والقبّة المهيبة وما حولها من قباب أخرى صغيرة ، والجدران المكسوة بمرمر ( الألباستر ) بنى سويّف الأصفر ، لكن عند التدقيق يكتشف المرء أن التفاصيل المعمارية أدنى في مستواها من التفاصيل المعمارية في المساجد

القديمة ، والنوافير هنا رغم ثقلها الا أنها خالية من الجمال ، وقد فرش  
المسجد ببعض السجاجيد الجميلة ، كما أن المحراب الذى يشير الى اتجاه  
مكة ( المكرمة ) مزخرف بشكل جيد ، ويقع قبر محمد على الى جانب هذه  
البقعة المقدسة عند المسلمين ( يقصد القبلة ) (\*) . والقبر مغطى  
بستائر ذوات أشغال ذهبية ومحاط بشبك حديدى وشاهد قبره على هيئة  
عمامة حجرية - كما تقتضى تعاليم الدين الاسلامى (\*\*).

### شخصية محمد على :

وسمح لنا باجتياز الشبك الذى يشكل سورا حول القبر لننظر الى  
الضريح الذى يضم رفات الرجل العظيم . ابن أحد كناسى قولة ، الجندى  
الكامل والشرقى الكامل ذو الروح الاستقلالية المتمردة Wild & undisciplined  
ذو الطاقة الحديدية ، والمتسم بالقسوة فوق كل هذا ، والذى  
وهب - بالإضافة لذلك - مواهب عظيمة وذكاء - كان يسعى لتكوين  
إمبراطورية على نسق الخلافة ( الاسلامية ) الأولى . لقد سار عبر  
فلسطين على رأس جيشه الباسل ، واضعاً الاسكندر الأكبر كمثال له .  
ولو أن القوى الأوروبية لم تتدخل لاستطاع الباشا الناصر - بلا شك -  
أن يصل اسطنبول ليحاصر الخليفة . لكن التدخل الأوروبى أجبره على  
الاكتفاء بمصر وتوجيه كل عنايته وطاقاته لها .

والقلعة التى بناها محمد على هى آخر آثاره الدالة على قسوته  
الوحشية . وكان محمد على لا يثق فى المماليك الذين كانوا يخدمون فى  
مصر كمجموعة مرتزقة مخلصين للسلطان faithful to Sultan .

### عذبة المماليك ، والمملوك الهارب :

وانتهز محمد على فرصة تجمع المماليك فى ساحة القلعة الى جوار  
المسجد وأمر باغتيالهم جميعاً ما عدا مملوكاً واحداً كان تركيا  
شجاعاً قفز وعليه كل دروعه بحصانه الجسور فوق الجدار الذى يشكل  
حدود الساحة واندفع الى منحدر شديد وهبط الى أكوام ناعمة من النفايات

---

(\*) قبر محمد على ليس الى جوار القبلة فى المسجد ، ولعل هناك خلافاً فى التعبير ،  
فقبر محمد على يكون الى الخلف من المصلين وليس امامهم كما هو مشاهد حتى الآن -  
( المترجم ) .

(\*\*) هذا من العادات وليس له أية علاقة بالفكر الاسلامى وليس هناك أى نص  
غيبى ( قرآن كريم أو حديث نبوى ) يعرض ذلك - ( المترجم ) .

أسفل القلعة ، واستطاع هذا المقاتل أن ينهض بجواده المخلص وكأنما نجى بمعجزة وهرب من ملاحقة الباشا الساخط .

ولقد رأينا آثار دماء هذه المذبحة على الأرض وألقينا نظرة من هذا المكان المرتفع على مدينة الخلفاء العريقة . كان منظرها رائعا بمنازلها ومآذنها ، وعلى البعد رأينا الأرض الزراعية يتخللها النيل كخيوط من الفضة . وخلف الأرض الخضراء يشمخ الهرم ، وخلف كل ذلك صحراء صفراء لا تحدها حدود ، وخلفنا وإلى الأدنى منا مباشرة منحدرات جبال المقطم الداكنة ومقابر الخلفاء والماليك التي تشملها القوضى وعدم النظام وبقايا أثرية للمدينة القديمة التي اعتراها الحراب - كل ذلك يقدم للرائى صورة شائقة .

وقد ألحق بساحة القلعة مقر Castle صغير لنائب الخديو ، وهو مقر مرتب ببساطة ليس فيه ما يلفت النظر الا أنه كان ذات يوم مقرا لمحمد على . وقد تركت غرفته وحمامه على الحالة نفسها التي كانت عليها عندما كان هو على قيد الحياة . ويحسن المصريون صنعا بتوقيع ذكرى هذا الرجل الجدير بالاحترام ، لأنه قد ترك أثرا قويا فى بلادهم وإذا تابعت ذريته جهوده وورثت عنه ذكاه وطاقاته فان مصر ستلعب دورا أعظم من دورها الحالى .

### بئر يوسف :

وقد أرونا فى ركن خارج طريق ( ممر ) فى القلعة ما يسمى ببئر يوسف ، وقد أمر بحفره صلاح الدين يوسف ، وغالبا ما يخلط الناس بينه وبين يوسف المصرى وتدير الجواميس ساقية ترفع الماء من هذا المستودع المائى القديم والبسيط (١) .

أما وقد أكملنا جولتنا فى القلعة فقد استأذنا من السلطات المدنية والعسكرية ومن دراويش المسجد وهبطنا التل الى المدينة .

### الكتبخانة الخديوية :

وتشغل مكتبة الخديو الشهيرة ذات الرصيد الكبير مبنى كبيرا وملائما فى أحد الشوارع القديمة . ومدير هذه المؤسسة المائى وقد استخدم خبرته وتدريبه العلمى فى ترتيب المجموعات الثرية التى كانت قبل ذلك هملا بغير نظام . ومن الطبيعى أن تثير المجموعة الشرقية من هذه الكتب والمواد اهتمام الغرباء وقد وجدنا نسخا من القرآن ( الكريم ) بكل لغات المسلمين فى آسيا ، كما وجدنا نسخا من القرآن ( الكريم ) تعود

لبواكير التاريخ الاسلامى معروضة بأسلوب فريد جميل . لقد أمر الخديو ومن سبقوه بجمع الكتب الدينية القيمة من المساجد وايداعها هذه المكتبة للحفاظ عليها من التلف . وقد رأينا فى هذه المكتبة أيضا بعض الكتب الفارسية ذوات خطوط ورسوم جميلة . لقد ذكرتنى الأشكال الخارجية والأساليب ، والأزياء وعدة الفرسان وأسلحتهم بكثير من الأعمال الفنية فى العصور الوسطى الغربية . وبالإضافة لنسخ القرآن ( الكريم ) رأينا مجلدات توضح بالكلمة والرسم الحروب والمعارك والقنص بل وحتى المناظر الطبيعية ، وكثير من هذه المناظر الفارسية ذوات قيمة بالإضافة لقيمتها التاريخية .

وبعد أن ألقينا نظرة خلال المكتبة بقدر ما سمح به وقتنا المحدود . واصلنا تحركنا - راكبين - فمررنا خلال زحام المدينة الحربية ، واسرعنا نقطع بعض الشوارع الأوروبية حتى وصلنا - سريعا - الى ميدن قصر الخديو الكبير .

وفى مواجهة القصر والثكنات يوجد مبنى جديد لمدرسة College . يولى الخديو المالى اهتماما فائقا بها فهو الذى أمر بإنشائها ، وطلب منا زيارتها ، وقد جلنا فى فصولها حيث كان الدارسون يتلقون دروسهم على أيدي معلمين أوروبيين . وكان معظمهم من أولاد أثرياء القاهرة المسلمين . وإن كان من بينهم صبيان من أبناء الخديو - وكان الأطفال يبدون بمنظر حسن وصحة جيدة ويتسمون بالحيوية ، وقد رأينا قاعات المعيشة والمطاعم والملاعب ، وكانت المدرسة منظمة على النسق الأوروبى وإن كان هناك بذخ فى تجهيزاتها وأثاثها مما لا يتمشى مع الفرض منها كمؤسسة تعليمية .

ثم زرنا بعد ذلك القنصلين العاملين : البارون شافر Schäffer والبارون ساورما Saurma فى منزليهما الجذابين ثم عدنا بعد ذلك للحى العربى . وتوقفنا عند شارع ضيق لا تستطيع حافلتنا المرور به وترجلنا حتى باب فندق النيل الممتاز الذى يقع فى وسط المدينة القديمة ، وهو فندق جميل وتحولت باحته الى حديقة جميلة أضافت الى جماله جمالا ، وصاحب الفندق نمساوى ، ومن هنا فقد قابلتنا مجموعات مختلفة من بلادنا وعبد القادر وبرجش باشا والبارون ساورما ، وتناولنا جميعا افطارا ممتازا تحت سقيفة جميلة .

## الحاوى :

وقضينا بعض الساعات الباعثة على السرور فى هذا الفندق اذ أمتعنا ( حاوى ) عربى ببعض الألعاب ( السحرية ) التى تتطلب مهارة كبيرة . وكان مساعده صبى صغير يقول - بألمانية مهشمة - قبل كل

لعبة ( سحرية ) : « تعال هنا يا عفريت » ، وعقب هذه الألعاب ( السحرية ) جاء دور ( حاوى الأفاعى ) الذى أحضر معه أفاعى ضخاما جدا ، وسحالي مختلفة ( من بينها سحرية جيكو Guko الرمادية ) وعقارب غريبة ، وقد أخرجها جميعا ( الأفاعى والسحالي والعقارب ) من تحت معطفه الواسع . ثم أتى رجل ومعه قرود سمينة مدروجة جيدة ، وعنز وكلاب مختلفة . وبشكل عام فإن ما رأيناه شائع فى كل سرق فى أوربا ، لكن البشرة الداكنة للحاوى العربى وثوبه الواسع والمسلك الشرقى الوقور والاثر العام للمشاهدة المرحه - كل ذلك قد أضفى الجاذبية على عروض - هى فى حد ذاتها - مبللة وطفولية .

وعند عودتنا لمقر اقامتنا ارتدينا ملابس الصيد ، وذهبت مع الدوق الكبير والبارون ساورما خلال شوارع المدينة وعبرنا جسرا على النيل بالقرب من المنازل الريفية للخديو ، وتمركزنا فى أحد حقول القصب هناك ومعنا عنز راحت تنغو أخفيناها بين أعواد القصب الطويلة . يا خسارة ! لم يأت ذئب ولا أى حيوان غير مستأنس ، مع أن ساورما كان قد مارس الصيد بنجاح فى البقعة نفسها وبالطريقة نفسها ، لكن ديانا كانت غير عطوف معنا اليوم مرة أخرى ( لم يكن الحظ حليفنا ) ، فعندنا لمقر اقامتنا عندما بدأ الظلام يزحف . لقد كان مساء رائعا ، غروب بهى أعقبه ليل الربيع الأفريقى العظيم . فراحت الحشرات تطن وتثر ، وراحت الخفافيش تمر بسرعة حول الأشجار التى راحت ذؤاباتها تحف حفيفا رقيقا . سحر محيط من النجوم فى القبة السماوية الزرقاء ، وهدوء لا يقطع جلاله سوى نباح الكلاب الذى لا ينقطع وصياح طيور دجاجات الماء فى طريقها للنيل .

لقد كانت القاهرة تفص بالحياة ، وكان علينا أن نندفع لنشق طريقنا وسط الزحام والحركة حتى نصل الى قصر النزهة .

وذهبنا فى بكور صباح اليوم التالى الى ثكنات قصر النيل الكثيرة ، وواصلنا رحلتنا فوق ظهر الباخرة فيروز Feruz التى كانت راسمة الى الأدنى من الثكنات . لقد ذكرتنا هذه الباخرة القديمة بسهولة الصعيد السعيدة ، وأيامنا الطيبة هناك . وقاد الأدميرال الداكن - مرة أخرى - سفينته الجيدة ، وما هى الا دقائق قليلة حتى تحركت سفينتنا شمالا .

### الى القناطر :

لقد تعلمنا منذ الوهلة الأولى أن هناك فرقا بين مناظر مصر العليا ، ومناظر الدلتا ، فمناظر الصعيد براء ألوانها وجمال طبيعتها تزداد قيمتها عندما يعود المرء الى القاهرة ومصر الدنيا ( الدلتا ) ، فما كان جنابا فى



الدلتا عندما رأيناه للمرة الأولى ، بدا لنا - بالمقارنة بمناظر الصعيد شاحبا  
لا لون له •

لقد كانت رحلتنا هذا اليوم الى قناطر النيل الشهيرة « barrage du Nil »  
لقد تجاوزنا في البدايه منارل قديمه تهبط لتريجيا حتى  
الماء ، ثم توغلنا فى المجرى الواسع للنيل فوجدنا يخوتا متنوعة للخدو  
صفت جنبا الى جنب ، وبواخر بريد وعددا كبيرا من الذهبيات ( البواخر  
السياحية والخاصة ) وعلى الشاطئ الغربى توجد بيوت ريفية تحيطها  
حدائق غناء ، وناحية اليمين ( الشاطئ الشرقى ) المدينة ، وضاحية شبرا  
وقلعة تحمل الاسم نفسه ( قلعة شبرا ) والأشجار الباسقة للمتزهه الكبير  
وسرعان ما اختفت هذه المشاهد الشائقة وبدأت المناطق الزراعية ذوات  
المنظر الرتيب فى مصر السفلى تحف النهر مستمرة استمرارا غير منقطع •

وقد رأينا مجموعة من الأوز البرى المرتجل وعددا كبير من البط  
أما دجاجات النهر فكانت عند الشاطئين لكن بأعداد قليلة ، وتجاوزت  
سفينتنا عددا من الجزر الرملية الطويلة ، وظهر أمام نواظرنا مبنى حاجز  
يشبه الجسر ( الكوبرى ) •

هنا يتفرع النيل الى فرعين : فرع دمياط وفرع رشيد • اننا الآن  
عند النقطة الجنوبية للدلتا • واللسان الطينى الذى يفصل الفرعين وكذلك  
الفرعان ، قد مد عليها جميعا جسور ( كبارى ) حديدية وقناطر عملاقة  
أنشأها محمد على ، والهدف منها هو الاحتفاظ بمياه النهر أمامها أثناء فترة  
انخفاض المياه حتى يمكن امداد ترع الوجه البحرى كثيرة العدد بالمياه  
اللازمة أثناء التحاريق ( نقص المياه ) كما يتم امدادها أثناء الفيضان على  
سواء •

ويقال ان نتائج هذا المشروع - الذى عاق الملاحه فى النيل فى  
الوقت نفسه - لا تساوى المبالغ الطائلة التى أنفقت عليه • وثمة قلعة  
تكلفت أيضا مبالغ طائلة على اللسان بين السدود ، وهذه القلعة المبحورة  
منخفضة جدا فهي لا تزيد كثيرا عن كونها دمية وثمة عدد قليل من البنادق  
قديمة الطراز وتكنة بها حامية صغيرة ، على أن أكثر ما يلفت النظر فى  
هذا كله هو الصفوف الطويلة من الأشجار الباسقة التى تزين كل جوانب  
هذا المكان المهجور •

• وكان علينا أن نتفقد المكان كله ودرنا حول القلعة ، وكذلك السدود  
( القناطر ) ، وبعد اتمام جهلنا اتخذت باخرتنا طريق العودة • وترقنا  
عند جزيرة طويلة ضيقة تغطيها الرمال والشجيرات الكثيفة ، وبحسنا فيها

عن الطرائد • لقد أطلقت بنلقيتى على بعض طيور الماء الصغيرة بالاضافة الى اصطيدى لصقر جميل ذى صدر شاحب • وثمة فرع ضحل من النهر يقسم الجزيرة ، وعبر هذه المخاضة تتجول قطعان كبيرة من الخراف والماعز لتتغذى على الشجيرات النابتة فيها • وقد وجدنا على ضفتى النيل أكواخا بائسة مختلفة تمت اقامتها لأغراض الصيد •

وسرعان ما تخلينا عن الصيد فى هذه الجزيرة وعدنا لباخرتنا وتناولنا افطارنا فى طريق عودتنا لمقر اقامتنا ، وما كدنا ننتهى من تناول القهوة السوداء وتدخين السجائر حتى وصلنا لقصر النيل وودعنا السفينة فيروز الحبيبة وداعا أخيرا •

### الدرائش

وقد عرف عبد القادر باشا - باهتمامه الذى لا يفتقر - كم أنا مشوق لرؤية الدراويش وهم يرتصون turning ويصبحون howling فحصل من الخديو على أمر بالسماح لنا بدخوى احدى تكايا Convent هؤلاء المتعصبين ، خاصة أنه لم يكن هناك يوم الجمعة ضمن أيام برنامجنا فى القاهرة ( ففى يوم الجمعة يمارس هؤلاء الدراويش طقوسا خاصة فى المساجد الكبرى ) • فركبنا مارين خلال المدينة كلها حتى وصلنا لأبعد جزء فى الحى العربى • وتوقفت عربتنا عند حارة صغيرة وتسلقنا منحدرًا حادًا الى جدار ( سور ) ، وعندما دخلنا من البوابة وجدنا رواقًا صغيرًا معمداً مسقوفاً وحديقة ، ووصلنا لغرفة الاستقبال بعد أن سعدنا ساما خشيباً بائساً وسرنا فى ممر • كانت الجدران مستوية وجرداء ، ولم يكن بالغرفة سوى ثلاث كنبات وبعض الأبسطة ، وظهر شابان أظنهما من خدم ( التكية ) ، وفى غضون دقائق قليلة ظهر شيخ director التكية Convent - وهو رجل عجوز هذه التعبد بأسلوب معاقبة النكات - تكفيرا عن الخطيئة - والعمل على اماتة الشهوات • وكان مظهره الخارجى قبيحا حقا اذ كان نحىلا شاحبا بلون الشمع ، لقد كان كجثة ميت بلامحه الباردة وشفتيه الشاحبتين وعينييه الميتتين ويديه النحيلتين ذواتى العظام البارزة ، وحمله ( ظهره ) المنحنى ، بالاضافة لصوته الأجوف - كل ذلك كان ذا طابع شبحى شاحب شحوب الموتى • أما ملابسه فثياب طويلة ملونة مزينة بالفراء ، وحزام لامع وعباءة طويلة تزحف خلفه فوق الأرض كان يضم أطرافها الأمامية الى بدنه بيديه المرتعشتين رغم حرارة الجو • ويضع فوق رأسه عمامة مرتفعة من لباد أخضر حولها شال أخضر - وهو اللون المفضل لدى النبى ( صلى الله عليه وسلم ) the Colour of the prophet • وهذه العمامة headdress العجيبة تشبه عمام الفرس •

وقد أشار إلينا - وفقا لما تقتضيه اللياقة - أن نجلس وجلس هو متيبسا على الكنبه كأنه أحد تماثيل الشمع • وأحضر الخدم القهوة في فناجين قدرة وقدموا لنا السجائر •

وبعد مقابلة رسمية قصيرة دعانا لقاعة الحلقة ( القاعة المقدسة Sacred hall) في المسجد التابع لآتباعه ( مريدیه ) فدلفنا الى مبنى غريب بعد أن مررنا بممر بحذاء البيت • لقد كان قبة دائرية عالية ذات حل معمارية شرقية ، وثمة ممر ضيق سقفه قائم على أعمدة خشبية تدور مدار الجدران • انه المكان الذي يتمركز فيه مشرف الحلقة faithful spectator والموسيقيون ( العازفون ) • والى الأدنى منا رأينا حلقة تشبه حلقة التدريب في مدارس تعليم الفروسية riding school ذات سياج يبلغ ارتفاعه ثلاثة أقدام ، وأرضية الحلقة مفروشة برمل ناعم كما في حلبة التدريب في مدارس تعليم الفروسية وثمة بساط تركي قديم مفروش في أحد الجوانب • ولم نجلس أكثر من دقيقة في الممر ، وكنا تواقين لرؤية ما سيحدث بعد ذلك عندما دخل شيخ الطريقة العجوز the old high Priest متقلبا ببطء في الحلقة arena وجلس متربعاً على البساط ، وتبعه حوالي عشرين رجلا ، وكانوا جميعا يضعون فوق رؤوسهم عمام عالية من النوع نفسه ، لكنهم يلبسون صدریات بيضاء ضيقة ذات تصميم تركي ومفتوحة من الأمام وتحت الصدرة حزام وقميص واسع كتنورة النساء • وساروا فرادى بخطوات وقورة وقد عقدوا أيديهم أمام صدورهم وانحنوا انحناء شديدا أمام شيخ الطريقة (\*) Priest الجالس • ثم صفوا أنفسهم حول الحلقة ازاء جدرانها • وتلا شيخ الطريقة بعد ذلك دعواته بصوت خشن وراح أثناء ذلك ينحني كثيرا في مختلف الاتجاهات وحذا أتباعه حذوه ، ولما انتهوا من ذلك ارتفعت أصوات الموسيقى - فجأة - عالية صاخبة • وكانت الآلات الموسيقية هي نفسها التي رأيتها وسمعت أصواتها أثناء مشاهدتي لرقصة النحلة في صعيد مصر غير أن الأجراس النحاسية والكمان تلعب هنا دورا أكبر في العزف ، والكمان المستخلصة هنا تشبه الجوزلا gusla عند أهل دالماشيا • كان العزف وحشيا وذا طابع حربي •

وعند المقطع الأول خطا الرجال داخل الحلقة وانحنوا مرة أخرى لشيخ الحلقة old priest ويدعوا يدورون حول أنفسهم to turn لا أحد منهم يلمس الآخر وبقي كل شخص في موضعه ، وفي البلدية كانت حركتهم بطيئة لكنها زادت شيئا فشيئا بسرعة حتى ان تنوراتهم الطويلة

(\*) لعله شيخ السجادة - ( المترجم ) •

ارتفعت عالياً • واستمرت الموسيقى صاخبة مندفعة ، وأصبحت ملامح وجوههم نائرة مهتاجة أكثر من ذي قبل وراحوا يهمهمون وهم يدورون كالخدروف ( النحلة أو الخدروف الذى يديره الصبية مستخدمين خيوطا ) كل فى موضعه وملوا أذرعهم وأيديهم ، فهذا يقبض يديه ، والآخر فى الخلف يرفعها ، والثالث يبسط كفيه ، وهذا يعنى أن اليد اليمنى تحمل السيف دفاعا عن العقيدة واليد اليسرى تطلب عطايا الرحمن •

ان النظر الى مثل هذه المناظر يجعل الأوربي يصاب بالدوار ويجرى الدم باردا فى عروقه • ان هذا التعصب البالغ يسبب للمرء خوفا ورعبا • ان هؤلاء الناس يدورون حول أنفسهم بسرعة لا تصدق ، دون أن يتزحزح الواحد منهم عن موضعه قيد أنملة ، وتتقلص وجوههم بعنف وكأنما زلزلوا زلزالا شديدا ، وتحملق عيونهم خارجة من مجارها ، وأيديهم النحيلة وخدودهم الشاحبة التى اندمجت فى لحاهم القصيرة المنسقة على النسق التركى – كل هذا ينبىء عن الخلل العصبى الذى تسببه المشاعر الدينية غير السوية • وثمة رجل عجوز يرتدى ملابس كالتى يرتديها شيخ الطريقة ( أو شيخ السجادة ) يزحف بين الدراويش وهم يدورون حول أنفسهم لينظم حركاتهم • لقد استمرت هذه الطقوس الدينية فترة طويلة ، ثم توقفت الموسيقى ، فبذل كل درويش قصارى جهده ليستند للجدار • كانوا شاحبين مهزوزين وانحنى كل واحد منهم انحناء شديدة ، وتليت دعوات أخرى ، ثم عزفت الموسيقى مرة أخرى وبدءوا يدورون من جديد •

كم تستغرقه هذه الطقوس الدينية يوميا ؟ لا أدري ، لأننا بعد نصف ساعة غادرنا التكية Convent • ولا أنكر أنني كنت سعيدا أن أرى الشمس مرة أخرى وأن استمتع برؤية السماء الضاحكة والحركة فى الطرقات ، وأن أهرب من هذه التكية الباردة الشبيهة بالزنزانة ومسجد الدراويش الكثيب وهلوستهم المرضية المتفسخة •

وهؤلاء الدراويش رهبان غير متزوجين ، ويعيشون – معيشة مشتركة – فى منزل واحد • وثمة طرق Sects مرعبة مختلفة على هذا النحو ظهرت فى التاريخ الاسلامى المتأخر – ليس فى شبه الجزيرة العربية مهد الاسلام حيث العرب الأذكياء ، وانما كان ظهورها – أى هذه الطرق المرعبة – فى الشمال بين أهل آسيا الصغرى والقبائل المغولية ، وقد تأثر العثمانيون فى آسيا وأوربا بهذه الخرافات المنحطة فلعب الصوفيون softas دائما دورا مهما فى هذه الأنحساء أثناء فترات الهياج الدينى والحروب •

وقد وجد الدراويش الدوارون ( اللفافون ) والمهمهمون ( النباحون ) في القاهرة لفترة طويلة ، لكن هؤلاء الدراويش - خاصة الأوائل منهم - قد تجنبهم العرب الذين تمسكوا بشريعة دينهم الحق ، واعتبروا ما يقوم به الدراويش انحرافا عن التعاليم الحكيمة للنبي العظيم . لقد كان كل هؤلاء الدراويش الذين رأيناهم هناك من عثمانيين أوروبا وآسيا الصغرى ، وكان من الواضح أنهم على النمط التركي تماما .

ووصلنا للجانب الأوربي من المدينة بعد أن اجتزنا الحي العربي ، وتجاوزنا قصر النائب في القصر العيني ، الذي تشغله الآن زوجة الخديو لنصل الى أقدم أرجاء القاهرة حيث وجدنا أن أكوام النفايات والمقابر وخرائب المساجد القديمة والقاذورات المختلفة ، - أكثر بكثير من المساكن المأهولة بالسكان . وعند نهاية شارع ضيق أغلقته الأحجار وبقايا الخرائب ، توقفنا وعبرنا بوابة تفضي الى باحة ( صحن ) حولها أروقة ظليلة تحفها النباتات اننا الآن في مسجد قديم دائري ، فوجئنا بمظهره الخرب . واستقبلنا رجل عجوز بدين وعلى وجهه ابتسامة ودود ، وعلى رأسه عمامة مستديرة ويلبس ملابس تركية بهيجة أصيلة ، فتبعناه عابرين بابا ضيقا الى داخل المسجد . كانت الأحجار مغطاة بفراء الخراف ، وثمة درع صديء ورماح وسيوف وخنجر ، وسيوف مثلمة معلقة على الجدران ، وبينها علم أخضر بال ( ممزق ) ، لابد أن هذه الأسلحة النبيلة قد شربت من دم الكفار حتى ارتوت فاستحقت أن تعلق في هذا المكان المقدس ( المسجد ) .

وعندما تبدأ الحرب من أجل الدين الحق ، فإن دراويش هذه الطريقة ( وهي طريقة ذات طابع حربي أكثر من طرق الدراويش الدوارين « أو الراقصين » ) فالواحد منهم يأخذ الدرع ويحمل الراية الخضراء شارة النبي ( صلى الله عليه وسلم ) ويجري وهو يعوى خلال الشوارع صاخحا معلنا الحرب والموت للكفرة داعيا المسلمين للجهاد . وقد لعب هؤلاء الناس ( الدراويش ) دورا مهما في الحروب التركية القديمة ، ولا زال الاسلام يضمن لهم أنهم سوف يجدون ميدانا ( مجالا ) لنشاطهم .

وما كدنا ندخل المسجد حتى أقبل الناس الأتقياء فجلس الرجل العجوز الذي استقبلنا في الوسط على فراء خروف . وتحلق أتباعه حوله في حلقة ، وتلا دعوات بصوت عال ، وراح يكرر دعواته مرات عدة ، ويكرر المتحلقون حوله ما يقول ، وعزفت الموسيقى - تماما كما هو الحال عند الدراويش الدوارين - أصواتا عالية بربرية ، وتوافقت حركاتهم المستمرة مع القرع الموسيقي ، وراح الواحد منهم يحرك جزء جسمه

العلوى للخلف وللأمام • وكان هؤلاء الدراويش يتأوهون ويندبون ويهمهمون بالكلمات نفسها بشكل غير مفهوم ولا مبين على الإطلاق • لقد كان المنظر كله كئيبا بشكل يبعث على الألم والرثاء • كان هؤلاء الدراويش يلبسون عباءات براقية طويلة ويلفون خواصرهم بحبال بسيطة • وهم تكس كل المسلمين لا يضعون فوق رؤوسهم أى غطاء للرأس ، وشعر الواحد منهم طويل مهوش ولحيته طويلة ، وعندما يميل ببدنه الى الخلف ( يثنى جزعه الى الوراء ) يتهدل شعره حتى يصل الى الأرض ، وعندما يميل بجسده مندفعاً للأمام يغطي الشعر وجهه بشكل مهوش • عيونهم زائفة تدور ، وأجسادهم تهتز بعنف والرغبة والزبد يغطي شفاههم ، وكان ثمة رجل ضخم منهم – بالذات – له لحية سوداء يمثل أقصى درجات الانجذاب الوحشى المتبربر •

ولم نمكث طويلا في هذا الجو المقبض ثقيل الوطأة وتبعنا شيخ الطريقة العجوز Old high priest وكل أتباعه ( مريدته ) حتى الخارج ، ولما خرجوا وراءنا كان كل واحد منهم قد غطى رأسه ، فارتدى معظمهم طواقى بنية وقدموا لنا – تحت تعريشة ظليلة بدائية – قهوتهم السيئة •

وسألت عن أصولهم فوجدتهم مثل الدراويش الدوارين يتحدثون جميعا التركية ، ولم يكن منهم عربى واحد • وكان شيخ الطريقة العجوز من اليونان وكان عثمانيا خالصا ، أما الآخرون فكانوا تركا من اسطنبول ، والروميلي Roumelia وغيره من ولايات البلقان وقد حضر حلقة الذكر هذه مسلمون آخرون أيضا من القرم وآسيا الصغرى ، وكردى واحد من بغداد كان يضع فوق رأسه عمامة خضراء كبيرة •

واستأذنا فى الانصراف بعد فترة قصيرة وعدنا الى قصر النزهة ، وكان يتحتم أن نسرع لأنه كان علينا أن نحضر هذا اليوم – دون ملابس رسمية – غداء خاصا فى قصر الخديو ، وعدنا لقر اقامتنا سريعا بعد الغداء لأنه كان يتعين على الخديو أن يذهب مساء لمسجد الحسين لحضور احتفال دينى وكنا سعداء – بعد هذا اليوم الحافل المثير – أن نخلد للراحة •

وفى بكور اليوم الثالث من هذا الشهر ذهبت الى مقابر الخلفاء ، وحالما انتهى الطريق الذى لا تستطيع العربية ( الحنطور ) السير به ، وذلك عند آخر منزل فى الطريق – ركبنا حميرا فسارت بنا بين المقابر ، وسرعان ما وصلنا لسفح حيد مرتفع من حيود جبل المقطم ، وسلكنا الطريق نفسه الذى سلكناه من بضعة أسابيع خلت ، وتسلقنا الحيد ولم يمض وقت طويل حتى كنا رابضين فى مكمن ضيق غير ملائم •

وبعد ثلاث ساعات طوال مملة خالية من الأحداث. تماما ، ظهرت بعض الحداث ونسور الجيف ، وبمجرد أن بدأت تتناول وجبتها حتى سمعت صوت تحريك ثقيل لجناحي طائر كبير ، وفي الحال تشتت شمل الضيوف الأقل قيمة وحط نسر كبير ذو رأس بيضاء - وجناحاه لم ينضجا لبدته تماما - على ظهر جثة الحمار وشرع يتناول إلفطاره دون تأخير ، ولم أتوان بدورى لحظة واحدة فألقمته طلقة فانطرح وخرجت من كهفى زاحفا وحملت فوق كتفى غنيمتى الثقيلة وهبطت الجبل متجاوزا الصخور والحيود وأكوام الحجارة الى حيث الخدم والحمر فى انتظارى . وقبيل الظهر كنا فى قصر النزهة مرة أخرى .

وبعد الإفطار استرحنا قليلا ، وقررت أنا والدوق الكبير أن نزور حديقة شبرا فحملنا بنادقنا وركبنا أحد الحناطير الذى سار بنا فى حى شبرا الفاخر حتى أسوار الحديقة العالية . إنها حديقة واسعة مسورة وثمة قلعة بين الأشجار السامقة والشجيرات الكثيفة ، وهى محاطة بأحواض المياه والعرائش ( الشقائق ) وأحواض الزهور ، وثمة مساحة واسعة مخصصة لأعداد الطعام ، وثمة بساتين يرتقال داخل هذه الحديقة ، بل ان هناك مساحات مزروعة بالقمح الذى لم يصفر لونه بعد . وكانت البقع الندية الرطبة مزروعة بأسراب طيور البلشون ( مالك الحزين ) الرمادية ، بينما على أشجار الصنوبر التى تزين تلا صناعيا بالقرب من القلعة - تحط أعداد كبيرة - بشكل لا يصدق - من طيور البلشون البيضاء ممثلة الجسم plump aigrettes .

وعكزنا صفو هذه الطيور ، لكن كان علينا - للأسف - أن نغادر هذه الحديقة الفاتنة بسرعة بمجرد أن راحت أغصان أشجارها الهامسة تسبج فى الضوء الذهبى للشمس الغاربة - حتى نصل لقر اقامتنا فى ميعاد تناول العشاء . والقينا نظرة مشتاقة على حقول القمح المتوجة ، وكان من السهل أن استنتج أن هذه البقعة المحاطة بالأسوار ملائمة تماما لبعض الطرائد التى نبقى صيدها . وبعد ذلك بأيام قلائل أخذ ساورما بنصيحى ، فذهب للأصطياد فى حديقة شبرا هذه فقتل وشقا ونمسا .

وتناولنا عشاءنا عند وصولنا قصر النزهة مع الأخوين ساورما ، وكان ساورما الصغير والأمير تاكسيس Taxis قد عادا منذ يوم واحد فقط من زحلة طويلة مرهقة لجبال البحر الأحمر ليجثا - عبثا - عن الوعل ( التيس ) العربى .

وفي الرابع والعشرين من مارس خرجت مجموعتنا كاملة - مبكرا -  
الى طريق هليوبولس - الى آخر حدود المدينة حيث نصبت لنا خيمة  
مزدانة بالأعلام في الهواء الطلق .

### افتتاح مستشفى نمساوى :

وكان عدد من الناس قد تجمعوا هناك ، كما كانت الجالية النمساوية  
المجرية موجودة بأعداد كبيرة ، ذلك أننا كنا بصدد الاحتفال بوضع حجر  
الأساس للمستشفى النمساوى . وقد دبر كاتولى بك Catouli Bey  
- وهو تاجر يهودى ثرى يحظى بالحماية النمساوية - بسخاء كل الأموال  
اللازمة لهذا المشروع الطيب ، وقد حضر هو نفسه مرتديا الزى اليهودى  
القديم . وتم الاحتفال وسط ابتهاج الحاضرين بينما كانت تعزف الموسيقى  
السلام الوطنى ( النمساوى ) . لقد كان احتفالا وطنيا تمت وقائعه بعيدا  
عن وطننا الغالى فى ركن آخر من أركان المعمورة .

وبعد انتهاء الحفل عدنا مباشرة الى الخديو لاستئذانه وتقديم  
الشكر له ، وقد عاد بدوره بسرعة الى قصر النزهة ليصبحنا الى محطة  
السكك الحديدية . وغادرتنا قلعتنا فى حى شبرا ونحن نشعر بالأسف  
وسارت بنا الحافلة فى شوارع شبرا وقد غمر الحزن قلوبنا .

### مغادرة القاهرة :

ولما وصلنا محطة السكك الحديدية وجدنا كتيبة مشاة قد اصطفت  
أمامها لتحسينا بالسلاح بينما تعزف موسيقا نشيدنا الوطنى . وكان على  
درجات المحطة عدد كبير من مواطنينا مع المسئولين المصريين ، وبرجش  
باشا والأخوان ساورها والأمير تاكسيس . واستأذنا الخديو Viceroy  
الذى لاقينا منه رعاية لم تنقطع ، وكذلك ودعنا أصدقاءنا جميعا ، وتحرك  
القطار ببطء خارجا من المحطة . لقد شعرنا بغصة ونحن نلقى نظرتنا  
الأخيرة على مدينة الخلفاء الجميلة وعلى منحدرات المقطم والقلعة الشامخة  
والأهرام الساحرة . لقد كنا الآن بصدد مناطق جديدة وأراض أخرى .

لقد سار بنا القطر على الخط نفسه الذى سافرنا عليه منذ أيام  
قلائل ، ففي البداية مررنا بأرض زراعية ، وبعض المدن ، كثير منها له  
جاذبية تاريخية ، فعلى سبيل المثال - شبن القناطر ، وهى مدينة عربية  
حديثة ، بالقرب منها - فوق ما كان يسمى بتل اليهودية Tell el-Yehudiye  
كانت تقع مدينة محصنة فى القرنين الرابع عشر والثالث عشر قبل حقبتنا ،  
وكان فيها - زمن حكومة بطلميوس فيلوميتر Ptolemy Philometor



— معبد يهودى أقامه أونياس Onias كبير الكهنة ، لليهود المطرودين من فلسطين ، والى الأبعد تقع بلبيس Bilbés ( يلابس المصرية القديمة Pilabes ) ، وهى مدينة مشهورة — خاصة فى العصور الوسطى — اذ كانت مقرا للحكام العرب المنوط بهم ادارة منطقة شرق الدلتا . ثم أتت الزقازيق ، وهى مدينة واسعة معروفة بنشاطها التجارى واستقر فيها عدد كبير من أهل الشرق ( شرق أوروبا وتركيا والشام ) ، وبالقرب منها تل أثرى مهم هو تل بسطة Tel-Basta الذى احتفظ لقرون ببقايا معابد مدينة بوباستيس Bupastis ومنازلها ، وبوباستيس هذه مشهورة فى التاريخ القديم ( وتعنى بالمصرية القديمة بى — باست Pi-bast ، وتعنى مقر الربة باست Bast ، وبالعبدية Phi-beseth ) وكانت الربة باست تعبد هنا فى معبد واسع باهر . ولا تزال صور هذه الربة محفورة على الحجر والبرونز تستخرج من خرائب التل ، وتمثل الربة باست بامرأة شابة نحيلة تحمل احدى يديها صلاصل ( صاجات Sistrum ) وفى الأخرى سلة ، وليس لها رأس أنثى وانما رأس قطة ، فالقطط رمز مكرس لها . وتشير النقوش اليها — غالبا — على أنها الشكل المحلى للسلام والصحة للذين تجلبها الربة ايزيس .

والى الشرق من بوباست Bubastis ( التى كانت عاصمة لاقليم سسمى باسمها بوباستيتز Bubastites ) ، — كان يقع فى العصور القديمة النصف الجنوبى من ولاية شسبه الجزيرة العربية المجاورة the adjoining province of Arabia التى لا نعرف عنها سوى القليل فى الكتابات الكلاسية المتعلقة بالعصور القديمة . انها الأرض التى أشار اليها الكتاب المقدس باسم جوشن Goshen (\*) .

الخط الحديدى يعبر هذه المنطقة بخط مستقيم الى الشرق ، ويسير حذاء ترعة المياه العذبة فى وادى طميلات Tûmilat . وعند مدخل هذا الوادى — عند تل (أبو سليمان) Tell-abu-Soliman توجد بقايا مدينة Pithon أبو باتوموس Patumos التى أجبر فيها اليهود على العمل قبل الخروج ( من مصر ) . وفى الجزء الشرقى من الوادى — نحو بحيرة التمساح — وجد النصب التذكارى لرمسيس الثانى بالقرب من Mas-Chûta مع تماثيل أبى الهول ، وأحجار ذوات نقوش ، وبقايا مبان قديمة من القرميد . وقد عرف ليسيس Lesseps وأغلب الدارسين هذا الموقع باعتباره مدينة رمسيس التى أشار اليها الكتاب المقدس ، لذا فإن محطة السكك الحديدية تحمل اسم رمسيس .

(\*) ورد فى قاموس الكتاب المقدس الذى ألفته مجموعة من اللاهوتيين أن أرض

جوشن مدينة فى جبال يهوذا وهى قرية الظاهرية الحديثة — ( المترجم ) .

## الى السويس :

وبعد مغادرة الوادي Wadi ( الآنف ذكره ) يمر الخط الحديدي الى المحطة الأخيرة للاسماعيلية ، ويستمر الخط الحديدي جنوبا عبر الصحراء على طول الساحل الغربى للبحيرات المرة ، وهذه البحيرات : الشمالى منها والجنوبى تقدم للرأى منظرا شائقا بمياهها الزرقاء المتألقة ، والى الغرب منها جبل جنيفة Geneffe ذو الشكل المحدد الجميل حيث المهاجرا تزال تستخدم على نطاق واسع حتى أيامنا هذه - خاصة فى المواضع التى بها أحجار رخامية ، وأخيرا ألقينا نظرة على جبل عتاقة الدائن المهيبة ثم أخبرنا البحر اللزوردى اللامع كالمرآة أننا اقتربنا من ميناء السويس .

ان المرء ليدعش وهو داخل للمحطة بمنظر الميناء الخاصة بالسفن القادمة من مختلف البلاد . ان السويس التى وصلناها قبيل المساء مدينة لا طعم لها ولا أهمية ( لا شخصية ) ففنادقها البائسة ومساكن القناصل الخاصة - كل ذلك ليس له طابع خاص البتة وإنما على النسق الغربى تماما ، بل ان أرصفة الميناء العديدة وأبنيتها لا تؤكد جمال المدينة أو الميناء .

لا يجعل هذه المدينة شائقة سوى أهميتها التاريخية الفاتنة ، تلك الأهمية التى تنسحب بدورها على البحر الأحمر بمياهه الصافية وسطحه الهادئ وسواحله الجميلة رغم حزنها وكآبتها . وذهبنا سريعا لتناول طعامنا فى فندقنا فقد أرهقنا الرحلة الساخنة . لم يكن فى هذا الفندق الانجليزى المهمل سوى قليل من النزلاء : بعض رجال الأعمال الانجليز كانوا يستجمون قليلا من عناء السفر حتى يواصلوا رحلتهم التى يدعونها من الهند - الى أوروبا ، ومبشر تعس - لكنه مسل تماما - وهو ليفتتانت سكسوتى فى الاحتياط ومبشر فى آن واحد ، وقد رغب فى تحويل الأفريقيين فى المناطق الداخلية ( للمسيحية ) ، وكان مقتنعا من الناحية النظرية بأهمية مهمته وبأهمية المناطق التى سيبشر فيها ، لكن - من الناحية العملية - بدا الرجل تنقصه البراعة والخبرة ، والأهم من كل ذلك ، ينقصه المال ، وكان ينتظر فى الفندق بالسويس حتى تحين ظروف موافية . واستيقظنا مبكرا فى صباح الخامس والعشرين من شهر مارس وبعد أن أفطرننا على عجل غادرنا الفندق وقطعنا المدينة لنصل الى مرسى البواخر فى الميناء وانى مدين لصدىقى برجش باشا - العالم البارز - لوصفه الذى يدعو للاعجاب - لهذه الولاية ، ولا أجد أفضل من نقل جانب من خطابه الثرى بالملاحظات العلمية .

» فى الجانب الشمالى من المدينة يوجد تل صغير به آثار قديمة  
 - أسماء العرب تل القلزم Tell-Kolzum ، وهذا الاسم العربى يذكر  
 باسمه القديم Cylsma - وكانت توجد هنا فيما مضى قلعة محصنة  
 قوية لحماية الميناء . وبانتهاء القناة القديمة فقدت المدينة أهميتها لكن  
 ذكرها بقيت فى كتابات المؤلفين العرب الذين غالباً ما استخدموا مسمى  
 بحر القلزم ليشيروا لما هو معروف اليوم باسم خليج السويس . وزيارة  
 الميناء الحديثة بأشغالها وحواجزها ومخارجها وسدودها ذوات البوابات ،  
 وقنوات المياه العذبة ( الترغ ) - كل ذلك وحده يمكن أن يدلنا على الجهود  
 المبذولة اليوم فى مجال تطبيقات الهندسة الميكانيكية على المياه . ولما كان  
 غير المعروف أكثر جاذبية من المعروف ، والماضى - يثير الفضول أكثر من  
 الحاضر ، والموروثات المنقولة أكثر مدعاة للسرور والبهجة من الحقائق  
 التاريخية المؤكدة - لذا فإن الحجاج ( المسلمين ) يتلبثون على سواحل  
 البحر الأحمر مستغرقين فى أفكار ضاعت مع الزمن ولم يترك لها الزمن  
 فى التاريخ أثراً . فإين كانت البقعة من البحر ( الأحمر ) التى غرق فيها  
 فرعون وجيشه ؟ وأين الطريق التى قاد فيها موسى شعبه عبر الصحراء  
 الى جبل سيناء ؟ تلك هى الأسئلة التى تفرض نفسها على المسافر المسيحى  
 فى هذه الأرض . أسئلة عن الماضى والحاضر لا يمكن الاجابة عنها الا اجابة  
 احتمالية على نحو أو آخر .

والنقطة الوحيدة التى تساعد فى الاجابة على استفساراتهم هو موقع  
 آبار موسى (٢) فى الجانب الآسيوى لخليج السويس غير بعيد عن الساحل  
 فى واحة خصبة . وأكبر هذه الآبار قد أحيط بسور فأصبح كأنه خزان  
 ماء ، ويعتقد أنه هو بئر موسى الحقيقى الذى فجره صاحب الشريعة  
 اليهودية من الصخر والذى أحال مياهه المرة الى مياه عذبة بالقاء غصن  
 فيه .

وعندما تهبط الشمس غاربة فى المساء ملقية بأشعتها البرتقالية على  
 جبل عتاقة Ataka الشامخ ، وعندما يرسل البحر بين الساحلين الآسيوى  
 والأفريقى أمواجه الشفافة الزمردية لتصافح الساحل بحنان ، وعندما  
 تبهت الألوان ببطء ثم تضيق مندمجة فى اللون البنفسجى ، ثم فى  
 الزرقة ، ثم تلتشى فى سديم رمادى - عندئذ فإن صورة الطبيعة  
 البسيطة - والعظيمة فى آن ، تترك تأثيرها كاملاً ، فتستجيب لها الروح  
 استجابة تفوق الوصف ، يظل أثرها باقياً حتى بعد العودة لأوطاننا  
 الشمالية ، بمنظرها المختلفة وجمالها الطبيعى ، ذلك لأن المكوث طويلاً  
 وعميقاً فى الشرق يحرك القلب بأحاسيس مرتجة باعتباره الوطن الأصلى  
 ( الحقيقى ) .

فهنا - عند آبار موسى - نكون فى آسيا ، وهناك على الساحل المقابل لهذا البحر الضيق ، تقع أفريقيا • كيف لا تنهمر الفيوضات التاريخية على عقل الانسان عند رؤيته هذه المنطقة الرابطة بين قارتين ، كيف لا يعود الانسان بعقله الى عهود قديمة ، اننا نرى فى فجر التاريخ البشرى قبائل حام ( القبائل الحامية ) تبدأ من آسيا - مهد جنسنا الأوربي - وقد تملكها غريزة الهجرة ، فأتجهت غربا عبر جسر الأمم the bridge of Nations ، برزخ السويس Isthmus of Suez لتدخل القارة السوداء وتستقر فوق تربة مصر الخصبة مبحرة جنوبا فى النهر لتشيد المدن والدول ، ولتترك آثارا عظيمة دالة على وجودها •

« ويبدو أن منف كانت أقدم المراكز ( المحطات ) التى استقبلت الهجرات الآسيوية • فمن المناسب أن تسمى الأهرامات « حجارة تخوم العالم the boundary stones of the world » (\*) • ثم توالى آثار مصر الوسطى والعليا بعد ذلك تبعا لانتشار جنس الآباء الأول للمصريين نحو الجنوب - فى مصر الوسطى والعليا - حاملة أبلغ الشواهد على أقدم الحضارات التى أبدعها هذا الجنس أثناء توغله جنوبا حول ضفاف النيل ، وثمة هجرة حامية أخرى اختارت الطريق البحرى وأتت لمصر من سواحل فارس وشبه الجزيرة العربية ، ويقصد بهم الكوشيون Cushites ذوو الوجوه البنية المحمرة ، وهم الأثيوبيون فى الموروثات الكلاسيكية • انهم ملاحو العالم القديم • وعلى سواحل Araby the Blest فى أرض الصومال الحالية ، وفى الحبشة وفى وديان النوبة المثمرة أسسوا أوطانهم الجديدة ، وراحوا يتصارعون - بشكل دائم - مع الإجناس الزنجية التى كانت تسيطر على النيل ، وما تأخمه من أراض من أقصى الجنوب حتى أسوان •

وتقدمت جماعات الكوشيين من سواحل شبه الجزيرة العربية شمالا ، واستقرت فى أرض كنعان وعلى السواحل الشرقية للبحر المتوسط ، وكانت الجبيل ( بيبيلوس ) وصور ، وسيدون Sidon هى الأماكن الأولى التى استقر فيها هؤلاء المهاجرون الكوشيون أسلاف الفينيقيين ، وقد جعلوا منها موانئ ، أو مراكز ( محطات ) بحرية • وثمة مجموعة أخرى ، من جنس مشابه أتت بحرا ودخلت الخليج الفارسي واستقرت على شواطئ الفرات ، وسرعان ما أصبحوا هم القوى الحاكمة فى السهل العظيم الممتد بين دجلة والفرات • وأقدم السجلات عن هذه الهجرة ارتبطت باسم نمرود الصائد العظيم وابن كوش Cush الذى أسس

(\*) أو « الحجارة الحدودية للعالم » أو « حدود العالم » • الخ •

( المترجم ) •

– وفقا لمرويات الكتاب المقدس – مملكة قوية في الأجزاء الشمالية من المنطقة المشار إليها • ومرة أخرى كانت هناك قبائل كوشية غزت شرق الدلتا قادمة من شبه جزيرة العرب – قبل الميلاد بألفى سنة ، وأسست هناك امبراطورية الهكسوس • وطول خمسمائة سنة استطاعت هذه القبائل أن توطد لنفسها في الدلتا تحت حكم ملوك من جنسها وتابعت زحفها صوب الجنوب متتبعة مجرى النيل حتى طيبة ، ولم يهزموا الا بعد معارك حامية الوطيس شنها عليهم ملوك من الجنس المصري • وفى متحف بولاق مجموعة ترية من التماثيل التى تبين وجود الحكام الكوشيين فى مصر بشكل يدعو للعجب الشديد ، وتمكننا من دراسة خصائص هذا الجنس الكوشى الغازى • وبعد طرد الهكسوس شهدت شبه جزيرة السويس *The Peninsula of Suez* (\*) الجيوش المصرية تزحف شرقا لتنتقم من طغاة باشروا طغيانهم على مصر قرونا كثيرة • وتقدم الفراعنة المنتصرون الى بابل ونيينوى وقهروا – فى طريقهم – عديدا من القبائل والبلدان ، وحكموا – لأكثر من أربعمائة سنة – أعظم امبراطورية فى غرب آسيا وأقواها •

• ولحماية حدود مصر من الهجمات القادمة من الشرق تم انشاء الأسوار والتحصينات فى شبه جزيرة السويس ( كذا ) وبدأت هذه الأسوار وتلك التحصينات بالقرب من الفرما ( البوليزيوم ) – الى الشرق من بورسعيد الحالية – وحتى هليوبولس • وكان لابد من الحصول على إذن فرعون قبل أن يسمح لأى جنس سامى بتجاوز هذه التحصينات – خاصة زمن المجاعات – والوصول للمراعى الخصبة قرب بحيرة المنزلة • ورحلة يعقوب فى مصر تلقى الضوء على الخطوات الرسمية التى يجب اتخاذها للاستقرار فى هذا الجزء من الدلتا • وبانهيار قوى الفراعنة أصبح برزخ السويس *Isthmus of Suez* – خاصة فى جزئه الشمالى – مسرحا لتحركات مستمرة للقبائل ، فحدثت غارات ، ومعارك : معركة اثر معركة بالقرب من الفرما عند خط الدفاع الخارجى وعبرت الجيوش الأجنبية مستخدمة الفرع البلوزى ( الفرع الفارمى ) للنيل حتى وصلت هليوبولس ومقر الحكومة شديد التحصين فى منف •

وعندما سد الفرع البلوزى (٣) ( الفارمى ) للنيل بسبب سحب مياه البحر المتوسط من الساحل السورى ( ؟ كذا ) واهمال قنوات الرى وأعمال تنظيم المياه فى شرق الدلتا خلال أحلك فترات التاريخ المصرى ، تراجعت المنطقة وتدهورت بعد أن كانت حديقة الرب ، وأصبحت الحقول

(\*) كذا فى الأصل – ( المترجم ) •

والسهول - التي كانت يوما مزدهرة بالخضرة - صحارى غير مثمرة .  
ومياه الفيضان التي كانت تملأ الفرع البلوزى ( الفارمى ) للنيل - بشكل  
أساسى - قد تحولت الى الفرع الغربى ، وأصبح الفرع الكانوبى Canopic  
هو الفرع القوى ( الغنى بالمياه ) وشيدت الاسكندرية بالقرب من مصبه  
وأصبحت مركزا تجاريا مرموقا فى عهد البطالمة والرومان ومركزا للحياة  
العقلية فى الدين والفلسفة والآداب . وعادت أهميتها القديمة فى  
أيامنا . على الأقل فى ميدان التجارة . حقيقة ان طريق برزخ السويس  
Isthmus of Suez يعد شريانا أساسيا من شرايين المواصلات ، لكن  
ما يقال غالبا من أن بورسعيد ستحتل يوما ما مكانة الاسكندرية أمر غير  
قائم تماما رغم كل ذلك .

« فموقع الاسكندرية المناسب الى الغرب الذى يجعلها أسرع اتصلا  
بالموانئ الأوربية من بورسعيد ، وكذلك قربها من الأراضي الزراعية فى  
الدلتا ، وما تتمتع به من وجود سكك حديدية وما يصلها من ترع ،  
وما بها من أسواق بضائع وصرافة وما تقلمه بشكل عام من وسائل  
تجعل الحياة مريحة - كل ذلك يقنعنا - رغم كل الصعوبات فى مينائها -  
أنه يجب أن ننظر للاسكندرية كواحدة من أهم المدن التجارية فى مصر  
المستقبل .

ولا يمكن لبورسعيد أن تحتل مركزا مماثلا لمركز الاسكندرية  
الا اذا أصبحت قارة آسيا منافسة لأوروبا فى مضمار التجارة - وهذا أمر  
لا يمكن تصوره الا فى المستقبل البعيد . لقد اندرس برزخ السويس  
Isthmus of Suez تاريخيا ، وقبرت الصحراء آخر آثاره فى الرمال ،  
وطريق القنطرة لا تقلم اثارة خاصة ، فمن بورسعيد الى السويس  
تبدو القناة كخط مياه أزرق يقطع الصحراء ، فالصحراء تحيط بالقناة  
من الجانبين ، والبقعة الوحيدة التى تسترعى الانتباه معروفة باسمها  
القديم قنطرة الخزنة Kantara-el-Chazne الى الشمال من بركة  
البلاح Dattel lake . انها - أى قنطرة الخزنة - تعد بمثابة علامة تبدأ  
عندها طريق القوافل المصرية الى آسيا .

« وفى بواكير التاريخ المصرى كانت توجد فى هذه البقعة قلعة قوية  
على ضفتى القناة التى كانت تربط بحيرة المنزلة ببركة البلاح Dattel lake  
وتبين صورة من عصر الملك سيتى الأول Seti I ( والد رمسيس الثانى ،  
سيزوستريس ) على الجدار الخارجى الشمالى للمعبد العظيم لآمون فى  
الكرنك - بوضوح جسرا يصل من جانب الى جانب عبر هذه القناة الآنف  
ذكرها . وعند هذه النقطة بدأ ذلك الاقليم الشرقى الذى أطلق عليه  
المصريون اسم هزيان ( حزيان Hazion or Hazian ) الذى أسماه اليونانيون

Casium وأسماء الرومان Casion - وكان هذا الاسم يشير الى الجزء الجبلى من الصحراء بالقرب من بحيرة سيربونيس Serbonis (\*) (وهي الآن مجرد سبخة) ، وتتقدم هذه الجبال داخلة البحر المتوسط مشكلة قنة (بضم القاف وتشديد النون) ، وكان الضريح المقدس يقع هنا ، وكان مكرسا لحارس المنطقة زيوس كاسيوس Zeus Casius . وقد حرف العرب الاسم القديم Hazion فجعلوه خزنة Chazne وظل الاسم ممثلا في قنطرة الخزنة . وأخيرا ، يجب أن نلاحظ أن طريق الفلسطينيين القديم Way of Philistines كما سمي في الكتاب المقدس الذى سلكته جيوش فرعون وجيوش الغزاة الأجانب - من القنطرة الى فلسطين - يقع بين البحر المتوسط وبحيرة سربونيس ، الا أنه - مؤخرا وفى العصور الحديثة - جرى تفضيل الطريق الواقع الى الجنوب من البحيرة حيث طريق القوافل الصحراوى .

ولنعد الآن لمتابعة وقائع رحلتنا بعد أن استمتعنا بهذه الملاحظات القيمة التى قدمها واحد من أبرز علماء التاريخ المصريين .

### سيماء - عيون موسى :

لقد حملتنا الباهرة باخرة القناة المصرية فوق مياه البحر الأحمر الخضراء الجميلة الى الساحل العربى (\*\*) وتوقفت عند أقرب نقطة لعيون موسى ، وسرعان ما اتجهت مجموعتنا جميعا فى طريقها - عابرة الصحراء - الى هذه العيون ، فوق ظهور حير صغيرة ، لقد كانت هى المرة الاولى التى نطأ فيها الأرض الآسيوية (\*\*\*) . ان الصحراء العربية تختلف تماما عن الصحارى الافريقية ، فاللون الأبيض المتألق حل محل اللون البرتقالى بدرجاته المختلفة ، أنها جرداء تماما لا يقطع قحولتها سوى شجيرات هنا وهناك .

وعيون موسى التى وصلناها بعد نصف ساعة تقع وسط واحة صغيرة جدا ، وثمة حديقة يانعة حول العيون التى تنبجس من خفر على شكل أقماع ، وابتهجت عيوننا بالنخيل والشجيرات والحشائش الطويلة والنباتات العريضة أوراقها . وثمة أكواخ قليلة يقطنها بعض البدو الفقراء (٤) .

(\*) بحيرة البرديول الآن - ( المترجم )

(\*\*) المقصود سيماء - ( المترجم )

(\*\*\*) المقصود هنا سيماء كما يتضح من السياق - ( المترجم )

ولم أر - بالإضافة لطيور السنونو ( طيور الخطاف ) سوى سحلية وأعداد كبيرة من الحرباء تغير ألوانها فى كل لحظة ، وتتسم بالنحالة كأنها أوراق • وبدت آثار الضباع والذئاب وحيوانات ابن آوى مما يشير الى أن هذه الحيوانات ترد ماء العيون ليلا •

وكان البدو الذين رأيتهم عند العيون فى ثياب خلقة • ولبنادقهم البدائية ذوات الأحجار القداحة flint guns حبال طويلة ملفوفة حولها ، ويشعلون فيها - أى فى هذه الحبال - ويتركونها تشتعل حتى تصل النار الى البارود فى الخزنة ، ويجب أن ينتظر الصيادون البوساء لمدة دقائق ترقبا للحدث السعيد • وطلبنا منهم إطلاق بنادقهم فى حضورنا • انها أسلحة مريكة يختار المرء فى وصفها بسبب قلة شأنها وبدائيتها •

ويختلف هؤلاء الناس - كثيرا - فى مظهرهم عن البدو الحقيقيين • فقد بدوا فى عيني يهودا داكنى البشرة • كما أن قوام الواحد منهم وملامحه اسرائيلية تماما ، وإن كان يتحتم على المرء أن ينصرف عقله الى أنهم من ذرية هاجر Hager الذين خرجوا من صحراء شبه الجزيرة العربية ، وهم ذرية اسماعيل Ishmaelite المشهورون بالصييد والسلب ، وهذا ما ورد فى معظم أشكال المرويات الخرافية عن فجر التاريخ الشرقى ، وتجتل هذه الفكرة أهمية بالغة •

ومن فوق تل الجرد بالقرب من عيون موسى ألقينا نظرة من بعيد عبر الصحراء العربية البيضاء المتألقة بحيودها الصخرية وأوديتها - الى الجنوب حيث جبال سيناء المرتفعة ، والى الغرب - عبر البحر الأحمر - حيث جبل عتاقة فى أفريقيا ، كانت السحب الكثيفة فى السماء تضيئ على المشاهد شيئا من الجهامة •

وبعد فترة قصيرة عدنا للساحل وبحثنا لبعض الوقت عن الأصداف فى الرمال ، فالبحر الأحمر مشهور بشراء أصدافه وقد وجدنا فى غضون دقائق قليلة ما لا يحصى من الأصداف الجميلة • ليس لدينا وقت وعلينا أن نعود لبأخرتنا ، وبالفعل عدنا وتجاوزنا السويس ودخلنا القناة ، وهنا كما فى كل مكان ، وجدنا ضفتيها جرداوين ، وأفضل أن أترك برجش باشا - مرة أخرى - يحدثنا عن القناة فهو قادر على إثراء الحديث بأضفاء البعد التاريخى على المشاهد الرائعة •



## برزخ السويس - جسر الأمم :

« ان زيارة لجسر الأمم القديم الذى يفصل أفريقيا عن آسيا لا تعوض - اطلاقا - المسافر عن مشقته بمناظر ذوات جمال طبيعى تمر أمام عينيه ، وتدفعه للتوقف ، بل العكس هو الصحيح ، فالشعور بالجفاف يملأ الروح عند النظر للصحراء الجرداء المليئة بأكوام الرمال ترتفع فى وسطها كتل جبلية حمراء تبدو متناقضة مع السماء الزرقاء الصافية - بأشكالها ذات الشقوق والصدوع المحددة تحديدا حادا ، ولا شئ سوى الضوء الباهر والشفافية وتدرجات الألوان الواهنة بشكل مذهش ، تلك الظواهر التى تصبها شمس الشرق على الطبيعة فتجعل حتى للصحراء جاذبية شعرية تناجي الروح وتدعوها للإجابة وتغمرها بأفكار شاعرية غامضة ، لكن بحر النور واللون الذى يغمر أرض الصحراء بأواجه يدخل العين والعقل ، وان كانت النفس أيضا تتوق لأطفال الربيع الذين تخلوا عن مكانهم لعالم الضوء غير المحدود وتراجعوا خجلين الى الأرض السوداء حول ضفاف النيل . »

لقد وصف المؤلفون مصر - عن حق - بأنها هبة النيل . وقد أكدت البحوث الجيولوجية الحديثة وحدها هذا القول ، فبعد أن توغل النيل فى اتجاهه نحو الشمال خلال الجرانيت والحجر الرملى وكون الشلالات محتازا الجنادل فى أكثر المناطق صعبة ، نجده يدخل منطقة مكوناتها من حصى وبلور صخرى ، ويتخذ طريقه للبحر بعد أن يقطع مسافة طويلة ليصل لما نعرفه الآن بوادى النيل الخالص ( الحقيقى ) ، لقد كان البحر الى الشمال من القاهرة خليجا عريضا يمس بساحله الغربى الصحراء الليبية ، ويمس بساحله الشرقى الصحراء العربية . وأثبتت البحوث الجيولوجية الحديثة المعتمدة على بقايا الحياة الحيوانية والنباتية فى عصور ما قبل التاريخ فى تربة الصحراء خلال شق قناة السويس - بشكل قاطع - أن برزخ السويس كان فى يوم من الأيام نقطة التقاء البحر الأحمر بالبحر المتوسط ، فأمواج البحر المتوسط كانت تضرب فى فوهة القناة الشمالية التى صنعها هذا البحر نفسه ، بينما كانت أمواج البحر الأحمر تتوغل خلال الأجزاء المنخفضة من الصحراء العربية ( الشرقية ) فاتصلت رويدا رويدا بمياه البحر المتوسط ، وبذلك انفصلت آسيا عن أفريقيا بمسافة تبلغ حوالى سبعين ميلا .

وبمرور الزمن فان موج البحرين حمل معه بالضرورة رمالا ( جرف معه رمالا ) فتكون - شيئا فشيئا - كثيب رملى سرعان ما أصبح جسرا ( حاجزا ) متينا ، وهذا الجسر الذى يقع فى منتصف البرزخ أو الى الشمال

من المنتصف قليلا ، يرتفع الآن لحوالى ستة عشر مترا ، وهو معروف بالفعل باسم الجسر El-Gisr .

« وهذا الجسر هو أعلى نقطة فى المسار ( فى الخط ) الذى نصفه - وكان هو الرابط البحرى الوحيد الذى كان يمكن عن طريقه عبور ما يعرف الآن ببرزخ السويس ، ويجب أن نفترض أن دلتا النيل كانت تتكون فى الوقت نفسه الذى كان فيه هذا الجسر يتكون ، فالطمي المجلوب عاما بعد عام مع فيضان النيل نتج عنه فى المقام الأول تكوين الأرض الزراعية فى مصر العليا . وبالطريقة نفسها كونت الارسابات فى حوض عريض بين الصحراء الليبية ( الغربية ) والعربية ( الشرقية ) وامتد هذا الحوض شمالا حتى المدى الذى وصل اليه الآن ، فالدلتا هى - بالمعنى الحرفى - هبة النيل حيث كانت المياه تمر فيها من خلال ثلاثة فروع رئيسية وخمسة أصغر منها - وكلها كانت تتخذ مجراها الى البحر المتوسط ، لكن الأمواج المعاكسة للبحر المتوسط ( الأمواج المناهضة لتدفق مياه نهر النيل ) والمنحرفة نتيجة اصطدامها بالساحل السورى منعت تكوين تربة زراعية على الساحل الشرقى للدلتا ، واختلطت أمواج البحر بالمياه المتدفقة من مصاب النيل وشكلت حوضا كبيرا من المياه الضحلة التى تضم جزرا كثيرة امتدت من دمياط الى بورسعيد ، وهذا الحوض يحمل الآن اسما شاملا هو بحيرة المنزلة . ومياه هذه البحيرات ( التى أطلق عليها مؤخرا اسم بحيرة المنزلة ) كانت متصلة من الجنوب ببخيرة البلاح حيث يقع الى الجنوب منها « الجسر » الذى تحدثنا عنه آنفا ، أما مياه البحر الأحمر فغذت حوض مياه البحيرة التالية وهى بحيرة التمساح ( بركة التمساح ) والبحيرات المرة التى كانت مرتبطة ارتباطا مباشرا بخليج السويس عن طريق قناة عرفت بذيل التمساح ، لا غرابة إذن فى أن مواضع هذه البحيرات بين البحرين الأبيض والأحمر بالقرب من النيل ، قد أيقظت فكرة ربط هذه البحيرات بقنساء مع النيل - وذلك فى فترة باكرة من حقبة التاريخ المصرى ، فاذا ما تم هذا الربط ارتبط البحر المتوسط بالأحمر .

ووفقا للمرويات الكلاسية فان رمسيس الثانى ( وهو سيزوستريس - سيزتورا كما تشير النقوش ) كان أول ملك يأمر بشق قناة ملاحية من الفرع البلوزى ( الفارمى ) للنيل الى بحيرة التمساح مستغلا الانخفاض الطبيعى لوادى طميلات ( Tumilat ) . وبقايا المدن والآثار المندرسة والتى تحمل اسم هذا الملك لاتدع مجالا للتشكك فى وجود هذه القناة ، وفى زمن متأخر بدا أن هذه القناة قد انطمرت وظلت جافة حتى سنة ٦٠٠ قبل الميلاد عندما قام الملك نخاو Necho بوضع خطة لاعادة ربط النيل بالبحر الأحمر ، وعلى أية حال فقد توقف مشروعه ( الذى فنى فيه

١٢٠٠ ر.ع ( عامل مصرى ) بسبب وحي الهى لأحد الكهنة يحذر نخاو من .  
 أنه - بمشروعه هذا - لا يعمل الا لخدمة البرابرة أو الغزاة الأجانب .  
 وبعد مئات السنين من عصر نخاو لم يخش الملك الفارسى قمبيز والملك  
 الفارسى داريا ( داريوس Darius ) من مثل هذه النبوءات التحذيرية -  
 فأكملا الربط بين النيل والبحر الأحمر ، وبقايا هذه القناة تم اكتشافها  
 فى أيامنا هذه فى منطقة البرزخ ، وقد وجدت هذه البقايا الى جوار مبان  
 تحمل نقوشا فارسية تحدد ثلاث محطات على طول خط الماء الطويل الذى  
 يصل بين بحيرة التمساح وخليج السويس . وثمة توسيع وتطوير فى  
 نظم القنوات هذا تم تحت حكم البطلمة ! اذ تم انشاء قناة فرعية من  
 فاكوسا Phakusa ( فاقوس الحالية ) على الفرع البلوزى للنيل  
 الى بحيرة المنزلة وبهذه الطريقة أمكن الوصول لبحيرة البلاح التى كانت  
 تتصل بمورها ببحيرة التمساح والبحيرات المرة ، وبهذه الطريقة اتصل  
 البحران المتوسط والأحمر عند أقرب مسافة بينهما ، وأصبح هذا الطريق  
 المائى ، فى ذلك الوقت - ذا قيمة لا مزيد عليها للتجارة العالمية .  
 وقد تدهورت هذه القنوات تحت حكم الرومان حتى جاء عمرو ( بن العاص )  
 القائل المشهور فى عهد الخليفة عمر بن الخطاب فعمل على إعادة الطريق  
 المائى الرابط القديم فربط القاهرة بالسويس عن طريق قناة ، وفى  
 القرن الثامن للميلاد لم تعد هذه القناة صالحة للملاحة ، وفى سنة ١٦٧١  
 قدم ليبنتز Leibnitz خطة للسويس الرابع عشر تبين أهمية ربط  
 البحرين ، لكن اقتراحه لم يلق أذنا صاغية ، ولما قام الجنرال بوناپرت  
 بحملته الشهيرة على مصر لم تفلت منه فكرة ربط البحرين لكن مشروعه  
 فشل بسبب الحسابات الخاطئة التى وقع فيها المهندس ليبير Lepère  
 والتى مؤداها أن مستوى البحر الأحمر أكثر ارتفاعا من مستوى  
 البحر المتوسط بعدة أمتار تبلغ ٩٩٠٨ أمتار ، وبهذا أصبح وصل البحرين  
 أمرا غير ممكن وأخيرا فى الأربعينات من هذا القرن التاسع عشر بينت  
 القياسات الدقيقة الخطأ الكبير الذى وقع فيه ليبير . وبعد أن حصل  
 ليسبس Lesseps من سعيد باشا على امتياز حفر قناة السويس ،  
 بدأ العمل الشاق سنة ١٨٥٨ وفى ١٦ نوفمبر ١٨٦٩ تم افتتاح القناة  
 فى احتفال تجلت فيه مظاهر الفخامة والاسراف ، وقد فاقت تكاليف انشاء  
 القناة ١٩ مليون جنيه استرلينى .

وكان من المستلزمات الضرورية للعمل فى القناة شق ترعة للمياه  
 العذبة لامتداد عمال القناة بماء الشرب ، ومد بورسعيد بالماء أيضا بعد  
 ذلك . فتم شق ترعة تبدأ من قرب قصر النيسل لتخرج من النيل فى  
 خط مستقيم الى هليوبولس ثم تتجه شمالا بشرق ، وتم شق وادى طوميلات

وأخيرا شهد الساحل الغربى لبحيرة التمساح والبحيرات المرة لتواصل  
الترعة مسيرتها الى السويس » .

### لقاء دى ليسبس العجوز :

ونتهى الآن هذه الملاحظات الشائقة التى أرسلها لى صديقى ،  
ولنعد للقناة وسفينتنا البخارية الفرنسية ، فسرعان ما وصلنا الى البحيرات  
المرة وكان منظرها جذابا بشكل لا ينكر ، فالتناقض بين اللون الأزرق  
الداكن والصحراء البيضاء اللامعة لا يمكن الا أن يجذب انتباه المسافرين .  
وفى مضيق بين البحيرات المرة وبحيرة التمساح لاحظنا واحدا من حيوانات  
ابن آوى بالقرب من شاطئ القناة يبحث عن أصداق الأسماك ، فأطلقنا  
عليه عدة طلقات من بنادقنا ، لكنها كانت طلقات طائشة ، وبالقرب من  
مياه بحيرة التمساح العميقة زرقتها استمتعنا - مرة أخرى - ببهاء الشمس  
الأفريقية .

وبدت منازل الاسماعيلية على الساحل الرملى الى الشمال ، وسرعان  
ما وصلت باخرتنا للرصيف الفرنسى الفاخر ، وكان فى انتظارنا  
مستر ليسبس المنشئ المشهور لهذا المشروع العملاق الذى وصل  
البحرين ، وكان معه ابنه وعدد من موظفى الشركة الفرنسية ، وكنت  
سعيدا جدا أن أتعرف بهذا الرجل العجوز الذى لازال نشطا شغوبا  
بالعمل لا يعرف التراجع ولا ينثنى له عود . وقد ذهب بنسا الى منزله  
الريفى المحاط بحديقة صغيرة ، واستقبلتنا هناك زوجة ابنه الجميلة وهى  
يونانية قاهرية من أسرة سينادينو Sinadino الثرية ، وكان حاضرا  
أيضا أخوها وهو شاب ظريف ، وسيدة انجليزية ، وسرعان ما تناولنا  
عشاءنا عقب وصولنا وقضينا المساء فى حوارات اجتماعية ممتعة ، وبدأنا  
صباح اليوم التالى ، مبكرا جدا - وكان السيد ليسبس على رأسنا -  
فركبنا القطار لمسافة قصيرة الى محطة مقسمة Maksama ، فتوقفنا ،  
لكننا وجدنا صعوبة فى اخراج خيولنا العديدة من القطار ، اذ راحت  
تصهل وتندفع فضاغ منا وقت كثير فى التجهيز لرحلة الصيد ، وكانت  
قبيلة بدوية قد ضربت خيامها بالقرب من المحطة وعند وصولنا خرج  
هؤلاء الرجال الرائعون من خيامهم وأقبلوا إلينا على خيولهم وجمالهم ،  
وفى مقدمتهم شيخهم يمتطي صهوة فرس كستنائى رائع .

لقد أحسن السيد ليسبس بدعوة هذه القبيلة - المشهورة بمهارتها  
فى المطاردة - لتكون بالقرب من الاسماعيلية حتى نتمكن من رؤية البدو  
يصطادون غزلانا . كان الشيخ فى المقدمة يرتدى عباءة بيضاء خالصة ،  
. وكان سرج فرسه جميلا ، وقد ثبت شيتا معقوبا حول خاصرته ، ووقف

على يده ذات القفاز صقر نبيل حول رأسه غطاء لامع • وتبعه جمع من البدو راجلين أو راكبين جمالا أو خيولا وكانوا مسلحين ببنادق طوال وسيوف معقوفة وخناجر ، وكانوا جميعا يلبسون ثيابا بيضا • كانت وجوههم بنية ومعبرة جدا ، وكان يتبع السادة منهم كلاب آسيوية ، ومعهم بعض الصقور المختلفة لكنها ليست من النوع الممتاز نفسه الذى مع شيخهم •

والقبيلة التى معنا الآن تتحرك خلال الصحراء ، غير بعيد عن الخط الحديدى ، وأصبح تجوالها فى أفريقيا ( مصر ) منذ فترة ، لكنها قبيلة عربية خالصة من شبه الجزيرة العربية ويمكن للمرء استنتاج ذلك بسهولة من خلال ملاحظة خيولها النubile و ثراء دروع الرجال وثيابهم ، لقد ركبنا - مشكلين صفا طويلا غير متسلح - خيل وديان الصحراء ومسيلاتها الجافة • لقد كنا نقصد صيد الغزلان فحسب فاذا بنا نرى أيضا الأرناب البرية •

وظلت جهودنا - طوال ساعتين - بغير نتائج ، وبدأ البدو يتقدمون - وقد نفد صبرهم - لتوسيع دائرة البحث عن الغزلان وقد اكتشف أحد هؤلاء البدو غزالا خارجا من بعض الشجيرات الكثيفة ، فجمع البدو بغير نظام يطاردون هذا الغزال وأطلقت الكلاب وأحاط راكبو الخيول بالغزال من كل جانب حتى لا تجد سبيلا للهروب ، فراح تدور خائفة تلبسها الرعب حول الخيول ، فوضع أحد البدو نهاية سريعة للمطاردة فاطلق بنلقيته اثرها بينما كان منطلقا بسرعة ، فهوى الغزال فى لحظة •

وأعقب ذلك محاولة لصيد الأرناب الصحراوية ، ولأن الحرارة كانت شديدة جدا كما أن فرصنا فى الفوز بهذه الحيوانات كانت قليلة - فقد اتخذنا طريقنا عائدين لمحطة السكة الحديد • ولكي يستعرض الشيخ مهارة الصقر ، فقد تركه يطير ليقتنص حمامة سرعان ما هوت بعد ثوان قليلة متأثرة بمخالبه القوية •

ووصلنا سريعا للمحطة وتناولنا افطارا متواضعا فى المركبات، وبعدها غاد بعض الرفاق للاسماعيلية ، بينما صخبني الآخرون فى باخرة صغيرة فى نزهة قصيرة فى ترعة المياه العذبة ، وتوقفنا عند منزل عتيق مهتم وعبرنا الكثبان الرملية الى قطاع سبخى تحيطه الصحراء غير بعيدة عنه ، ويمتد هذا القطاع السبخى موازيا للترعة حتى بحيرة التمساح فى موضع غير بعيد عن الاسماعيلية •

وقادنا رجل فرنسى ظريف ، كما أنه رياضى متحمس - فى هذه المنطقة السبخة التى سبق له ممارسة الصيد - بنجاح - فيها ، وفى بداية

السبخة وجدنا طيور التغلق الأفريقية الذهبية الجميلة والتي لم نرها من قبل ، وقد اصطدنا منها عددا كبيرا في دقائق قليلة . وفي الأراضي التي تزداد فيها الروية والماء وجدنا كثيرا من الشناقب وأنواعا عديدة من الحيوانات الصغيرة سواء حيوانات الماء أو حيوانات السبخات ، كما رأينا أيضا عددا من البط وطيور الزقزاق ذوات الشوكات في أرجلها ، وحطت طيور السمان بين الحشائش الطوال ، وكان الجراد أيضا كثيرا جدا لم أر أبدا أكبر حجما منه ، وطار هذا الجراد محدنا طينا عاليا يسمع من بعيد نسيبا ، ولكي أتفحص جرادة منها كنت مضطرا لاطلاق بندقيتي عليها كما لو كنت أطلقها على واحد من طيور السمان . انها طليقة غريبة حقا !

وفي واد ضيق تحيطه الصحراء كانت الشمس تحرق أبداننا بشك من مرعب جالبة البخر النتن من السبخة ، وبعد عدة ساعات من الصيد المرهق ، عدنا محملين بكثير مما اصطدناه - الى سرعة المياه العذبة وركبنا - مرة أخرى - باخرتنا التي عادت بنا سريعا الى الاسماعيليه ، فتناولنا عشاءنا على ظهر احدى البواخر الفرنسية بناء على رغبة ليسبس بدلا من تناوله في بيته ، وخذلنا للراحة مبكرا .

وفي صباح اليوم التالى ذهبنا جميعا لكنيسة صغيرة - لكنها جميلة - حيث كان الفرنسيون يقيمون القداس لكل الجالية الفرنسية هنا ثم صحبنا ليسبس فى جولة فى شوارع وحدائق هذه المدينة الفرنسية الصغيرة ، وأطلعنا الرجل العجوز ( ليسبس ) بفخر واضح على كل ما أذهجه فى هذه الصحراء الجدياء ، انه عمل يبدو كأنه تم بسحر ساحر .

وحان وقت الرحيل فاستأذنا - على المحطة - من الكونت ليسبس والهر زمرمان الذى حباننا بفضله خلال كل رحلتنا - أثناء استخدامنا القطارات - فى مصر ، وتحركت الباخرة ، وكان بصحبتنا م . ليسبس الشاب وزوجته وبعض الفرنسيين . كانت الرحلة سريعة ، تخللها حوار جذاب وشائق فطغت خصوصيته على المشاهد القاحلة .

وأطلقت بندقيتى على بعض طيور الكروان ونسر من نسور الجيف ، من فوق ظهر السفينة ، وفى المناطق الضحلة ببيرة المنزلة وجدت آلافا من البجع وطيور البشرس تتالق بالحمرة التى ألتها عليها أشعة الشمس .

## مقادرة مصر :

وفى بورسعيد استقبلتنا الجالية النمساوية البلغارية استقبالا حافلا ، ووصلنا فى القوارب الى سفينتنا ميرامار ، وما هى الا دقائق حتى كنا على ظهر سفينتنا الطيبة ، وعزف سلامنا الوطنى ، ومدينة بورسعيد مدينة أوروبية تماما ، فميناؤها الواسعة ومباني القناة ، وأحواض السفن والورش والسفن - كل هذا له طابع أوروبى تماما .

وتناولنا عشاءنا - متأخرا - فوق ظهر ميرامار ودعونا اليه عبد القادر باشا وبعض الفرنسيين ، وعندما حل الظلام زينت جاليتنا المقيمة هنا الميناء وعددا من القوارب بأضاءة جميلة وراحت قوارب بهيجة مضائة مزودة بفرق موسيقية تدور حول ميرامار ، مصدرة ألعاب الألحان ، وشاهدنا ألعابا نارية على البر .

وحان وقت الرحيل سريعا فغادر ضيوفنا ميرامار ، وكذلك عبد القادر باشا . لقد تعلمنا أن نقدر هذا الرجل ونحترمه فقد كان مرافقا مخلصا وصديقا حقيقيا .

لقد أمضينا أياما عظيمة لا يمكن أن تنسى فى أفريقيا ، وحملنا معنا انطباعات عن عظمة هذه القارة السوداء ، وعن حضارة مصر القديمة المتألقة من قبور مضى عليها آلاف السنين . انها حضارة عظيمة لكنها تلاحشت .

\*\*\*

## تعليقات المترجم على الفصل السادس

(١) بئر يوسف ( الحزون ) ، وقد حفرته بداخل القلعة وخلف مسجد الناصر محمد بن قلاوون بئر للامانة من مائها اذا قدر للقلعة ان يحاصرها عدو وهى البئر المعروفة بالحزون ويبلغ عمقها تسعين مترا ، وتستخرج المياه منها بواسطة سواق وهى من عجائب البنين ؛ لأنها محفورة فى الصخر ويستطرد الأستاذ حسن عبد الوهاب قائلا : « وانى أرجح أن تلك البئر تسبق عصر صلاح الدين خصوصا وأنها خارج أسواره ، أما مياه النيل العذبة فقد كانت تصل الى القلعة فى عهد صلاح الدين ويعدده بواسطة قناة على ظهر سور صلاح الدين . اعتمد من الفسطاط الى القلعة والموجودة بقاياها الآن ، »

(٢) يتحدث جـ مونيخ ( من علماء الحملة الفرنسية ) عن عيون موسى قائلا أنها ٥٠٠٠ تكاد تكون مواجهة لوادى التيه ٥٠ ومنقع فى خطأ اذا قلنا ان اسم هذه الينابيع يستمد أصوله من العصور المصرية الضاربة فى القدم ، وأنه قد ظل يستخدم بلا انقطاع حتى اليوم ، ذلك ان اسم هذه الينابيع شأنها شأن عين العذراء فى المطرية ( هليوبوليس القديمة ) وشأن عيون غيرها كثيرات لا يعود الى ما قبل استقرار المسيحية فى مصر ، حيث تحولت أسماء قديمة تتصل بديانة تزعزعت مكانتها الى أسماء أخرى مشابهة فى المعتقدات الجديدة . وعلى الرغم من أن عيون موسى أقل ملوحة من مياه إبار كثيرة حفرت فى مناطق أخرى فى الصحراء فانها مع ذلك مائلة للملوحة ٥٠٠٠ ؛ وصف مصر ، ج ٢ صص ٨١ - ٨٥ .

(٣) وجدنا من الضروري أن نشير - بالتفصيل - لغروع النيل القديمة . لكثرة الإشارة إليها فى هذه الرحلة . وعمدنا الى جعل هذه الحاشية مفصلة قدر الامكان حتى لا يقطع التجزئ استطرادها . على أن نحيل القارئ لهذه الحاشية نفسها اذا استلزم الأمر الاحالة اليها بعد ذلك .

فى العصور القديمة كان للنيل سبعة مصبات على الأقل ، وقد تقلص هذا العدد كما هو معروف الى اثنين فقط الآن ، ومن المؤكد فيما يقول الباحث الفرنسى دى بوا - أن البلتا قد تضاعفت مساحتها حتى لا تكاد تبلغ مساحة الدلتا القديمة ، على أية حال فهذه الأفرع هى :

- ١ - الفرع البليوزى أو فرع بوباسطة .
- ٢ - الفرع الثانيسى وهو الذى يحمل اليوم اسم ترعة أم فارح .
- ٣ - الفرع المنديسى أو فرع الدبية .
- ٤ - الفرع البيلنتينى وهو فرع دسباط الحالى .
- ٥ - الفرع المبتينى وهو فرع البرلس .
- ٦ - الفرع البولبيتينى وهو فرع رشيد .
- ٧ - الفرع الكانوى أو فرع أبى قير .



وكان الفرع البيبلوزى ( شرق الدلتا ) صالحا للملاحة عندما توغل الاسكندر الاكبر فى مصر فقد أدخل فى هذا الفرع اسطوله الذى استدعاه من غزة لكن الرمال تسد اليوم هذا الفرع ولا تزال ترى حتى أيام الحملة الفرنسية عند بيلوز ( بالوظة ) قفصته التى كانت تؤدى الى البحر وهى مليئة بالطين ، وأثار هذا الفرع كانت لا تزال واضحة أيام الحملة الفرنسية الى الشمال من بلييس عند قرية بسطة التى كانت تعرف قديما باسم بوياسطة ، أما الفرعان الثانى والثانى ( الى الغرب من فرع البيبلوزى - وكلها شرق الدلتا ) فكانا يصبان فى مكان تشغله بحيرة المنزلة وكان يسمى فيما مضى تيس - ويميل مالو ( أحد علماء الحملة الفرنسية ) الى أن التربة المعروفة باسم بحر مويس هى الفرع الثانى للنيل وأن الرمال سدت جزءه الأدنى وبالتالي عاقته عن الوصول للبحر المتوسط ( عن طريق بحيرة المنزلة ) •

وكان الفرعان البيبلوزى ( شرق الدلتا ) والكانوبى ( غرب الدلتا ) يشكلان قمة الدلتا ويحدها من ناحية الشرق والغرب •

وصف مصر ، ج ٢ ( المدن والأقاليم المصرية ) انظر ص ٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٣٧٢ - ٤٢٠ •

(٤) يتحدث الأرشيدوق كثيرا عن العرب فى مصر ، فيقول : قايلت عربيا ، وقال العرب ، وسكان عرب ٠٠٠ الخ وقد يتبادر الى الذهن أنه يقصد بدو الصحراء وهذا غير صحيح دائما ، فالواقع أن عرب الجزيرة الذين قدموا الى مصر مع عمرو بن العاص ، والذين كانوا فى مصر قبل عمرو ، قد تحول عدد كبير منهم بالتدريج الى سكناى الوادى والدلتا ، وعرفوا فى التاريخ الاسلامى باسم العرب المزارعة واستمرت عملية تحضرهم واستقرارهم مستمرة ربما حتى الآن ، ويحدثنا كتاب الحملة الفرنسية عن العريان الذين كانوا مازالوا - وقت الحملة - فى حالة بدو وأولئك الذين استقروا وعملوا فى مجال الزراعة وغيرها ، ونفضل أن نورد هنا بعض ما ذكره دى بوا أحد علماء الحملة الفرنسية فى دراسة القبائل العربية فى صحراوات مصر - ( ترجمة زهير الشايب ، ج ٢ من وصف مصر ) : « حقيقة الأمر أن صحارى مصر أهلة ، يسكنها رجال ضخم شداد يسمون بالعريان البدو وهؤلاء يتجولون بينما هم ينقسمون الى عائلات ٠٠ ، ويماكنهم الاعتماد تماما على قطعانهم لكن الحرب والسلب يقدمان لهم مصادر أخرى للمعيشة ويشاهد المراه يحومون حول الوادى والدلتا ) كانتهم ذئاب جائعة ، وإن كان العريان يسعون فى بعض الأحيان • للحصول على اذن من الحكام للإقامة فى المناطق الخصبة وفى أحيان أخرى يستقرون عتوة فى مناطق خصبة ٠٠٠ ومع هذا فهناك بعض القبائل التى لا تلبط طبايعها بفعل سلام طويل • وانتهى بها الأمر أن هجرت الصحراء وانتشرت داخل مصر وانتقلت بشكل تدريجى من حياة البدو لحياة الزراعة ، والمثل الواضح فى الصعيد على ذلك قبيلة الهوارة وأصبحوا من ثروة الملك ، وفقدوا تدريجيا عاداتهم الرعوية ٠٠٠ وتحول حبهم الطاغى للحرية الى حب للوطن ٠٠٠ ، من ص ٢٦٢-٢٦٦ •



## اقرأ في هذه السلسلة

برتراند رسل	احلام الاعلام وقصص اخرى
ي . رادونسكايا	الاكترونيات والحياة الحديثة
الدين هكسلي	نقطة مقابل نقطة
ت . و . قريمان	الجغرافيا في مائة عام
رايموند وليامز	الثقافة والمجتمع
ر . ج . فوريس	تاريخ العلم والتكنولوجيا ( ٢ ج )
ليستريدل راي	الأرض الخامسة
والتر الن	الرواية الانجليزية
لويس فارجاس	المشهد الى فن المسرح
فرانسوا دوما	آلهة مصر
د . قدرى حفى وآخرون	الانسان المصرى على الشاشة
أولج فولكف	القاهرة مدينة الف ليلة وليلة
هاشم النحاس	الهوية القومية فى السينما العربية
ديفيد وليام ماكسوال	مجموعات اللقود
عزيز الشوان	الموسيقى - تعبير نفسى - ومنطق
د . محسن جاسم الموسوى	عصر الرواية - مقال فى النوع الادبى
اشراف س . بى . كوكس	ديلان توماس
جون لويس	الانسان ذلك الكائن الفريد
جول ويست	الرواية الحديثة
د . عبد المعطى شعراوى	المسرح المصرى المعاصر
انور المعداوى	على محمود طه
بيل شول وأدبنيث	القوة النفسية للأهرام
د . صفاء خلوصى	فن الترجمة
رالف ئى ماتلو	تولستوى
فيكتور برومبير	سنتدال

- رسائل واحاديث من المنفى  
الجزء والكل ( محاورات في مضمار  
الفيزياء الذرية )
- التراث الغامض ماركس والماركسيون  
فن الادب الروائي عند تولستوى  
ادب الاطفال
- احمد حسن الزيات  
اعلام العرب في الكيمياء  
فكرة المسرح
- الجحيم  
صنع القرار السياسى  
التطور الحضارى للانسان
- هل نستطيع تعليم الاخلاق للأطفال ؟  
تربية الدواجن  
الموتى وعالمهم في مصر القديمة
- التحصيل والطب  
سبع معارك فاصلة في العصور الوسطى  
سياسة الولايات المتحدة الأمريكية ازا-
- مصر ١٨٣٠ - ١٩١٤  
كيف تعيش ٣٦٥ يوما في السنة  
الصحافة
- اثر الكوميديا الالهية لدانتى في الفن  
التشكيلى  
الادب الروسى قبل الثورة البلشفية
- وبعدها  
حركة عدم الانحياز في عالم متغير  
الفكر الاوروبى الحديث ( ٤ ج )
- الفن التشكيلى المعاصر في الوطن العربى  
١٨٨٥ - ١٩٨٥  
التمشئة الاسرية والابناء الصغار
- نيكتور هوجو  
فيرنز هيزنبرج
- سدنى هوك  
ف ٠ ع ٠ ادنيكوف  
هادى نعمان الهيتى
- د ٠ نعمة رحيم العزاوى  
د ٠ قاضل احمد الطائى  
جلال العشرى
- هنرى باربوس  
السيد عليوة  
جاكوب برونوفسكى
- د ٠ روجر ستروجان  
كاتى ثير  
ا ٠ سينسر
- د ٠ ناعوم بيتروفيتش  
جوزيف داهموس
- د ٠ لينوار تشامبرز رايت  
د ٠ جون شندلر  
بيير اليبير
- الدكتور غبريال وهبة  
د ٠ رمسيس عوض  
د ٠ محمد نعمان جلال
- فرانكلين ل ٠ باومر  
شوكت الربيعى  
د ٠ محبى الدين احمد حسن

تأليف : ج . دادلى اندرو

جوزيف كونراد

د . جوهان دورشز

مجموعة من العلماء الأمريكيين

د . السيد عليوة

د . مصطفى عناني

صبري الفضل

فراكتلين ل . باومر

جاوريسيل باير

انطوني دي كرميني

دايت سوين

زافيلسكي ف . سي

ابراهيم القرضاري

بيتر رداي

جوزيف داموس

س . م . پورا

د . عاصم محمد رزق

رونالد د . سمبسون

ونورمان د . اندرسون

د . اثور عيد الملك

والث روستو

فرد . س . هيس

جون يوركهارت

الان كامبيار

سامي عبد المعطي

فريد مويل

شاندراماسينج

حسين حلمي المهندس

روي روبرتسون

دوركاس ماكلينتوك

هاشم النحاس

نظريات الفيلم الكبرى

مختارات من الادب القصصى

الحياة فى الكون كيف نشأت وأين توجد؟

حرب الفضاء

ادارة الصراعات الدولية

الميكروكمبيوتر

مختارات من الادب اليابانى

الفكر الاوروبى الحديث ٢ ج

تاريخ ملكية الاراضى فى مصر الحديثة

اعلام الفلسفة السياسية المعاصرة

كتابة السيناريو للسينما

الزمن وقياسه

اجهزة تكيف الهواء

الخدمة الاجتماعية والانضباط الاجتماعى

سبعة مؤرخين فى العمود الوسطى

التجربة اليونانية

مراكز الصناعة فى مصر الإسلامية

العلم والطلاب والمدارس

الشارع المصرى والفكر

حوار حول التنمية الاقتصادية

تبسيط الكيمياء

المعادن والتقاليد المصرية

التذوق السينمائى

التخطيط السياحي

البذور الكونية

دراما الشاشة ( ٢ ج )

الهويين والايديز

صور افريقية

نجيب محفوظ على الشاشة

- الكمبيوتر في مجالات الحياة  
المخدرات حقائق اجتماعية ونفسية  
وظائف الأعضاء من الألف الى الياء  
الهندسة الوراثية  
تربية أسماك الزينة  
كتب غيرت الفكر الانساني ( ٣ ج )  
الفلسفة وقضايا العصر ( ٣ ج )  
الفكر التاريخي عند الاغريق  
قضايا وملاح في الفن التشكيل المعاصر  
التغذية في البلدان النامية  
بداية بلا نهاية  
الحرف والصناعات في مصر الاسلامية  
حوار حول النظامين الرئيسيين  
للكون  
الارهاب  
اختراعات  
القبيلة الثالثة عشرة  
الفلسفة وقضايا العصر ( ٣ ج )  
الاساطير الاغريقية والرومانية  
تاريخ العلم والتكنولوجيا  
التوافق النفسي  
الدليل البيولوجرافي  
لغة الصورة  
الثورة الاصلاحية في اليابان  
العالم الثالث غدا  
الاقراض الكبير  
تاريخ النقود  
التحليل والتوزيع الاوركسترا الى  
الشاهنامة ( ٢ ج )  
الحياة الكريمة ( ٢ ج )  
قيام الدولة العثمانية  
د ٠ محمود سري طه  
بيتر لوري  
بوريس فيدوروفيتش سيرجيف  
ويليام بينز  
ديفيد الدرتون  
احمد محمد الشنواني  
جمعها : جون ر ٠ بورر  
وملتون جولدينجر  
ارنولد توينبي  
د ٠ صالح رضا  
م ٠ ه ٠ كتج وآخرون  
جورج جاموف  
د ٠ السيد طه ابو سديرة  
جاليليو جاليليه  
اريك موريس وآلان هو  
سيريل السريد  
آرثر كينستلر  
جون بورر  
ب ٠ كومان  
ر ٠ ج ٠ فوريس  
توماس ا ٠ هاريس  
مجموعة من الباحثين  
روي آرمز  
ناجاي متشينو  
بول هاريسون  
ميخائيل ألبى ، جيمس لفوك  
فيكتور مورجان  
اعداد محمد كمال اسماعيل  
الفردوسي الطوسي  
برتون بورتر  
محمد قواد ، كوبريلي

عن النقد السينمائي الأمريكي	ادوارد ميرى
ترانيم زرادشت	اختيار / د. قليب عطية
السينما العربية	منى براخ وآخرين
دليل تنظيم المتاحف	آدامز فيليب
سقوط المطر وقصص اخرى	نادين جورديمر وآخرون
جماليات فن الاخراج	زيجمونت هبشر
التاريخ من شتى جوانبه ( ٣ ج )	ستيفن اوزمنت
الحملة الصليبية الاولى	جوناثان ريل سميث
التمثيل للسينما والتلفزيون	توني بار
العثمانيون في اوربا	بول كولنر
صناع الخلود	موريس بير براير
الكنائس القبطية القديمة في مصر ( ٢ ج )	الفريد ج. ٠ بتلر
رحلات فارتيما	رودريجو فارتيما
انهم يصنعون البشر ( ٢ ج )	فانس بكارد
في النقد السينمائي الفرنسي	اختيار / د. رفيق الصبيان
السينما الخيالية	بيتر نيكولز
السلطة والفرد	برتراند راسل
الأزهر في الف عام	بينارد دودج
رواد الفلسفة الحديثة	ريتشارد شاخ
سفر نامه	ناصر خسرو علوى
مصر الرومانية	نفتالى لويس
كتابة التاريخ في مصر القرن التاسع عشر	جاك كرابس جونيور
الاتصال والهيمنة الثقافية	هوبرت شيلر
مختارات من الآداب الآسيوية	اختيار / صبرى الفضل
كتب غيرت الفكر الانساني ( ٣ ج )	احمد محمد الشنواني
الشموس المتفجرة	اسحق عظيموف
مدخل الى علم اللغة	لوريتو تود
حديث النهر	سوريال عبد الملك
من هم القطار	٠ ابرار كريم الله

اعداد / جابر محمد الجزار  
 هـ ج ٠ ولز  
 جوستاف جرونيباوم  
 ستيفن رانسيما  
 ارنولد جزل  
 بادى اونيمود  
 فيليب عطيه  
 جلال عبد الفتاح  
 محمد زينهم  
 مارتن فان كريفلد  
 سوندارى  
 فرانسيس ج ٠ برجين  
 ج كارفيل  
 الفين توفلر  
 توماس نيههارت  
 اعداد كريستيان سالين  
 بول وارن  
 جوزيف بتس  
 اعداد محمود سامى عطا الله  
 جورج ستاير  
 كريستيان دى روش  
 ستانلى جين سولومون  
 جوزيف ٠ م ٠ بوجز  
 آدمز متز  
 ايقر شاتزمان  
 فاسكو داجاما  
 ادوارد ويوتو  
 ويليام هـ ٠ ماثيوز  
 جارى ب ٠ ناش

ماستريخت  
 معالم تاريخ الانسانية ٤ ج  
 حضارة الاسلام  
 الحملات الصليبية  
 الطفل ٢ ج  
 افريقيا الطريق الاخر  
 السحر والعلم والدين  
 الكون ٠ ذلك المجهول  
 تكنولوجيا فن الزجاج  
 حرب المستقبل  
 الفلسفة الجوهرية  
 الاعلام التطبيقي  
 تبسيط المفاهيم الهندسية  
 تحول السلطة  
 فن المايه والبانثوميم  
 السيناريو فى انسينما الفرنسية  
 خفايا نظام النجم الأمريكى  
 رحلة جوزيف بتس  
 الفيلم التسجيلى  
 بين تولستوى ودوستويفسكى  
 المرأة الفرعونية  
 أنواع الفيلم الأمريكى  
 فن الفرجة على الأفلام  
 الحضارة الإسلامية فى القرن ٤ هـ  
 كوئيتا المتمدد  
 رحلة فاسكو داجاما  
 التفكير المتجدد  
 ما هى الجيولوجيا  
 الحمر والبيض





مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٩٦/١٩٣٣

---

ISBN .. 977 .. 01 .. 4663 .. 3



قام الأمير النمساوي رذولف برجلته لمصر والقدس في أواخر عهد  
الخدويو إسماعيل وقد مسح مصر من شمالها إلى جنوبها ووصف  
معظم المدو المصرية وأشار إشارات مفيدة للآثار ونشر ترجمات  
رائعة لبعض الكتابات الهيروغليفية وبعد مغادرته مصر توجه إلى  
حيفا ومنها زار القدس الشريف وغيرها من المزارات المقدسة ووصف  
الحياة البدوية حول نهر الأردن وأبدى إعجابا بروح التسامح في  
القدس وتعرض للمذاهب المسيحية والممارسات الطقسية المختلفة  
كما أورد بعض القصص اليهودية وأبدى رأيه فيها

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب